فهرست

المترجين في هذا المختصر وقد بلغ عددهم (٢٨٨) مترجما مما لورمنا استقصاءهم لاحتاج الى كتاب خاص وقد رتبنا اسماءهم على الحروف مع بيان الصحيفة والسطر التي تبتدئ فيه الترجمة تسهيلا للفائدة

مختصر

جامع بيان العلم وفضله

وما ينبغي في روايته وحمله

تأليف

الامام المجتهد حافظ المغرب أبي عمر يوسف ابن عبد البرّ النّمري

القرطبي الاندلسي المتوفى سنة ٤٦٣ هجرية رحمه الله

واختصار

احمد بن عمر المحمصاني البيروتي الازهري

القائل

أخا العلم بادرْ للمعالي ولا تَني وجِدَّ الي أن تبلغ الغاية القُصوى

وما العلم إلاّ ما أفادك قوَّةً تنال بها عِزًّا وتنقادُ للتقوى

﴿ الطبعة الاولى ﴾

(طبع بمطبعة الموسوعات بشارع باب الخلق بمصر سنة ١٣٢٠)
لصاحبها اسماعيل حافظ الخبير بالمحاكم الاهلية

﴿ حديث شريف ﴾ إن قليل العمل ينفع مع العلم وإن كثير العمل لا ينفع مع الجهل

﴿ من كلام عمر بن عبد العزيز ﴾ الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وسائر النبيين وآل كلٍّ والتابعين لهم بإحسان الى يوم الدين ، أما بعد فيقول الفقير أحمد بن عمر بن محمد غُنيم المحمصاني البيروتي الازهري قد يسَّر الله لي الاطلاع على كتاب (جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله) تأليف الامام المجتهد الفقيه الحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البرّ النَّمَري فوجدته كتاباً حافلاً لا يستغني طالب العلم عن فوائده الجمّة وفرائده المهمة فأعملت الفكر في تلخيص ذلك مع الحرص على الاتيان بجمله وعباراته في أكثر الابواب كما هي لما فيها من المتانة والبراعة والفصاحة والبلاغة ولم أحذف منه سوى الاسانيد وما تكرر في بعض الفصول والابواب أو ما يُستغنى عنه بغيره ليسهل تناوله واكتفاء بما لا بدّ منه

ويرى الناظر في هذا المختصر انه قد احتوى على ما ينبغي معرفته والعمل به لاهل العلم وطلابه كما انه قد جمع كثيراً من أقوال أعاظم الصحابة والتابعين رضي الله عنهم ومن جاء بعدهم من أئمة الدين وحِكَمِهم الغرّاء مما يجدر بالطالب المستفيد أن يجعلها نُصب عينيه ولا يغفل عنها ويجهد نفسه في الاقتداء بهم والاهتداء بِهَديهم حتى يحصل على اليقين في علمه والبصيرة في دينه « قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتّبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين »

ويجد المطّلع على هذا الكتاب أنه جمع من المواضيع الجليلة الرائعة والآثار الساطعة مالا يوجد في كتب كثيرة فهو مدينة علم ينيرها الحق والبرهان ، وروضة فهم يغتذي منها العقل ويرتع فيها الوجدان ، وليس الخبر كالعيان ، فها هو يفصح عن نفسه ويدل على عظيم نفعه كما انه يعرّفنا مقدار اعتناء السلف باستطلاع الحقائق والانصاف في العلم واستقلال الفكر والارادة ومعرفة الرجال بالحق فلا بدع أن يكون هذا الكتاب خزانة لعلمهم ومعرضاً لافكارهم رحمهم الله

وقد اعتنيت بضبط ألفاظه الغريبة وإيضاحها مع ترجمة كثير من الأعلام والرواة المذكورين في غضون جمُله وعباراته إتماماً للفائدة وحرصاً على الازديادمن الخيروالعلم وأسأل الله أن ينفع به كما نفع بأصله ويجعله خالصاً لوجهه الكريم إنه على مايشاء قدير آمين

وقبل الشروع في المقصود نذكر طرفاً من ترجمة المؤلف بياناً لعظيم منزلته ورفعة قدره لدى أهل العلم سابقهم ولا حقهم وتنويهاً بماله من المؤلفات الجليلة فنقول :

هو الامام أحد الأعلام حافظ المغرب أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر بن عاصم النَّمَري القرطبي ينتهي نسبه الى النَّمِر بن قاسط من ربيعة • ولد بقرطبة لخمس بقين من ربيع الآخر سنة ٣٦٨ ونشأ بها وتفقه ولزم أبا عمر أحمد بن عبد الملك بن هاشم الفقيه الاشبيلي وكتب بين يديه ولزم أبا الوليد ابن الفرضي الحافظ وعنه أخذ كثيراً من علم الادب والحديث ودأب في طلب العلم وأفتى به وبرع براعة فاق فيها من تقدمه من رجال الأندلس مع انه لم يخرج عنها وسمع من اكابر أهل الحديث بقرطبة وغيرها وروى بقرطبة عن أبي القاسم خلف ابن القاسم الحافظ وعبد الوارث بن سفيان وسعيد بن نصر وأبي محمد بن أسد وأبي عمر الباجي وأبي زكريا الاشعري وأحمد بن فتح الرسّان وأبي عمر الطلمنكي وأبي المطرف القنازعي والقاضي يونس بن عبد الله وغيرهم وكتب اليه من المشرق أبو القاسم

السقطي المكي وعبد الغني بن سعيد الحافظ وأبوالفتح بن سَيْبُخت وأحمد بن نصر الداودي وأبو ذر الهَروي وأبو محمد بن النحاس المصري وغيرهم وكان الامام أبو الوليد الباجي يقول لم يكن بالاندلس مثل أبي عمر ابن عبد البر في الحديث وهو أحفظ أهل المغرب. وروى عنه غير واحد من الائمة منهم طاهر بن مفوز وأبو بحر سفيان بن العاصي وابن أبي تليد وأبو علي الغساني وابو داود سليمان بن نجاح وأبو الحسن بن موهب وجماعات وكان موفقاً في التأليف معاناً عليه ونفع الله بتآليفه وكان مع تقدمه في علم الاثر وبصره بالفقه ومعاني الحديث له بسطة كبيرة في علم النسب والخبر وليس لاهل المغرب احفظ منه مع الثقة التامة والدين والنزاهة والتبحُّر في الفقه والعربية والسِّيَرِ. جُلي عن وطنه ومنشأه قرطبة فكان في الغرب مدة ثم تحول الى شرق الاندلس وتولى قضاء لشبونه في أيام ملكها المظفر بن الافطس وسكن منه دانية وبلنسية وشاطبة وبها توفي رحمه الله في آخر ربيع الآخر ودفن يوم الجمعة اصلاة العصر من سنة ٤٦٣ وصلى عليه تلميذه طاهر ابن مفوز المعافري

أما تآليفه فهي (١) كتاب التمهيد بما في الموطأ من المعاني والاسانيد(١) رتبه على أسماء شيوخ مالك على حروف المعجم وهو كتاب لم يتقدمه أحد الى مثله قال ابو محمد بن حزم لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله فكيف احسن منه (٢) كتاب الاستذكار في شرح مذاهب علماء الامصار(٢) شرح فيه الموطأ على وجهه (٣) كتاب جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله (٣) ويكفي في البيان عنه هذا المختصر الذي نحن بصدده (٤) كتاب الاستيعاب(٤) في أسماء الصحابة المذكورين في الروايات والسير والمصنفات والتعريف بهم وتلخيص أحوالهم ومنازلهم وعيون أخبارهم على حروف المعجم في أربعة أسفار وهو كتاب حسن كثير الفائدة وأهل المشرق يستحسنونه جداً ويقدمونه على ما ألف في بابه (٥) كتاب الدرر(٥) في اختصار المغازي والسير سِفرٌ واحد (٦) كتاب الشواهد في اثبات خبر الواحد جزء (٧) كتاب التقصِّي لما في الموطأ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلد

---

(١) يوجد منه في الكتبخانة المصرية ثلاثة اجزاء في علم الحديث (٢) موجود في الكتبخانة المصرية منه نسخة في مجلدين نمرة ٢٤ من علم الحديث وبها خروم ويوجد في رواق المغاربة بالازهر منه نسخة وبها خروم أيضاً (٣) وهو موجود بكتبخانة الازهر الشريف ومنها اختصرت هذا المختصر وفي الكتبخانة المصرية نسخة بنمرة ٣١٣ من علم التصوف (٤) موجود بالكتبخانة المصرية منه اجزاء في علم مصطلح الحديث (٥) موجود بالكتبخانة المصرية بنمرة ٥٢٣ من علم التاريخ

(٨) كتاب اخبار ائمة الامصار سبعة أجزاء (٩) البيان عن تلاوة القرآن جزء (١٠) كتاب التجويد والمدخل الى علم القراآت بالتجريد جزآن (١١) كتاب الاكتفا في قراءة نافع وأبي عمرو بن العلا بتوجيه ما اختلفا فيه جزء (١٢) كتاب الكافي فى الفقه على مذهب أهل المدينة ستة عشر جزءاً (١٣) كتاب اختلاف أصحاب مالك ابن أانس واختلاف رواياتهم عنه أربعة وعشرون جزءاً (١٤) كتاب العقل والعقلاء وما جاء فى أوصافهم عن الحكماء والعلماء جزء واحد (١٥) الانصاف فيما بين العلماء من الاختلاف في قراءة البسملة وهو عبارة عن كراسين ورأيت منه نسخة في رواق المغاربة بالازهر الشريف (١٦) كتاب بهجة المجالس وأنس المُجالس[1] مما يجري في المذاكرة من غرر الابيات ونوادر الحكايات مجلدان امتدحه ابن خلكان ونقل منه طرفاً منها : أن اعرابيا سب آخر فسكت فقيل له لم سكت عنه فقال ليس لى علم بمساويه وكرهت ان أبهته بما ليس فيه وقال علي ابن الحسين رضي الله عنه اذا قال فيك رجل مالا يعلم فيك من الخير يوشك أن يقول فيك مالم يعلم من الشر . وقال أزدشير احذروا صولة الكريم اذا جاع واللئيم اذا شبع واعلموا أن الكرام أصبر نفوساً واللئام أصبر أجساماً ومنها : قال الهيثم بن عدي قال لي صالح بن حيان مَن أفقه الشعراء فقلت اختلفوا في ذلك فقيل أفقه الشعراء وضّاح اليمن حيث يقول:

اذا قلت هاتي نوّليني تبسمت   وقالت معاذ الله من فعل ماحرم
فما نوّلت حتى تضرعت عندها   وأعلمتها ما أرخص الله في اللمم

وله مؤلفات كثيرة لم نعثر على اسمائها اهـ ملخصاً من كتاب الصلة في تاريخ ائمة الاندلس وعلمائهم لابي القاسم خلف بن عبد الملك بن بُشكوال وتاريخ ابن خلكان وبغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الاندلس لاحمد بن يحيى بن احمد بن عميرة الضبي وشذرات الذهب في اخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي

وقد نقلت من خط شيخنا العلامة المحقق الشيخ محمد محمود بن التلاميد التركزي الشنقيطي حفظه الله مما كتبه على نسخته من هذا الاصل مانصه :

الحمد لله تعالى وحده . قلت قال الحافظ السِّلَفي يمدح كتب أبي عمر يوسف الحافظ ابن عبد البر النَّمَري ولقد صدق وأحسن وأجاد وأفاد :

قل للذي طاب الحديث مسافراً   في البحر يبغي الكتب بعد البرّ
فعليك كتباً في الحديث أجادها   بالغرب حافظه ابنُ عبد البر

---

(١) موجود منه نسخة في الكتبخانة المصرية نمرة ٤٣٤ من علم الأدب وبها خرم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المبتدي بالنعم[1] ، باريء النسم ، ومنشر الرّمم ، ورازق الامم ، الذي علمنا ما لم نكن نعلم ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وعلى آله الطيبين ، والحمد لله رب العالمين ،

(أما بعد) فانك سألتني رحمك الله عن معنى العلم وفضل طلبه، وحمد السعي فيه والعناية به، وعن تثبيت الحِجاج بالعلم ،وتبيين فساد القول في دين الله بغير فهم ، وتحريم الحكم بغير حجة وما الذي أُجيز من الاحتجاج والجدل وما الذي كره منه وما الذي ذمّ من الرأي وما حمد منه . وما جوّز من التقليد وما حُرّم منه ورغبتَ أن أقدّم لك قبل هذا من آداب التعلم وما يلزم العالم والمتعلم التخلق به والمواظبة عليه وكيف وجهُ الطلب ، وما حُمِد ومدح فيه من الاجتهاد والنَّصَب ، الى سائر أنواع آداب التعلم والتعليم وفضل ذلك وتلخيصه باباً باباً مما روي عن سلف هذه الامة رضي الله عنهم أجمعين لتتبع هَدْيهم ، وتسلك سبيلهم، وتعرف ما اعتمدوا عليه من ذلك مجتمعين أو مختلفين في المعنى منه فأجبتك الى ما رغبت وسارعتُ فيما طلبتَ رجاءَ عظيم الثواب وطمعاً في الزُّلفى يوم المآب ولمَا أخذه الله عز وجل على المسؤول العالم بما سُئِلَ عنه من بيان ما طُلِب منه وترك الكتمان لما عَلِمه قال الله عزّ وجلّ « واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لَتُبَيِّنُنَّهُ للناس ولا تكتمونه » وقال صلى الله عليه وسلم من سئل[2] عن علم فكتمه جاء يوم القيامة ملْجماً بلجام من نار . وقالت

---

(١) قد أوردت خطبة المؤلف بحذافيرها لما فيها من الإفصاح عما اشتمل عليه الكتاب من المواضيع الجليلة والمطالب العالية (٢) وفي نسخة من سئل علماً عَلِمهُ فكتمه الخ وقد روى المؤلف هذا الحديث من جملة طرق متعددة عن ابن مسعود وأبي هريرة

الحكماء من كتم علماً فكأنه جاهله . وقد جمع أقوام في نحو ما سئلنا عنه وذكرناه في كتابنا هذا أبواباً لو رأيتها كافية دللت عليها ولكني رأيت كل واحد منهم جمع ما حضره وحفظه وما خشي التفلّت عليه وأحبّ أن ينظر المسترشد اليه ولو أغفل العلماء جمع الاخبار وتمييز الآثار وتركوا ضمّ كل نوع الى بابه وكل شكل من العلم الى شكله لبطلت الحكمة وضاع العلم ودَرَس وان كان لعمري قد درس منه الكثير لعدم العناية وقلة الرعاية والاشتغال بالدنيا والكلَب عليها ولكن الله عز وجل يُبقي لهذا الدين قوماً وان قلّوا يحفظون على الأمة أصوله ويميزون فروعه فضلاً من الله ونعمة ولا يزال الناس بخير ما بقي الاوّل حتى يتعلم منه الآخِر فإنّ ذهاب العلم بذهاب العلماء كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وسترى هذا المعنى وشبهه في كتابنا هذا إن شاء الله بحوله وقوته فالحول والقوة لله وهو حسبي ونعم الوكيل

وعبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنهم وتكلم عن بعض رجال الاسانيد وذكر عقب ذلك بسنده عن سفيان ابن عُيَيْنَة قال قال الحسن دخلنا فاغتممنا وخرجنا فلم نزدد إلا غماً اللهم اليك نشكو هذ الغُثاء الذي كنا نُحَدَّث عنه (يريد ارذال الناس وسَقَطهم) ان أجبناهم لم يفقهوا وان سكتنا عنهم وكَلْناهم الى عيّ شديد والله لولا ما أخذ الله على العلماء في علمهم ما انبأناهم بشيء أبداً . وذكر عن ابي هريرة انه كان يقول لولا آيتان في كتاب الله ما حدّثتكم شيئاً ان الله يقول « ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى » هذه الآية والتي تليها ثم قال إن الناس يقولون اكثر أبو هريرة وذكر الحديث (من سُئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة . وكتب نجدة الى ابن عباس يسأله عن خمس خلال فقال ابن عباس ان الناس يقولون ان ابن عباس يكاتب الحَرورية (فرقة من الخوارج تنسب الى حَروراء موضع بظاهر الكوفة) ولولا اني أخاف ان أكتم علماً ما كتبت اليه وذكر الحديث اه منه

﴿ باب ﴾

(قوله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم)

(قال أبو عمر (١)) هذا حديث يروى عن أنس(٢) بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه كثيرة كلها معلولة لا حجة في شيء منها عند أهل العلم بالحديث من جهة الاسناد : قرأت (٣) على أبي القاسم خلف بن القاسم بن سهل الحافظ ان أحمد بن صالح ابن عمر المغربي حدثه قال أخبرنا عبد الله بن سليمان بن الاشعث : وحدثنا خلف بن القاسم قال حدثنا أبو صالح احمد بن عبد الرحمن بن صالح بمصر قال أخبرنا عبد الجبار بن احمد السمرقندي قالا جميعاً أخبرنا جعفر (٤) بن مسافر التنيسي قال حدثنا يحيي (٥) بن حسان قال حدثنا سليمان بن قرم الضبي عن ثابت عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم(٦) ثم ذكر المؤلف عن اسحق بن راهويه(٧) انه كان يقول طلب العلم واجب ولم يصح فيه الخبر إلا ان معناه انه يلزمه طلب علم مايحتاج اليه من وضوئه وصلاته وزكاته ان كان له مال وكذلك الحج وغيره قال وما وجب عليه من ذلك لم يستأذن أبويه في الخروج اليه وما كان منه فضيلة لم يخرج الى طلبه حتى يستأذن أبويه (قال أبو عمر) يريد اسحق والله أعلم ان الحديث في وجوب طلب العلم

---

(١) هذا لقب المؤلف وحيثما ذكره فإنما يعني به نفسه على عادة كثير من المؤلفين المتقدمين (٢) هو خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم انصاري خزرجي صحابي مشهور خدم الرسول عشر سنين وتوفي سنة اثنين وقيل ثلاث وتسعين من الهجرة وقد جاوز المائة اه من تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني (٣) ذكرت هذا الحديث باسناده لبيان شيء من سلسلة المؤلف ولأنه أول حديث في أول باب (٤) صدوق توفي سنة ٢٥٤ هـ من تقريب التهذيب (٥) التنيسي من اهل البصرة ثقة مات ٢٠٨ وله اربع وتسعون سنة اه من التقريب (٦) وذكر مثل هذا الحديث أيضاً من طرق أخرى عن أنس وفي بعضها زيادة في أوله وهي أطلبوا العلم ولو بالصين فإن طلب العلم فريضة الخ وفي بعضها زيادة في آخر الحديث ونصها : طلب العلم فريضة على كل مسلم وطالب العلم يستغفر له كل شيء وفي بعضها والله يحب إغاثة اللهفان اه منه (٧) المروزي إمام ثقة حافظ مجتهد قرين احمد بن حنبل مات سنة ثمان وثلثين ومائتين اه من التقريب لابن حجر

في أسانيده مقال لاهل العلم بالنقل ولكن معناه صحيح عندهم وان كانوا قد اختلفوا فيه اختلافاً متقارباً على ما نذكره ههنا ان شاء الله تعالى

ثم روى المؤلف باسناده عن ابن وهب قال سئل مالك عن طلب العلم أهو فريضة على الناس فقال لا ولكن يطلب منه المرء ما ينتفع به في دينه وروى عن الحسن بن الربيع(١) قال سألت ابن المبارك (٢) قلت قول النبي صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم قال ليس هو الذى يطلبونه ولكن فريضة على من وقع في شيء من أمر دينه أن يسأل عنه حتى يعلمه

وذكر عبد الملك بن حبيب أنه سمع عبد الملك بن الماجُشون قال سمعت مالكاً وسئل عن طلب العلم أواجب فقال أما معرفة شرائعه وسُنَنِهِ وفقهه الظاهر فواجب وغير ذلك منه من ضعف عنه فلا شيء عليه • هكذا ذكره ابن حبيب ولا يشبه هذا لفظ مالك ولا معنى قوله والله أعلم • وعن سفيان بن عُيَيْنَةَ طلب العلم والجهاد فريضة على جماعتهم ويُجزئ فيه بعضهم عن بعض وتلا هذه الآية « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولِينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم » وسئل احمد بن صالح عما جاء في طلب العلم فريضة على كل مسلم فقال احمد معناه عندي اذا قام به قوم سقط عن الباقين مثل الجهاد • وعن علي بن الحسن بن شقيق قال قلت لابن المبارك ما الذي لا يسع المؤمن من تعليم العلم الا أن يطلبه وما الذي يجب عليه أن يتعلمه قال لا يسعه أن يُقدِم على شيء الا بعلم ولا يسعه حتى يسأل

(قال أبو عمر) قد أجمع العلماء على أن من العلم ما هو فرض متعين على كل امرئ في خاصة نفسه ومنه ما هو فرض على الكفاية اذا قام به قائم سقط فرضه عن أهل ذلك الموضع واختلفوا في تلخيص ذلك والذي يلزم الجميع فرضه من ذلك ما لا يسع الانسان جهله من جملة الفرائض المفترضة عليه نحو الشهادة باللسان والاقرار بالقلب بأن الله وحده لا شريك له ولا شَبَه له ولا مِثْل لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد

---

(١) قال في تقريب التهذيب ان الحسن بن الربيع البجَلي الكوفي البُوراني ثقة مات سنة عشرين او احدى وعشرين ومائتين (٢) هو عبد الله بن المبارك المروزي مولى بني حنظلة إمام جمع بين العلم والزهد والجود والمجاهدة تفقّه على سفيان الثوري ومالك بن انس ومن كلامه • تعلمنا العلم للدنيا فدلّنا على ترك الدنيا • توفي سنة احدى وقيل اثنتين وثمانين ومائة اه من تقريب التهذيب وتاريخ ابن خلكان

خالق كل شيء واليه مرجع كل شيء المحيي المميت الحي الذي لايموت عالم الغيب والشهادة هما عنده سواء لايعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء هو الاول والآخر والظاهر والباطن • والذي عليه جماعة أهل السنة انه لم يزل بصفاته وأسمائه ليس لأوليته ابتداء ولا لآخريته انقضاء وهو على العرش استوى والشهادة بأن محمداً عبده ورسوله وخاتم أنبيائه حق وان البعث بعد الموت للمجازاة بالاعمال والخلود في الآخرة لأهل السعادة بالايمان والطاعة في الجنة ولأهل الشقوة بالكفر والجحود في السعير حق • وان القرآن كلام الله ومافيه حق من عند الله يجب الايمان بجميعه واستعمال مُحْكَمِه وان الصلوات الخمس فرض ويلزمه من علمها علم مالا تتم الا به من طهارتها وسائر أحكامها • وأن صوم رمضان فرض ويلزمه علم مايفسد به من صومه وما لا يتمّ الا به • وان كان ذا مال وقدرة على الحج لزمه فرضاً ان يعرف ماتجب فيه الزكاة ومتى تجب وفي كم تجب ولزمه أن يعلم بأن الحج عليه فرضٌ مرة واحدة في دهره ان استطاع اليه سبيلا الى أشياء يلزمه معرفة جُمُلها ولا يعذر بجهلها نحو تحريم الزنا والربا وتحريم الخمر وأكل الخنزير وأكل الميتة والانجاس كلها والغصب والرّشوة على الحكم والشهادة بالزور وأكل أموال الناس بالباطل وبغير طيب من أنفسهم الا اذا كان شيئاً لايتشاحّ فيه ولا يُرغب في مثله • وتحريم الظلم كله وتحريم نكاح الامهات والبنات والاخوات ومن ذكر معهن وتحريم قتل النفس المؤمنة بغير حق

وما كان مثل هذا كله مما قد نطق الكتاب به وأجمعت الامة عليه ثم سائر العلم وطلبه والتفقه فيه وتعليم الناس اياه وفتواهم به في مصالح دينهم ودنياهم فهو فرض على الكفاية يلزم الجميع فرضه فاذا قام به قائم سقط فرضه عن الباقين بموضعه لاخلاف بين العلماء في ذلك وحجتهم فيه قولُ الله عز وجل « فلولا نفرَ من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم » فألزم النفير في ذلك البعض دون الكل ثم ينصرفون فيعلّمون غيرهم • والطائفة في لسان العرب الواحد فما فوقه •

(قف على ذكر معنى الطائفة في لسان العرب)

وكذا الجهاد فرضٌ على الكفاية لقول الله عز وجل « لايستوى القاعدون من المؤمنين غيرَ أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله » الى قوله « وفضّل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيما » ففضّل المجاهد ولم يذم المتخلف والآيات في فرض الجهاد كثيرة جداً وترتيبها مع الآية التي ذكرنا على حسب ما وصفنا عند جماعة أهل العلم فان أظلّ العدو بلدة لزم الفرض حينئذ جميع أهلها وكل من قرب منها ان علم ضعفها عنه وامكن نصرتها لزمه فرض ذلك أيضاً

(قال أبو عمر) ورد السلام عند أصحابنا من هذا الباب فرض على الكفاية لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وان رد السلام واحد من القوم أجزأ عنهم وخالفهم العراقيون فجعلوه فرضاً متعيناً على كل واحد من الجماعة اذا سلم عليهم وقد ذكرنا وجه القولين والحجة لمذهب الحجازيين في كتابنا التمهيد لآثار الموطأ ٠ والآية المثبتة لرد السلام باجماع هي قوله عز وجل « واذا حُيِّيتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو رُدُّوها »

ومن هذا الباب أيضاً تكفين الموتى وغسلهم والصلاة عليهم ومواراتهم والقيام بالشهادة عند الحكام فان كان الشاهدان عدلين ولا شاهد له غيرهما تعين اذاً عليهما وصار من القسم الاول

ومن هذا الباب عند جماعة من أهل العلم الأذان في الامصار وقيام رمضان وأكثر الفقهاء يجعلون ذلك سنة وفضيلة

وقد ذكر قوم من العلماء في هذا الباب عيادة المريض وتشميت العاطس قالوا هذا كله فرض على الكفاية وقال اهل الظاهر بل ذلك كله فرض متعين واحتجوا بحديث البراء بن عازب (١) قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع ونهانا عن سبع امرنا بعيادة المريض واتباع الجنائز وإفشاء السلام واجابة الداعي وتشميت العاطس ونصر المظلوم وإبرار القسم. الحديث : وقد ذكرناهذه السبع وغيرها على اختلاف أحكامها عند العلماء في كتاب التمهيد ٠ وخالفهم جمهور العلماء فقالوا ليس تشميت العاطس من هذا الباب وكذلك عيادة المريض وانما ذلك ندب وفضيلة وحسن أدب أُمر به للتحابّ والأُلفة ولا حرج على من قصّر عنه الا أنه مقصر عن حظ نفسه في اتباع السنة وآدابها. وذكر ابن المبارك عن المبارك بن فَضالة عن الحسن بن أبي الحسن البصري (٢) قال ستٌّ اذا أدّاها قوم كانت موضوعة عن العامة واذا اجتمعت العامة على تركها كانوا آثمين ٠ الجهاد في سبيل الله (يعني سدّ الثغور) والضرب في العدو وغسل الميت وتكفينه والصلاة عليه والفتيا بين الناس (٣) وحضور الخطبة يوم الجمعة ليس لهم أن يتركوا الامام ليس عنده من يخطب عليه

---

(١) بن الحارث بن عدي الانصاري الاوسي صحابي ابن صحابي نزل الكوفة وهو ممن أُستُصْغِرَ يوم بدر وكان هو وابن عمر لِدَةً مات سنة ٧٢ اه من التقريب (٢) من سادات التابعين وكبرائهم علماً وزهداً وعبادة وأبوه مولى زيد بن ثابت الانصاري قال أبو عمرو ابن العلاء ما رأيت أفصح من الحسن البصري ومن كلامه ما رأيت يقيناً لاشك فيه اشبه بشك لا يقين فيه الا الموت مات سنة عشر ومأة اه من ابن خلكان (٣) لِمَ لا يجعل من هذا الباب الدعوة الى الدين الاسلامي ونشره بين الامم التي لاتدين به ٠ ولِمَ لا يحتج له بقوله تعالى

والصلاة جماعة (قال الحسن) واذا جاءهم العدوّ في مصرهم فعليهم أن يقاتلوا يعني أجمعين. قال ابن المبارك وبهذا كله أقول وقد جاء عن أبي الدرداء رضي الله عنه ما يعضّد قول الحسن قال أبو الدرداء لولا أن الله يدفع بمن يحضر المساجد عمن لا يحضرها وبالغزاة عمن لا يغزو لجاءهم العذاب قُبُلا: (قال أبو عمر) قد ذكرنا قول من قال شهود الجماعة فرض متعين ومن قال ذلك فرض على الكفاية ومن قال ذلك سنة مسنونة في كتاب التمهيد فأغنى ذلك عن اعادته ههنا.

والذي عليه جمهور العلماء وجماعة الفقهاء أن الجمعة (١) واجب اتيانها على كل من كان في المصر وعلى من خرج عن المصر اذا كان يسمع النداء من كل بالغ حرّ من الرجال في المصر أو خارج منه بموضع يسمع منه النداء وسترى الحجة لذلك في كتاب الاستذكار إن شاء الله تعالى

وروى يونس بن عبد الأعلى وابن المقري وابن أبي عمر عن سفيان بن عُيَيْنة (٢) قال سمعت جعفر بن محمد يقول وجدنا علم الناس كله في أربع أوّلها أن تعرف ربك والثاني أن تعرف ما صنع بك والثالث أن تعرف ما أراد منك والرابع أن تعرف ما تخرج به من ذنبك وفي رواية ما يخرجك من دينك

(قف على قول جعفر بن محمد في علم الناس)

﴿ تفريع أبواب فضل العلم وأهله ﴾

عن أبي هريرة (٣) رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من رجل يسلك طريقاً يلتمس فيها علماً الا سهّل الله له طريقاً الى الجنة ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه.

« ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » مع اجماع الكثيرين من المفسرين على تفسير الخير في الآية بالاسلام وأيّ شيء اصرح من هذا (١) لاشك أن شدة التأكيد في حضور الجمعة والجماعة يدلنا على أن هناك معنى ينبغي أن يعرف وهو قوة ارتباط المسلمين بعضهم ببعض واتحادهم في شؤونهم وأعمالهم وتعاونهم على الخير والبرّ والمعروف وكل ما فيه منفعتهم مع ما في ذلك من التعاضد والتآلف الذي لا تتأتى وصلة أو محبّة الا بهما فعلى المسلم ن يشعر قلبه هذا المعنى ويستحضره في كل جمعة وجماعة (٢) الأمام الجليل الزاهد الورع المجمع على صحة حديثه وروايته. حج سبعين حجة قال الشافعي ما رأيت أحداً فيه من آلة الفتيا ما في سفيان وما رأيت أكفّ منه عن الفتيا مات سنة ثمان وتسعين بمكة ودفن بالحجون رحمه الله اه ابن خلكان (٣) الدّوسي الصحابي الجليل حافظ الصحابة اختلف في اسمه واسم أبيه فقيل عبد الرحمن بن صخر وقيل عبد الله بن عائذ وقيل غير ذلك مات سنة سبع وقيل ثمان وقيل تسع وخمسين اه تقريب

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من قوم يجتمعون في بيت من بيوت الله يتعلمون القرآن ويتدارسونه بينهم الا حفّتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وتنزّلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده وما من رجل يسلك طريقاً يلتمس فيها علماً الا سهّل الله له طريقاً الى الجنة ومن أبطأ به عمله لم يُسْرع به نسبه. وعن ابن الزّبير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد يغدو في طلب العلم مخافة أن يموت جاهلاً أو في احياء سُنة مخافة أن تدْرُسَ الا كان كالغازي الرائح في سبيل الله عز وجل ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه. وعن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال مَثَل مابعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكانت منها بقعة قبلت الماء فأنبتت الكلا (١) والعُشب الكثير وكانت منها بقعة أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وكانت منها طائفة لاتمسك ماء ولا تنبت كلاً فذلك مَثَل من فقهَ في دين الله ونفعه مابعثني الله به فعلِم وعمل وعلّم ومَثَلُ من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أُرسلت به

﴿ باب ﴾

(قوله صلى الله عليه وسلم ينقطع عمل المرء بعدموته إلا من ثلاث)

عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى عليه وسلم اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاثة أشياء صدقة جارية أو علم ينتفع به بعده أو ولد صالح يدعو له .وعن عبدالله ابن أبي قتادة عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث تتبع المسلم بعد موته صدقة امضاها يجري له اجرها وولد صالح يدعو له وعلم افشاه فعمل به من بعده . وروي من حديث الزّهري(٢) عن ابي عبد الله الأغر عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يلحق المسلم او ينفع المسلم ثلاث ولد صالح يدعو له وعلم ينشره وصدقة جارية .وقالت الحكماء علم الرجل ولده المخلَّف وفي رواية المخلَّد

---

(١) قال في القاموس والكلأ كجبلٍ العُشبُ رَطْبه ويابسه اه (٢) هو محمد بن مسلم بن شهاب الزهري أحد الفقهاء والمحدّثين والاعلام التابعين روى عنه جماعة من الائمة منهم مالك وسفيان بن عيينة وسفيان الثوري . كتب عمر بن عبد العزيز الى الآفاق عليكم بابن شهاب فانكم لاتجدون أحداً أعلم بالسنة الماضية منه توفي سنة ١٢٤ ودفن في ضيعته أدامى بين الحجاز والشام ه ابن خلكان

﴿ باب ﴾

(قوله صلى الله عليه وسلم الدالّ على الخير كفاعله)

عن ابي مسعود الأنصاري(١) قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله احملني فانه قد أُبْدِعَ بي (٢) قال ما اجد ما احملكم عليه فَأْتِ فلاناً فأتاه فحمله فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الدالّ على الخير له مثل أجر فاعله) وفي رواية عن ابي مسعود ايضاً من دلّ على خير فله مثل اجر فاعله . وفي رواية عن انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدالّ على الخير كفاعله . وعن ابي الدرداء انه قال العالم والمتعلم شريكان والمتعلّم والمستمع شريكان والدالّ على الخير وفاعله شريكان

﴿ باب ﴾

(قوله صلى الله عليه وسلم لاحسد إلا في اثنتين)

عن عبدالله بن مسعود(٣) رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحسد الا في اثنتين رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هَلَكته في الحق ورجل آتاه حكمة فهو يقضي بها ويعلّمها . وعن قتادة في قوله عزوجل «واذكُرْنَ ما يتلى في بيوتكنّ من آيات الله والحكمة» قال من القرآن والسنة (قال ابوعمر) وكذلك رواه محمد بن ثور وابن المبارك عن مَعْمر عن قتادة . وقال سعيد بن ابي عروبة عن قتادة في قوله تعالى «واذكرن مايتلى في بيوتكنّ من آيات الله والحكمة» قال يريد السنة يمنّ عليهن بذلك: وعن الحسن في قوله تعالى «ويعلّمهم الكتاب والحكمة» قال الكتاب القرآن والحكمة السنة . وعن ابن وهب قال قال لي مالك وذكر قول الله عز وجل في يحيى «وآتيناه الحكم صبيا» وقوله في عيسى «قدجئتكم بالحكمة» وقوله «ونعلمه الحكمة» وقوله «واذكرن مايتلى في بيوتكنّ من آيات الله والحكمة» قال مالك الحكمة في هذا كله طاعة الله والاتباع لها

(قف على معنى الحكمة في القرآن)

---

(١) هو عقبة بن عمرو بن ثعلبة الانصاري البدري صحابي جليل مات قبل الأربعين وقيل بعدها هـ من التقريب (٢) أُبدع به كلّت راحلته اوعطبت وبقي منقطعاً به هـ من القاموس بتصرف(٣) ابن غافل بن حبيب الهذلي أبو عبد الرحمن من السابقين الأوّلين ومن كبار العلماء من الصحابة مناقبه جمّة وأمّره عمر على الكوفة ومات سنة اثنتين وثلاثين أو التي بعدها بالمدينة هـ من التقريب

والفقه في دين الله والعمل به قال ابن وهب وسمعت مالكا مرة أخرى يقول الذي يقع في قلبي أن الحكمة هي الفقه في دين الله قال ومما يبيّن ذلك ان الرجل تجده عاقلا في امر الدنيا ذا نظر فيها وبَصَرٍ بها ولا علم له بدينه وتجد آخر ضعيفاً في أمر الدنيا عالماً بأمر دينه بصيراً به يؤتيه الله اياه ويحرمه هذا فالحكمة الفقه في دين الله

قال ابن وهب وسمعته يقول الحكمة والعلم نور يهدي به الله من يشاء وليس بكثرة المسائل (١) • وعن أنس ابن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع المملوك حتى تجلسه مجالس الملوك (قال ابو عمر) اخذه الشاعر فقال

العلم ينهض بالخسيس الى العُلا　　　والجهل يقعد بالفتى المنسوب

﴿ باب ﴾

(قوله صلى الله عليه وسلم الناس معادن)

عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا • وعن سعد بن ابي سعيد قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من اكرم الناس قال اتقاهم قالوا ليس عن هذا نسألك قال فأكرم الناس نبي الله ابن نبي الله بن نبي الله بن خليل الله يعني يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم صلوات الله عليهم قالوا ليس عن هذا نسألك قال فعن معادن العرب تسألوني ان خياركم في الجاهلية خياركم في الاسلام اذا فقهوا • ورُوي هذا الحديث عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة مرفوعا • وذكر المؤلف مثله بروايات متعددة

﴿ باب ﴾

(قوله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)

عن عبد الله بن وهب (٢) قال حدثنا عمرو بن الحارث أن عباد بن سالم حدثه عن سالم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيراً

---

(١) قال الامام النووي في الحكمة ما نصه • الحكمة فيها أقوال كثيرة مضطربة صفا لنا منها أنها العلم المشتمل على المعرفة بالله مع نفاذ البصيرة وتهذيب النفس وتحقيق الحق للعمل به والكف عن ضده اهـ (٢) هو ابو محمد عبد الله بن وهب القرشي بالولاء الفقيه المالكي المصري أحد ائمة عصره صحب الامام مالك بن أنس عشرين سنة . توفي بمصر سنة ١٩٧ اهـ من ابن خلكان

يفقهه في الدين (قال أبو عمر) لم يحدّث أحد بهذا الحديث بهذا الاسناد غير ابن وهب ورواه عنه يونس بن عبد الأعلى (١) فجعله عن ابن عمر عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله أن يهديه يفقهه

وفي هذا الباب حديث معاوية صحيح أيضاً فعن محمد بن كعب القرظي قال كان معاوية بن أبي سفيان يخطب بالمدينة يقول أيها الناس انه لا مانع لما أعطى الله ولا معطي لما منع الله ولا ينفع ذا الجدّ منه الجد من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين سمعت هذه الكلمات من رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذه الأعواد • وذكره المؤلف بروايات أخرى منها عن حميد بن عبد الرحمن قال سمعت معاوية وخطبنا فقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين وانما انا قاسم والله يعطي ولن تزال هذه الأمة قائمة على الحق أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله • وعن عبد الله بن مُحَيْرِيز (٢) عن معاوية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا أراد الله بعبدٍ خيراً فقهه في الدين • وقال صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بعبد خيراً جعل فيه ثلاث خلال فقّهه في الدين وزهّده في الدنيا وبصّره عيوبه

﴿ باب تفضيل العلم على العبادة ﴾

عن عبد الله بن عمرو بن العاصي (٣) رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال قليل العلم خير من كثير العبادة وكفى بالمرء علما اذا عبد الله وكفى بالمرء جهلا اذا أعجب برأيه انما الناس رجلان عالم وجاهل فلا تمارِ العالم ولا تحاور الجاهل • وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير دينكم أيسره وخير العبادة الفقه (٤) وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على أمتي • وعن ابن أبي جحادة قال قال ابن مسعود الدّراسة صلاة • وعن عمرو بن قيس المُلائي (٥) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل العلم خير من فضل العبادة وملاك الدين الورع • وروي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله

---

(١) البصري ثقة مات سنة ٢٦٤ هـ تقريب (٢) ثقة عابد مات سنة ٩٩ وقيل بعدها هـ تقريب (٣) الصحابي الجليل أسلم قبل ابيه ومات سنة ٦٣ هـ (٤) من رواة هذا الحديث ابو عبد الله العذري قال فيه ابو سفيان إنه يكره الحديث عنه هـ منه

(٥) الكوفي ثقة متقن عابد مات سنة مأة وبضع واربعين هـ تقريب

عليه وسلم نعمت العطية ونعمت الهدية كلمة حكمة تسمعها فتنطوي عليها ثم تحملها الى أخ لك مسلم تعلمه اياها تعدل عبادة سنة • وعن قتادة قال باب من العلم يحفظه الرجل لصلاح نفسه وصلاح من بعده أفضل من عبادة حول. وعن حزام بن حكيم عن عمه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال انكم أصبحتم في زمان كثير فقهاؤه قليل خطباؤه قليل سائلوه كثير معطوه العمل فيه خير من العلم وسيأتي على الناس زمان قليل فقهاؤه كثير خطباؤه قليل معطوه كثير سائلوه ألعلم فيه خير من العمل • وعن مطرّف بن عبد الله بن الشِّخّير(١) قال حظٌ من علم أحب الي من حظٍ من عبادة ولأن أعافى فأشكر أحب الي من أن أبتلى فأصبر ونظرت في الخير الذى لاشر فيه فلم أر مثل المعافاة والشكر. وقال أيضاً فضل العلم أعجب اليّ من فضل العبادة • وقال قتادة تذاكر العلم بعض ليلة أحب اليّ من إحيائها • وعن اسحق بن منصور قال قلت لأحمد بن حنبل(٢) قوله تذاكر العلم بعض ليلة أحب اليّ من إحيائها أيّ علم أراد قال هو العلم الذى ينتفع به الناس فى امر دينهم قلت فى الوضوء والصلاة والصوم والحج والطلاق ونحو هذا قال نعم قال اسحق بن منصور وقال إسحق ابن راهويه هو كما قال احمد . وعن أبي هريرة أنه قال لأن أجلس ساعة فأفقه فى ديني أحب اليّ من أن أحيي ليلة الى الصباح . وعن الزُّهري قال ما عُبد الله بمثل الفقه

وعن ابن وهب قال كنت عند مالك بن انس فحانت صلاة الظهر أو العصر وأنا أقرأ عليه وأنظر في العلم بين يديه فجمعت كتبي وقمت لأركع فقال لي مالك ما هذا قلت أقوم الى الصلاة قال فقال إن هذا لعجب ما الذي قمت إليه بأفضل من الذى كنت فيه إذا صحّت النية • وعن محمد بن يوسف قال سمعت الربيع بن سليمان يقول سمعت الشافعي يقول طَلَبُ العلم افضل من صلاة النافلة . وكان سفيان الثوري يقول ما من عمل افضل من طلب العلم اذا صحّت النية • وعن أبي ذر(٣) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن تغدوَ فتتعلم باباً من العلم خير لك من أن تصلي مائة ركعة • وعن أبي هريرة لكل شيء عماد وعماد هذا الدين الفقه وما عُبِدَ الله بشيء أفضل من فقه فى الدين ولفقيه واحد اشد على الشيطان من الف عابد. وقال عمر بن الخطاب لموت الف عابد قائم الليل صائم النهار أهون من موت العاقل

(قف على قول عمر في العالم العاقل)

---

(١) العامري البصري ثقة عابد فاضل مات سنة ٩٥ هـ تقريب (٢) الشيباني الامام الجليل المجتهد اخذ عنه الحديث جماعة منهم البخاري ومسلم مات سنة ٢٤١ هـ ابن خلكان (٣) الغِفاري الصحابي الجليل واسمه جُندُب بن جُنَادة على الأصح مات سنة ٣٢ هـ تقريب

البصير(١) لحلال الله وحرامه. وقال سفيان ابن عُيَيْنة قال عمر بن عبد العزيز من عمل في غير علم كان مايفسد أكثر مما يصلح

﴿ باب ﴾

قوله صلى الله عليه وسلم العالم والمتعلم شريكان

عن أبي أُمامة الباهلي(٢) رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عليكم بهذا العلم قبل أن يُقبض وقبل أن يرفع ثم قال العالم والمتعلم شريكان في الأجر ولا خير في سائر الناس بعدُ وجمع بين إصبعيه الوسطى والسبابة التي تلي الابهام . وروي عن علي رحمه الله قال الناس ثلاثة فعالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة والباقي همج رَعاعٌ أتباع كلّ ناعق. وأنشد عمرو بن بحر الحافظ الصالح بن جناح في العلم

تعلّم إذا ما كنت ليس بعالم ... فما العلم إلا عند أهل التعلم
تعلم فإن العلم زين لأهله ... ولن تستطيع العلم إن لم تَعلم
تعلم فإن العلم أزين بالفتى ... من الحلة الحسناء عند التكلم
ولا خير فيمن راح ليس بعالم ... بصير بما يأتي ولا متعلم

وعن حُميد عن الحسن أن أبا الدرداء قال كن عالماً أو متعلماً أو محباً أو متبعاً ولا تكن الخامس فتهلك قال قلت للحسن وما الخامس قال المبتدع .وعن خالد بن عبدالرحمن ابن أبي بكرة عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أُغدُ عالماً أو متعلماً أو مستمعاً أو محباً ولا تكن الخامسة فتهلك (قال أبو عمر) الخامسة (٣) التي فيها الهلاك معاداة العلماء وبغضهم ومن لم يحبهم فقد أبغضهم أو قارب ذلك وفيه الهلاك والله أعلم

﴿ باب تفضيل العلماء على الشهداء ﴾

عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأنبياء على العلماء فضل

---

(١) هذا هو الفقيه المراد في الاحاديث والآثار لا من يحشر الاحكام في ذهنه بلا روية ويخزن المسائل بلا تبصر ولا تأمل ويتلقفها من غيره أو من الكتب بدون رجوع بها الى أصولها ومراعاة انطباقها على ما أراده الله من المصلحة العامة لعباده الكافلة اصلاح شؤونهم والكافية لهم معاشاً ومعاداً وليتأمّل هذا من اراد بنفسه خيراً

(٢) الصحابي المشهور واسمه صُدَيّ بن عجلان سكن الشام ومات بها سنة ٨٦ هـ تقريب

(٣) المتبادر أن الخامسة هي الجهل ومن المعلوم أن من جهل شيئاً عاداه

درجتين وللعلماء على الشهداء فضل درجة . أنشدني بعض شيوخي لابن دُرَيْد

أهلاً وسهلا بالذين أوَدُّهم وأحبهم في الله ذي الآلاء
أهلاً بقوم صالحين ذوي تقى غرّ الوجوه وزين كلّ ملاء
يسعون في طلب الحديث بعفة وتوقر وسكينة وحياء
لهم المهابة والجلالة والنهى وفضائل جلّت عن الإحصاء
ومداد ما تجري به أقلامهم أزكى وأفضل من دم الشهداء
ياطالبي علم النبي محمد ما أنتمُ وسوا كمُ بسواء

وروى من حديث أبي هريرة وأبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا جاء الموت طالب العلم وهو على حاله مات شهيداً وبعضهم يقول في ذلك لم يكن بينه وبين الانبياء إلا درجة في الجنة. وروي أيضاً مرفوعا من حديث ابن عباس وقد ذكرنا هذا الحديث باسناده فى كتابنا هذا في باب استدامة الطلب وفي باب جامع فضل العلم وفي اسناده اضطراب لأن منهم من يجعله عن سعيد بن المسيّب (١) عن ابن عباس ومنهم من يجعله عن سعيد عن أبي هريرة وأبي ذر ومنهم من يرسله عن سعيد والفضائل تروى عن كل أحد والحجة من جهة الاسناد انما تُتَقصَّى في الاحكام وفي الحلال والحرام : وعن ابي الدرداء انه قال من رأى الغدوّ والرواح الى العلم ليس بجهاد فقد نُقص في عقله ورأيه . وعن الأزدي قال سألت ابن عباس عن الجهاد فقال الا أدلك على خير من الجهاد فقلت بلى قال تبني مسجداً وتعلم فيه الفرائض والسنة والفقه في الدين

﴿ باب ﴾

(ذكر حديث صفوان بن عسَّال فى فضل العلم وذكر حديث أبي الدرداء فى ذلك وماكان في معناه)

عن زرّ بن حُبَيْش (٢) قال جاء رجل من مُراد يقال له صفوان بن عسال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد متكئ على بُرْدٍ له احمر قال فقال يارسول الله اني

---

(١) القرشي المخزومي المدني أحد فقهاء المدينة السبعة وسيّد التابعين ومُرسلاته اصح المراسيل مات سنة ٩١ وقيل اكثره من ابن خلكان (٢) الأَسدي أدرك الجاهلية ولم ير الرسول صلى الله عليه وسلم وهو من جلة التابعين ومن كبار اصحاب ابن مسعود مات سنة ٧٣ ه من الاستيعاب للمؤلف

جئت اطلب العلم قال مرحباً بطالب العلم إن طالب العلم لتحفُّ به الملائكة وتظله بأجنحتها فيركب بعضها بعضاً حتى يبلغوا السماء الدنيا من حبهم لما يطلب فما جئت تطلب قال قلت يارسول الله لا ازال اسافر بين مكة والمدينه فأفتني عن المسح على الخفين وذكر الحديث

وعن جميل بن قيس ان رجلا جاء من المدينة الى أبي الدرداء(١) وهو بدمشق فسأله عن حديث فقال له أبو الدرداء ما جائت بك حاجة ولا جئت في طلب التجارة ولا جئت إلاّ في طلب الحديث فقال له الرجلُ بلى فقال له أبو الدرداء أبشر فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مامن عبد يخرج يطلب علماً الا وضعت له الملائكة أجنحتها وسُلِك به طريق الى الجنة وانه يستغفر للعالم من في السموات ومن في الارض حتى الحيتان في البحر وان فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب إن العلماء هم ورثة الانبياء إن الانبياء لم يورّثوا ديناراً ولا درهماً ولكنهم ورّثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر. وعن ابن عباس قال معلّم الخير يصلي (٢) عليه دواب الأرض حتى الحوت في البحر. وعنه أيضاً قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم علماء هذه الأمة رجلان فرجل اعطاه الله علماً فبذله للناس ولم يأخذ عليه صُفْرًا (٣) ولم يشتر به ثمناً أولئك يصلي عليهم طير السماء وحيتان البحر ودوابُّ الأرض والكرام الكاتبون ورجل آتاه الله علماً فضنَّ به عن عباده وأخذ به صُفْرًا واشترى به ثمناً فذلك يأتي يوم القيامة مُلْجماً بلجام من نار. وعن أبي أُمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله وملائكته وأهل السموات والارض حتى النملة في جُحْرها وحتى الحوت في البحر يصلون على مُعلّمِ الناس الخير

﴿ باب ﴾

(دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم لمستمع العلم وحافظه ومبلّغه)

عن زيد ابن ثابت(٤) ان النبي صلى الله عليه وسلم قال نَضَّر الله امرأً سمع منا حديثاً

---

(١) هو عُوَيمر بن زيد بن قيس الانصاري صحابي جليل اوّل مشاهده أُحُد مات في آخر خلافه عثمان اهـ تقريب (٢) قال ابو عمر الصلاة ههنا الدعاء والاستغفار وهو معنى قوله في الحديث الآخر الملائكة تضع اجنحتها اي تدعو والله اعلم اهـ منه

(٣) الصُفْرُ سود الأبل ومنه قوله تعالى «كأنه جمالةٌ صُفْرٌ» والصُّفر أيضاً النحاس الجيد والذهب هـ من لسان العرب (٤) الانصاري النجاري الصحابي الجليل احد فقهاء الصحابة الجلة ومن الراسخين في العلم مات سنة ٤٥ وقيل أكثر هـ من الاستيعاب والتقريب

فحفظه وبلّغه غيره فربّ حامل فقه ليس بفقيه ثلاثٌ لايغلّ (١) عليهن قلبُ مسلم اخلاص العمل لله ومناصحة وُلاة الأمر ولزوم الجماعة فإن دعوتهم تُحيط من ورائهم • وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت نيته الآخرة جمع الله شمله وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة ومن كانت نيته الدنيا فرّق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا الا ما كتِبَ له • وفي رواية عن زيد بن ثابت قال قال رسول الله عليه وسلم نَضَّر الله امرًا سمع منا حديثاً فأدّاه عنا كما سمعه (٢) فإنه ربّ حامل فقه غير فقيه ثلاث لا يغلّ عليهن قلب مسلم وذكر الحديث .ورُوي مثله عن أنس بن مالك (قال ابو عمر) ورَوي هذا الحديث أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم ابو بَكْرة (٣) قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمِنى فقال .ألا فليبلّغ الشاهد منكم الغائب فإنه لعله أن يبلّغه من هو أوعى له منه او من هو أحفظ له قال أبو بكرة فقد كان هذا قد بلّغه أقوام من هو أوعى له منهم (قال أبو عمر) ورواه أيضاً عبد الله بن عمرو بن العاصي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب حامل فقه غير فقيه ومن لم ينفعه فقهه ضرّه جهله • ومن حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله من تعلم فريضة أو فريضتين فعمل بهما أو علّمهما من يعمل بهما • وعن شَهر بن حَوْشَب (٤) أنه سمع عبد الله بن عمرو بن العاصي يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما افاد المسلم اخاه فائدة افضل من حديث حسن بلغه فبلّغه • وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تسمعون ويُسمع منكم ويُسمع ممن يسمع منكم • وفي هذا الحديث ايضاً دليل على تبليغ العلم ونشره

﴿ باب ﴾

(قوله صلى الله عليه وسلم من حفظ على أمتي أربعين حديثاً)

عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حَمل على أمتي أربعين حديثاً لقي الله يوم القيامة فقيهاً عالماً (قال ابو عمر) اسناد هذا الحديث كله ضعيف • وعن

---

(١) من غل أو أغل بمعنى خان (٢) قوله (كما سمعه) ما الطف هذا التأكيد والبيان فإنه ما أضر بالأديان مثل الزيادات التي زيدت فيها وإن الوقوف عند ماحده الشارع هو المحك الوحيد للمتمسكين بشرعه من غيرهم (٣) واسمه نفَيع بن الحارث الصحابي الجليل المشهور بكنيته مات سنة ٥٢ هـ تقريب (٤) الاشعري صدوق كثير الإرسال مات سنة ١١٢ هـ تقريب

مالك عن نافع مولى ابن عمر عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حفظ على أمتي اربعين حديثاً من السنة حتي يؤديها اليهم كنت له شفيعا اوشهيداً يوم القيامة (قال ابو عمر) هذا احسن اسناد جاء به هذا الحديث ولكنه غير محفوظ ولا معروف من حديث مالك ومن رواه عن مالك فقد أخطأ عليه وأضاف ماليس من روايته إليه : وقدجاءهذا الحديث من روايات متعددة كلها متكلّم فيها وقال أبو علي بن السّكن ليس يروى هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم بوجه ثابت

﴿ باب جامع فى فضل العلم ﴾

حدثناخاف بن جعفر قال حدثنا عبدالوهاب بن الحسن الدمشقي بدمشق قال حدثنامحمد بن عبدالله بن عبدالسلام مكحول(١) ببيروت قال حدثنا اسحق بن سويد قال حدثنا أبو النضر اسحق بن ابراهيم قال حدثنا يزيد بن ربيعة قال حدثنا ربيعة بن هرمز عن واثلة بن الأسقع أن رسول الله صلى الله عايه وسلم قال من طلب علماً فأدركه كتب الله له كفلين من الاجر ومن طاب علماً فلم يدركه كان له كفل من الاجر (قال ابو عمر) احاديث الفضائل تسامح العلماء قديماً في روايتها عن كلٍّ ولم ينتقدوا فيها كانتقاد احاديث الاحكام. وعن أنس بن مالك قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عايه وسلم فقال يارسول الله ايّ الاعمال افضل قال العلم بالله عز وجل قال يارسول الله ايّ الاعمال افضل قال العلم بالله عز وجل قال يارسول الله أسألك عن العمل وتخبرني عن العلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن قايل العمل ينفع مع العلم وان كثير العمل لاينفع مع الجهل . وقد روي مثل هذا عن عبدالله بن مسعود ايضاً باسناد صالح . وعن ابي يوسف قال سمعت ابا حنيفة يقول حججت مع أبي سنة ثلاث وتسعين ولي ست عشرة سنة فاذا شيخ قد اجتمع عليه الناس فقلت لأبي من هذا الشيخ فقال هذا رجل قد صحب النبي صلى الله عله وسلم يقال له عبدالله بن الحرث بن جزءٍ فقلت لأبي قدّمني اليه حتى اسمع منه فتقدم بين يدي وجعل يفرّج الناس حتي دنوت منه فسمعته يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تفقه فى دين الله كفاه الله همهُ ورزقه من حيث لايحتسب (قال ابو عمر) ذكر محمد ابن سعد الواقدي ان ابا حنيفة رأى أنس بن مالك وعبد الله بن جزء الزبيدي . وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من غدا في طلب العلم صلّت عايه الملائكة وبورك له في معيشته ولم يُنقص رزقه وكان عليه مباركا . وعن كعب قال ما خرج

---

(١) من سَبْي كابل تابعي جايل لم يكن في زمنه ابصر منه بالفتيا مات سنة ١١٢ ﻫ ابن خلكان

رجل في طلب علم الا ضمّن الله السموات والارض رزقه . وعن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة الله على خلفائي رحمة الله على خلفائي رحمة الله على خلفائي قالوا ومن خلفاؤك يارسول الله قال الذين يحيون سنتي ويعلّمونها عباد الله . وعن ابي حنيفة عن حمّاد بن ابراهيم في قوله تعالى « و نضع الموازين القسط ليوم القيامة » قال يجاء بعمل الرجل فيوضع في كفّة ميزانه يوم القيامة فتخفّ فيجاء بشيء امثال الغمام او قال مثل السحاب فيوضع في كفة ميزانه فيرجح فيقال له أتدري ما هذا فيقول لا فيقال له هذا فضل العلم الذي كنت تعلمه الناس أو نحو هذا وعن وكيع قال سمعت سفيان الثوري يقول لا اعلم من العبادة شيئاً افضل من ان يعلم الناس العلم . وعن زيد بن اسلم في قوله تعالى « ولقد فضّلنا بعض النبيين على بعض » قال في العلم . وينسب الى عليّ رضي الله عنه من قوله (١) وهو مشهور سمعت غير واحد ينشده

الناس من جهة التمثيل اكفاء	أبوهمُ آدم والأمُّ حواءُ
نفس كنفس وارواح مشاكلة	وأعظُمٌ خُلقت فيهم واعضاء
فإن يكن لهم من اصلهم حسبٌ	يفاخرون به فالطين والماء
ما الفضل إلا لأهل العلم إنهم	على الهدى لمن استهدى أدلّاء
وقدرُ كل امرءٍ ما كان يحسنه	وللرجال على الأفعال اسماء
وضدّ كل امرءٍ ما كان يجهله	والجاهلون لأهل العلم اعداء

ورُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أوحى الله تبارك وتعالى الى ابراهيم صلى الله عليه وسلم يا ابراهيم إني عليم أُحبُّ كل عليم . وأنشدني ابو القاسم احمد بن عمر بن عبد الله بن عصفور لنفسه شعره هذا في العلم وهو احسن ما قيل في معناه

مع العلم فاسلك حيث ما سلك العلم	وعنه فكاشف كل من عنده فهم
ففيه جلاء للقلوب من العمى	وعون على الدين الذى امره حتم
واني رأيت الجهل يُزري بأهله	وذو العلم في الأقوام يرفعه العلم
يُعدّ كبيرَ القوم وهو صغيرهم	وينفد (٢) منه فيهم القول والحكم
وأيّ رجاء في امرئ شاب رأسه	وأفنى سنيه وهو مستعجم فَدْم(٣)
يروح ويغدو الدهر صاحب بطنة	تركّب في احضانها اللحم والشحم
اذا سئل المسكين عن امر دينه	بدت رُحَضاءُ العِيّ في وجهه تسمو

(١) وبعض المحققين ينسب هذه الابيات الى عليّ بن طالب القيرواني

(٢) اي يبلغ من نفد الشيء وانفدته اه لسان العرب (٣) بليد

وهل أبصرتْ عيناك اقبح منظراً ... من اشيبَ لا علمٌ لديه ولا حُكْمُ
هي السوأة السَّوآء فاحذر شماتها ... فأولها خزي وآخرها ذم
تخالط رواة العلم واصحب خيارهم ... فصحبتهم زين وخلطتهم غنم
ولا تعدونْ عيناك عنهم فإنهم ... نجوم إذا ما غاب نجم بدا نجم
فوالله لولا العلم ما اتضح الهدى ... ولا لاح من غيب الأمور لنا رسم

وقال سابق البلَوي المعروف بالبربري في قصيدة له

والعلم يجلو العمى عن قلب صاحبه ... كما يجلّي سواد الظلمة القمر
وليس ذو العلم بالتقوى كجاهلها ... ولا البصير كأعمى ماله بصر

وعن أحمد بن محمد بن يزيد بن مسلم الانصاري المعروف بابن ابي الخناجر قال كنا على باب محمد بن مصعب العرقساني جماعة من اصحاب الحديث وفينا رجل عراقي بصير بالشعر ونحن نتمنى ان يخرج الينا فيحدثنا حديثاً واحداً او حديثين إذ خرج الينا فقال قد خطر على قلبي بيت من الشعر فمن اخبرني لمن هو حدثته ثلاثة احاديث فقال الفتى العراقي رحمك الله أيّ بيت هو فقال الشيخ

العلم فيه حياة للقلوب كما ... تحيا البلاد اذا ما مسها المطر

فقال الفتى هو لسابق البربري فقال الشيخ صدقت فما بعده فقال

والعلم يجلو العمى عن قلب صاحبه ... كما يجلّي سواد الظلمة القمر

فقال الشيخ صدقت فحدثه ستة احاديث سمعناها معه . وعن عبدالله بن عمرو بن العاصي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ بمجلسين في مسجده احد المجلسين يدعون الله ويرغبون اليه والآخر يتعلمون الفقه ويعلمونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا المجلسين على خير وأحدهما افضل من صاحبه اما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون اليه فان شاء أعطاهم وان شاء منعهم وأما هؤلاء فيتعلمون ويعلّمون الجاهل وإنما بعثت مُعَلِّمًا ثم أقبل فجلس معهم • وكان عبيد الله بن ابي جعفر يقول العلماء (١) منار البلاد منهم يقتبس النور الذي يهتدى به • وقال ابن مسعود نعم المجلس مجلس تُنشر فيه الحكمة

(١) ينبغي لطالب العلم اذا رأى مثل هذا الكلام أن يحققه في نفسه ولا يجعله وسيلة للفخر وأخذ المنزلة في القلوب بدون عمل ينطبق على ذلك • ولذا قد ضعف اعتبار الناس لكثير ممن اتسموا بالعلم بلا عمل، وامترشوا البلادة والكسل • أيقظهم الله لما فيه خيرهم وعرّفهم كيف يعلمون ويعملون آمين

و ترجى فيه الرحمة • وعن الحسن قال من طلب الحديث يريد به وجه الله كان خيراً له مما طلعت عليه الشمس • وعن الزهري قال ما عُبد الله بمثل العلم وعن اسحق بن ابراهيم بن بسطاس قال قال لي عمر مولى غفرة يا اسحق عليك بالعلم فانه لا يَعْدَمك منه كلمة تدل على هدى أو أخرى تنهى عن ردًى • ولما حضرت معاذ بن جبل الوفاة قال لجاريته ويحك هل أصبحنا قالت لا ثم تركها ساعة ثم قال انظري فقالت نعم فقال أعوذ بالله من صباح الى النار ثم قال مرحباً بالموت مرحباً بزائر جاء على فاقة لا أفلح من نَدِم اللهم انك تعلم أني لم أكن أحب البقاء في الدنيا لجري الأنهار ولا لغرس الأشجار ولكني كنت أحب البقاء لمكابدة الليل الطويل ولظمأ الهواجر في الحرّ الشديد ولمزاحمة العلماء بالركب في حلق الذكر(١) • وعن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العالم أمين الله في الأرض • وعن الحسن في قوله تعالى «وبنا آتنا في الدنيا حسنة» قال العلم(٢) والعبادة «وفي الآخرة حسنة» أي الجنة • وقال ابن وهب سمعت سفيان الثوري يقول الحسنة في الدنيا الرزق الطيب والعلم والحسنة في الآخرة الجنة • وعن الحسن قال ان الرجل يتعلم الباب من العلم فيعمل به خيرٌ من الدنيا وما فيها • وعن عمر بن الخطاب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حَدَّث بحديث فعمل به أُعطي أجر ذلك • وروينا عن عبد الله بن مسعود من طُرُق أنه كان يقول اذا رأى الشباب يطلبون العلم مرحباً بينابيع الحكمة ومصابيح الظُّلَم خُلْقان الثياب جُدَد القلوب حُبْس البيوت رَيْحان كل قبيلة • وخطب زياد على منبر الكوفة فقال اني بتّ ليلتي هذه مهتماً بثلاثٍ بذي العلم وبذي الشرف وبذي السن ولا والله لا أُوتي برجل ردّ على ذي علم ليضع بذلك منه

---

(١) المراد بالذكر العلم ومنه قوله تعالى «فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون»

(٢) وفي الحقيقة لا ارتقاء إلاّ بالعلم ولا عز ولا حياة بدونه ويعجبني بيتان أوصى بهما يحيى بن عدي الحكيم تلميذه اسحق بن زُرعة ان يكتبهما على قبره وهما

رب ميتٍ قد صار بالعلم حيا ومبقّى قد مات جهلاً وعيّا
فاقتنوا العلم كي تنالوا خلوداً لا تعدّوا الحياة في الجهل شيّا

ومن نظر الى تسابق الأمم في ميدان هذه الحياة لا يجد لها سبباً لفوزها الاّ العلم فهو منير السبل وكشاف الحقائق ولا بدّ ان يعرف الانسان ما هو العلم الذي يسود به وكيف يصل اليه كما قلت من قصيدة

وما العلم الاّ ما افادك قوة تنال بها عزّاً وتسقاد للتقوى

الاّ عاقبته ولا أُوتي برجل ردّ على ذي شرف ليضع بذلك من شرفه الاّ عاقبته ولا أُوتى برجل ردّ على ذي شيبة ليضعه بذلك الاّ عاقبته انما الناس بعلمائهم وأعلامهم وذوي أسنانهم • وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقّر كبيرنا ويعرف لعالمنا يعني حقه • وعن ابي غنية الخولاني قال رب كلمةٍ خيرٌ من اعطاء المال (١) لأن المال يُطغيك والكلمة تهديك • وروينا عن عبد الله بن المبارك انه خيّر سليمان بن داود عليهما السلام بين الملك والعلم فاختار العلم فآتاه الله العلم والملك معه باختياره العلم • وعن الحسن عن مُعاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلّموا العلم فان تعليمه لله خشية وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله لأهله قربة لأنه معالم الحلال والحرام ومنار سبل أهل الجنة وهو الآنس في الوحشة والصاحب في الغربة والمحدّث في الخلوة والدليل على السراء والضراء والسلاح على الأعداء والزين عند الأخلاء يرفع الله به أقواما فيجعلهم في الخير قادة وأئمة تُقتَصّ آثارهم ويُقتدى بفعالهم ويُنتهى الى رأيهم ترغب الملائكة في خدمتهم وبأجنحتها تمسحهم يستغفر لهم كل رَطْب ويابس وحيتان البحر وهوامّه، وسباع البرّ وأنعامه، لأن العلم حياة القلوب من الجهل ومصابيح الأبصار من الظلم يبلغ العبد بالعلم منازل الأخيار والدرجات العلى في الدنيا والآخرة التفكر فيه يعدل الصيام ومدارسته تعدل القيام، به توصل الأرحام، وبه يعرف الحلال والحرام، هو إمام العمل والعمل تابعه ويلهمه السعداء ويحرمه الاشقياء (قال ابو عمر) هكذا حدثنيه ابو عبد الله عبيد الله بن محمد رحمه الله مرفوعا باسناده وهو حديث حسن جداً ولكن ليس له اسناد قوي ورويناه من طرق شتى موقوفا

(قف على حديث جليل)

ووجدت في كتاب أبي رحمه الله بخطه أنشدنا ابو عمر أحمد بن سعيد لبعض الأدباء

رأيت العلم صاحبه شريفٌ ... وان ولدته آباءٌ لئامُ
وليس يزال يرفعه الى أن ... يعظّم قدره القوم الكرام
ويتّبعونه في كل أمر ... كراعي الضأن يتبعه السَّوام
ويُحمل قوله في كل أفق ... ومن يك عالماً فهو الإمام
فلولا العلم ماسعدت نفوس ... ولا عُرف الحلال ولا الحرام
فبالعلم النجاة من المخازي ... وبالجهل المذلة والرّغام
هو الهادي الدليل الى المعالي ... ومصباح يضيء به الظلام

---

(١) قلت وهذا مأخوذ من قوله تعالى «قول معروف ومغفرةٌ خير من صدقة يتبعُها أذىً»

كذاك عن الرسول اتى عليه من الله التحية والسلام

وهذه الابيات لبكر بن حماد أنشدناها عنه جماعة

وعن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع • وعن سفيان ما يُراد الله بشيء أفضل من طلب العلم وما طُلب العلم في زمان أفضل منه اليوم • وعن عبد الرزاق قال سمعت سفيان يقول لرجل من العرب ويحكم اطلبوا العلم فاني اخاف ان يخرج العلم من عندكم فيصير الى غيركم فتذلّون اطلبوا العلم فانه شرف في الدنيا وشرف في الآخرة • قال وحدثنا محمد بن علي قال سمعت خالد بن خِداش البغدادي قال ودّعت مالك بن انس فقلت يا ابا عبد الله أوصني قال عليك بتقوى الله في السر والعلانية والنصح لكل مسلم وكتابة العلم من عند اهله •

(قف على قول سفيان)

انشدني ابو بكر قاسم بن مروان الورّاق لنفسه

مالي بقيت واهل العلم قد ذهبوا عنا وراحوا الى الرحمن وانقلبوا
اصبحت بعدهم شيخاً اخا كِبَر كالسِّلك تعتادني الاسقام والوصب
صحبتهم وزمام الطرف يجمعنا دهراً دهيراً فزانوا كل من صحبوا

في قصيدة مطوّلة يذكر فيها قوماً من فقهاء قرطبة سلفوا رحمهم الله وفي شعره ذلك

والعلم زين وتشريف لصاحبه اتت الينا بذا الأنباء والكتب
والعلم يرفع اقواما بلا حسب فكيف من كان ذا علم له حسب
فاطلب بعلمك وجه الله محتسبا فما سوى العلم فهو اللهو واللعب

ولي معارضة لقول القائل

واذا طلبتَ من العلوم اجلها فأجلُّها منها مقيم الألسن

بقولي : العلم يرفع كل بيت هين والفقه يجمل بالاليب الديّن
والحرّ يُكرم بالوقار وبالنهى والمرء تحقره اذا لم يوزن
فاذا طلبت من العلوم اجلها فأجلُّها عند التقي المؤمن
علم الديانة وهو ارفعها الذي كل امرئ متيقظ متدين
هذا الصحيح ولا مقالة جاهل فأجلها منها مقيم الالسن
لو كان مهتدياً لقال مبادراً فأجلها منها مقيم الادين

ولبعض الادباء

يعدُّ رفيع القوم من كان عالماً وان لم يكن في قومه بحسيب
وان حلّ ارضا عاش فيها بعلمه وماعالمٌ في بلدة بغريب

وفي حكمة داود عليه السلام العلم في الصدور كالمصباح في البيت • وقيل لبعض الحكماء الاوائل أي الاشياء ينبغي للعاقل أن يقتنيها قال الاشياء التي اذا غرقت سفينته سبحت معه يعني العلم (١) وقال غيره من اتخذ الحكمة لجاماً اتخذه الناس اماماً ومن عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار • وقال عبد الملك بن مروان لبنيه يابني تعلموا العلم فان استغنيتم كان لكم جمالاً وان افتقرتم كان لكم مالاً • وعن أبي الدرداء انه قال يرزق الله العلم السعداء ويحرمه الاشقياء • وعن علي رضي الله عنه قال العلم خير من المال لأن المال تحرسه والعلم يحرسك والمال تفنيه النفقة والعلم يزكو بالإنفاق والعلم حاكم والمال محكوم عليه مات خزّان الأموال وهم أحياء والعلماء باقون مابقي الدهر أعيانهم مفقودة وآثارهم في الكون موجودة (قال أبو عمر) من قول علي هذا أخذ سابق بن حريم البربريّ قوله والله أعلم

موت التقى حياة لا انقطاع لها ... قد مات قوم وهم في الناس احياء

ولأبي سليمان جليس ثعلب

لقد ضلّت حلوم من أناس ... يرون العلم افلاساً وشوماً

كسانا علمنا فخراً وجوداً ... وبالجهل اكتسوا العجز أولوماً

هم الثيران ان فكرت فيهم ... فكيف بأن ترى ثوراً عليما

فجانبهم ولا تعتب عليهم ... وكن للكتب دونهمُ نديما

وقال اسمعيل بن جعفر بن سليمان الهاشمي عجبت لمن لم يكتب العلم كيف تدعوه نفسه الى تكرمةٍ • وأنشدني أبو العيناء وغيره للجاحظ ويقال انه ليس له غير هذه الابيات

يطيب العيش ان تلقى لبيباً ... غذاه العلم والرأي المصيب

فيكشف عنك حيرة كل جهل ... وفضل العلم يعرفه الاريب

سقام الحرص ليس له دواء ... وداء الجهل ليس له طبيب

وقال بعض الحكماء مِنْ شرف العلم وفضله أن كلّ من نسب اليه فَرِحَ بذلك وإن لم يكن من أهله وكلّ من دُفع عنه ونسب إلى الجهل عزّ عليه ونال ذلك من نفسه وإن

---

(١) يشير بهذا الى الاعتناء بحفظ العلم وعدم الاتكال على مافي الكتب ولذا قيل • العلم فاز به الحفاظ ، وقال الجاحظ إذا أُنكح الفكر الحفظ ولّد العجائب • ولمنصور الفقيه

علمي معي اينما يممت يتبعني ... قلبي وِعاءٌ له لابطن صندوقي

ان كنت في البيت كان العلم فيه معي ... اوكنت في السوق كان العلم في السوق

كان جاهلا . وعن سفيان قال إن من كمال التقوى أن تبتغي إلى ماقد علمت علم مالم تعلم . وروي هذا عن عون بن عبد الله بزيادة وهي . من كمال التقوى أن تطلب إلى ماقد علمت علم مالم تعلم واعلم أن التفريط فيما قد علمت ترك ابتغاء الزيادة فيه وإنما يحمل الرجل على ترك ابتغاء الزيادة فيما قد علم قلة الانتفاع بما علم . وقال جعفر بن محمد . الكمال كل الكمال التفقهُ في الدين والصبرُ على النائبة وتدبيرُ المعيشة قال وما موت أحد أحبّ إلى إبليس من موت فقيه . وقال بعض الحكماء من الدليل على فضيلة العلماء أن الناس تحبّ طاعتهم . وكان يقال العلم أشرف الأحساب والأدب والمروءة ارفع الأنساب . وقال بعض الحكماء أفضلُ العلم وأولى ما نافست عليه منه علم عرفتَ به الزيادة في دينك ومروءتك . وقال الأحنف كاد العلماء أن يكونوا أرباباً وكل عزّ لم يؤكّد بعلم فإلى ذلّ مايصير . ويقال مثل العلماء مثل الماء حيثما سقطوا نفعوا وقيل لبزرجمهر أيّما أفضل الأغنياء أو العلماء فقال العلماء فقيل له فما بال العلماء يأتون أبواب الاغنياء قال لمعرفة العلماء بفضل الغنى وجهل الاغنياء بفضل العلم . وعن الحسن قال كان الرجل إذا طلب العلم لم يَلْبثْ أن يُرى ذلك في تخشّعه وبصَره ولسانه ويده وصلاته وزهده وإن كان الرجل ليصيب الباب من أبواب العلم فيعمل به فيكون خيراً له من الدنيا ومافيها لوكانت له فجعلها في الآخرة . وكان الحسن يقول والله ماطلب العلم أحد إلا كان حظّه منه ما أراد به . وعن مُصْعَب بن عبد الله قال قال لنا أبي أطلبوا العلم فإن يكن لك مال أجدك جمالا وإن لم يكن لك مال أكسبكَ مالا . وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا أتى عليّ يوم لاأزداد فيه علماً يقرّبني من الله فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم . (قال أبو عمر) أخذه بعض المتأخرين وهو علي بن محمد الكاتب البُسْتي (١) فقال

دعوني وأمري واختياري فإنني بصير بما أفري وأبرم من أمري
إذا مامضى يوم ولم أصطنع يداً ولم أقتبس علماً فما هو من عمري

وكتب رجل الى اخ له إنك قد أُوتيت علماً فلا تطفئ نور علمك بظلمات الذنوب فتبقى في ظلمة يوم يسعى اهل العلم بنور علمهم الى الجنة . ومن حديث ابن عمر قال قال

(قف على قول جعفر بن محمد)

---

(١) الشاعر المشهور صاحب الطريقة الانيقة والتجنيس الانيس فمن الفاظه . من أصلح فاسده ، أرغم حاسده ، من أطاع غضبه ، أضاع أدبه ، من سعادة جدّك ، وقوفك عند حدّك ، وله ديوان شعر مطبوع في بيروت . توفي سنة ٤٠١ بخارى وأما بُسْتُ بلده فهي من أعمال سِجِسْتان ه من تاريخ ابن خلكان مع زيادة

رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اهدى المرء لأخيه هدية افضل من كلمة حكمة يزيده الله بها هدى او يرده بها عن ردى ، وعن علي الأَزدي قال سألت ابن عباس عن الجهاد فقال الا ادلك على ماهو خير لك من الجهاد تبني (١) مسجداً تُعلِّم فيه القرآن وسنن النبي صلى الله عليه وسلم والفقه في الدين . وعن تميم الداري قال تطاول الناس في البنيان زمن عمر بن الخطاب فقال يامعشر العرب الأرضَ الأرضَ إنه لا إسلام الا بجماعة ولا جماعة الا بإمارة ولا امارة الا بطاعة ألا فمن سوّده قومه على فقه كان ذلك خيراً له ومن سوّده قومه على غير فقه كان ذلك هلاكاً له ولمن اتبعه . وعن المبرِّد قال كان يقال تعلّموا العلم فانه سبب الى الدين ومَنْبَهةٌ للرجل ومؤنس في الوحشة وصاحب في الغربة ووصلة في المجلس وجالب للمال وذريعة في طلب الحاجة . وقال ابن المقفَّع اطلبوا العلم فان كنتم ملوكاً برّزتم وان كنتم سُوقةً عشتم . وقال ايضاً اذا اكرمك الناس لمال او سلطان فلا يعجبنك ذلك فان زوال الكرامة بزوالهما ولكن ليعجبك اذا اكرموك لعلم او دين : ويقال ثلاثة لا بد لصاحبها ان يسود ألفقه والأمانة والأدب . وقيل للقمان الحكيم اي الناس افضل فقال مؤمن عالم ان ابتُغِيَ عنده الخير وُجد . وقال الحجاج (٢) لخالد بن صفوان مَنْ سيّد اهل البصرة فقال له الحسن فقال وكيف ذلك وهو مولى فقال احتاج الناس اليه في دينهم واستغنى عنهم في دنياهم وما رايت احداً من اشراف البصرة الا وهو يروم الوصول في حلقته اليه ليسمع قوله ويكتب علمه فقال الحجاج هذا والله السؤدد . وروينا ان معاوية (٣) بن ابي سفيان حج في بعض حجاته فاتى بالأبطح مجاساً فجلس عليه ومعه زوجته ابنة قرظة بن عبد عمرو ابن نوفل فاذا هو بجماعة على رحال لهم واذا شاب منهم قد رفع عَقِيرَتَهُ يغنّي

وأنا الأخضر من يعرفني أخضر الجلدة في بيت العرب

---

(١) مثل هذه الاجوبة لاشك أنه قد روعي فيها حال السائل من جهة وما تقتضيه الظروف وتمسّ اليه الحاجة من جهة اخرى ولذا تختلف الأجوبة على حسب اختلاف الأحوال، ولكل مقام مقال (٢) ابن يوسف الثَّقَفِي السفَّاك المشهور واخباره كثيرة وهو الذي فزع الى كُتَّابه حينما فشا التصحيف في قراءة القرآن ان يضعوا للحروف المشتبهة علامات فيقال ان نصر بن عاصم قام بذلك فوضع النقط . وهو الذي بنى مدينة واسط وإنما سمّاها واسط لانها متوسطة بين البصرة والكوفة ومات سنة (٩٥) هجريه هـ من ابن خلكان (٣) الاموي ابو عبد الرحمن الخليفة صحابي جليل اسلم قبل الفتح وكتب الوحي مات سنة (٦٠) هـ من تقريب التهذيب

من يساجلني يساجلْ ماجداً   يملأُ الدلو الى عقد الكرب

فقال معاوية من هذا فقالوا فلان بن جعفر بن أبي طالب قال خلّوا له الطريق فايذهب ثم اذا هو بجماعة فيهم غلام يغني

بينما يذكرنني أبصرتني   عند قدّ الميل يسعى بي الأغر

قلن تعرفن الفتى قلن نعم   قد عرفناه وهل يخفى القمر

قال من هذا قالوا عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة (١) قال خلّوا له الطريق فايذهب ثم اذا هو بجماعه حول رجل يسئلونه فبعضهم يقول رميت قبل أن أحلق وبعضهم يقول حلقت قبل أن أرمي يسئلونه عن أشياء أشكلت عليهم في مناسك الحج فقال من هذا قالوا هذا عبد الله بن عمر فالتفت الى زوجته ابنة قرظة فقال هذا وأبيك الشرف هذا والله شرف الدنيا والآخرة .

وعن سفيان بن عيينة في قوله « عز وجل او أثارةٍ من علم » قال الرواية عن الانبياء

﴿ باب ذكر كراهية كتاب العلم وتخليده في الصحف ﴾

عن ابي سعيد الخدري (٢) رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تكتبوا عني شيئاً سوى القرآن فمن كتب عني شيئاً سوى القرآن فليمحه • ودخل زيد بن ثابت على معاوية فسأله عن حديث وأمر انساناً ان يكتبه فقال له زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امرنا ان لا نكتب شيئاً من حديثه فمحاه • وعن عبد الله بن يسار قال سمعت علياً يخطب يقول أعزمُ على كل من عنده كتاب الارجع فمحاه فانما هلك الناس حيث تتبعوا أحاديث علمائهم وتركوا كتاب ربهم . وعن أبي نضرة (٣) قال قلت لابي سعيد الخدري ألا نكتب ما نسمع منك قال تريدون أن تجعلوها مصاحف ان نبيكم صلى الله عليه وسلم كان يحدثنا فنحفظ فاحفظوا كما كنا نحفظ • وعن ابن وهب قال سمعت مالكا يحدث أن عمر بن الخطاب (٤) اراد ان يكتب هذه الاحاديث او كتبها ثم قال لا كتاب مع كتاب الله • قال مالك لم يكن مع ابن شهاب كتاب الا كتاب فيه نسب قومه قال ولم يكن القوم يكتبون انما كانوا يحفظون فمن

---

(١) القُرَشي المخزومي الشاعر المشهور المتوفى غريقاً في سفينة سنة (٩٣) (٢) هو سعد بن مالك الصحابي الجليل ولابيه صحبة وروى الكثير مات بالمدينة سنة ٦٥ وقيل ٧٤ هـ من التقريب (٣) هو المنذر بن مالك بن قُطَعَة العَبْدي العَوَقي مات سنة ١٠٨ هـ من التقريب (٤) امير المؤمنين والخليفة الثاني ملأ طباق الارض بسيرته وعدله رضي الله عنه استشهد سنة ٢٣ من الهجرة هـ من التقريب مع زيادة

كتب منهم الشيء فإنما كان يكتبه ليحفظه فإذا حفظه محاه · وعن عروة أنّ عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنن فاستفتى أصحاب رسول الله في ذلك فأشاروا عليه أن يكتبها فطفق عمر يستخير الله فيها شهراً ثم أصبح يوما وقد عزم الله له فقال إني كنت أريد أن أكتب السنن وإني ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتباً فأكبّوا عليها وتركوا كتاب الله وإني والله لا أشوب (وفي نسخة لا ألبس) كتاب الله بشيء أبدا · وعن ابن عباس أنه قال إنا لا نكتب العلم ولا نكتبه · وعن الشعبي (١) أن مروان دعا زيداً ابن ثابت وقوما يكتبون وهو لايدري فأعلموه فقال أتدرون لعلّ كل شيء حدّثكم به ليس كما حدثكم وعن ابن سيرين (٢) قال إنما ضلت بنو إسرائيل بكتب ورثوها عن آبائهم

وعن الاسود بن هلال(٣) قال أُتي عبد الله بن مسعود بصحيفة فيها حديث فدعا بماء فمحاها ثم غسلها ثم أمر بها فأحرقت ثم قال أُذكّر الله رجلا يعلمها عند أحد إلا أعلمني به والله لو أعلم أنها بدَيْر هند لبلغتها بهذا هلك أهل الكتاب قبلكم حتى نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لايعلمون · وعن الضحاك قال يأتي على الناس زمان يكثر فيه الاحاديث حتى يبقى المصحف بغباره لاينظر فيه · وعن ابن عباس أنه كان ينهى عن كتاب العلم وقال إنما ضل من كان قبلكم بالكتب · وعن أيوب قال سمعت سعيد بن جُبَيْر «٤» قال كنا نختلف في أشياء فنكتبها في كتاب ثم أتيت بها ابن عمر أسئله عنها خفيا فلو علم بها لكانت الفيصل بيني وبينه · وعن عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه قال أصبت أنا وعلقمة صحيفة فانطلق معي الى ابن مسعود بها وقد زالت الشمس أو كادت تزول فجلسنا بالباب ثم قال للجارية انظري من بالباب فقالت علقمة والاسود فقال إيذني لهما فدخلنا فقال كأنكما قد أطلتما الجلوس قلنا أجل قال فامنعكما أن تستأذنا قالا خشينا أن تكون نائماً قال ما أحب

---

(١) هو أبو عمرو عامر بن شراحيل الشعبي كوفي تابعي جليل القدر وافر العلم روي أن ابن عمر مرّ به يوماً وهو يحدث بالمغازي فقال شهدت القوم وانه لأعلم بها مني وقال الزُّهري العلماء أربعة ابن المسيّب بالمدينة والشعبي بالكوفة والحسن البصري بالبصرة ومكحول بالشام ويقال إنه أدرك خمسمائة صحابي ومات سنة (١٠٤) فجأة هـ من ابن خلكان

(٢) هو أبو بكر محمد ابن سيرين البصري أحد فقهاء البصرة تابعي جليل مات سنة (١١٠) بالبصرة هـ من ابن خلكان (٣) المحاربي الكوفي مخضرم ثقة جليل مات سنة (٨٤) اهـ من التقريب (٤) الأسدي بالولاء أحد أعلام التابعين أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر قتل بين يدي الحَجاج سنة (٩٥) للهجرة بواسط هـ من ابن خلكان

أن تظناني هذا إن هذه ساعة كنا نقيسها بصلاة الليل فقلنا هذه صحيفة فيها حديث حسن قال هاتها ياجارية هاتي الطست واسكبي فيه ماء فجعل يمحوها بيده ويقول « نحن نقص عليك أحسن القصص » قلنا أنظر فيها فإن فيها حديثاً عجيباً فجعل يمحوها ويقول إن هذه القلوب أوعية فاشغلوها بالقرآن ولا تشغلوها بغيره . قال أبو عُبَيْدٍ (أحد رواة هذه القصة) يرى أن هذه الصحيفة أُخذت من أهل الكتاب فلذا كَرِه عبد الله رحمه الله النظر فيها

وقال مسروق لعلقمة اكتب لي النظائر قال أما علمت أن الكتاب يكره قال بلى إنما أريد أن أحفظها ثم أحرقها . وعن القاسم أنه كان لايكتب الحديث . وعن ابن شُبرُمة(١) قال سمعت الشعبي يقول ما كتبت سواداً في بياض قط ولا استعدت حديثاً من إنسان مرتين . وعن اسحق بن اسمعيل الطالقاني (٢) قال قلت لجرير يعني ابن عبد الحميد أكان منصور يعني ابن المعتمر يكره كتاب الحديث قال نعم منصور ومُغيرة والأعمش كانوا يكرهون كتاب الحديث . وعن الوليد بن مسلم قال سمعت الأوزاعي يقول كان هذا العلم شيئاً شريفاً إذا كان من أفواه الرجال يتلاقونه ويتذاكرونه فلما صار في الكتب ذهب نوره وصار الى غير أهله . وعن الفضيل بن عمرو (٣) قال قلت لابراهيم إني آتيك وقد جمعت المسائل فاذا رأيتك كأنما تخاس مني وأنت تكره الكتاب قال لاعليك فانه قلّما طلب انسان علما الا آتاه الله منه مايكفيه وقلما كتب رجلٌ كتاباً الا اتكل عليه

(قال أبو عمر) من كره كتاب العلم انما كرهه لوجهين أحدهما أن لا يتخذ مع القرآن كتابٌ يضاهى به ولئلا يتكل الكاتب على مايكتب فلا يحفظ فيقلّ الحفظ كما قال الخليل(٤)

ليس بعلم ما حوى القِمَطْرُ   ما العلم الا ما حواه الصدر

وأنشدني بعض شيوخي لمحمد بن بشير بإسناد لا أحفظه

---

(١) هو عبدالله ابن شبرمة بن الطفيل بن حسان الضبي الكوفي القاضي ثقة فقيه مات سنة (١٤٤) اهـ من التقريب (٢) نزيل بغداد يعرف باليتيم ثقة تكلم في سماعه من جرير وحده مات سنة (٣٢٠) اهـ من التقريب (٣) الفُقَيمي أبو النضر الكوفي ثقة مات سنة عشر ومائة اهـ من التقريب (٤) ابن أحمد الأزدي اليحمدي كان إماما في النحو وهو الذي استنبط علم العروض قال حمزة الاصبهاني في حقه في كتابه الذي سماه التنبيه على حدوث التصحيف . وبعدُ فان دولة الاسلام لم تُخرج أبدع للعلوم التي لم يكن لها عند علماء العرب أصول من الخليل مات سنة (١٧٠) وقيل (١٧٥) اهـ من ابن خلكان

أما لو أعي كل ما أسمعُ واحفظ من ذاك ما أجمع
ولم أستفد غير ما قد جمعت لقيل هو العالم المقنع
ولكن نفسي الى كل فنّ من العلم تسمعه تنزع
فلا أنا أحفظ ما قد جمعت ولا انا من جمعه أشبع
ومن يكُ في علمه هكذا يكن دهره القهقرى يرجع
اذا لم تكن حافظاً واعياً فجمعك للكتب لا ينفع
أأحضر بالجهل في مجلسي وعلميَ فى الكتب مُستودع

وقال أبو العتاهية (١)

مَنْ مُنح الحفظ وعى من ضيّع الحفظ وَهِم

وقال أعرابي حرف في تامُورك خير من عشرة فى كتبك (قال ابو عمر) التامور علقة القلب. وسمع يونس بن حبيب رجلاً ينشد

استودعَ العلم قِرطاساً فضيّعه وبئس مُستودَع العلم القراطيس

فقال يونس قاتله الله ما أشدّ صيانته للعلم وصيانته للحفظ إن علمك من روحك وإن مالك من بدنك فصُنْ علمك صيانتك روحك وصن مالك صيانتك بدنك

(قال أبو عمر) مَنْ ذكرنا قوله في هذا الباب فإنما ذهب في ذلك مذهب العرب لأنهم كانوا مطبوعين على الحفظ مخصوصين بذلك والذين كرهوا الكتاب كابن عباس والشعبي وابن شهاب والنخعي وقتادة ومن ذهب مذهبهم وجُبل جبلّتهم كانوا قد طبعوا على الحفظ فكان أحدهم يجتزي بالسمعة ألا ترى ماجاء عن ابن شهاب أنه كان يقول إني لأمرّ بالبقيع فأسُدُّ آذاني مخافة أن يدخل فيها شيءٌ من الخنا فوالله ما دخل أذني شيءٌ قط فنسيته. وجاء عن الشعبي نحوه وهؤلاء كلهم عرب. وقال صلى الله عليه وسلم نحن أمة أُميّة لا نكتب ولا نحسب وهذا مشهور أن العرب قد خصّت بالحفظ كان بعضهم يحفظ أشعار بعض في سمعة واحدة. وقد جاء عن ابن عباس حفظ قصيدة عمر بن أبي ربيعة : أمِنْ آل نُعم أنت غادٍ فمُبكرُ : في سَمْعة واحدة فيما ذكروا وليس أحد اليوم على هذا ولولا الكتاب لضاع كثير من العلم. وقد أرخص رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتاب العلم ورخّص فيه جماعة من العلماء وحَمِدوا ذلك ونحن ذاكروه بعد هذا بعون الله ان شاء الله. وقد دخل على

---

(١) هو أبو اسحق اسمعيل بن القاسم العَنَزي بالولاء الشاعر المشهور المتوفى ببغداد سنة ٢١١ وله ديوان جمعه ابن عبد البرّ صاحب أصل هذا المختصر هـ من ابن خلكان

ابراهيم النخعي (١) شيء في حفظه لتركه الكتاب ٠ وعن منصور قال كان ابراهيم يحذف الحديث فقلت له ان سالم بن الجعد يُتمّ الحديث قال ان سالماً كتب وأنا لم أكتب (قال أبو عمر) فهذا النخعي مع كراهته لكتاب الحديث قد أقرّ بفضل الكتاب

﴿باب الرخصة فى كتاب العلم﴾

عن أبي هريرة قال لما فتحت مكة قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الخطبة خطبةُ النبي صلى الله عليه وسلم قال فقام رجل من اليمن يقال له أبو شاة فقال يارسول الله اكتبوا لي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتبوا لأبي شاة يعني الخطبة ٠ وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه قال قلت يارسول الله اكتب كل ما أسمع منك قال نعم. قلت في الرضى والغضب قال نعم فإني لا أقول في ذلك كله الا حقاً ٠ وعن همام بن منبّه (٢) أنه سمع أبا هريرة يقول لم يكن أحد من أصحاب محمد أكثر حديثاً مني الا عبد الله بن عمرو فإنه كتب ولم أكتب ٠ وعن عبد الله بن عمرو قال كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى عليه وسلم أُريد حفظه فنهتني قريش وقالوا أتكتب كل شيء تسمعه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتكلم في الرضا والغضب فأمسكت عن الكتاب فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأومى بأصبعه الى فيه وقال أكتب فوالذي نفسي بيده مايخرج منه الا حقّ

وعن مُطَرِّف بن طَرِيف (٣) قال سمعت الشّعبي يقول أخبرني أبو جحيفة قال قلت لعلي بن أبي طالب هل عندكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء سوى القرآن قال لا والذي فلق الحبة وبرأ النّسمة إلا أن يُعطيَ الله عبداً فهماً في كتابه وما في هذه الصحيفة قلت وما في الصحيفة قال العقل وفِكاك الاسير وألاّ يُقتل مسلم بكافر. وقد روي عن علي رضي الله عنه في هذه الصحيفة وجهان أحدها تحريم المدينة ولعن من انتسب الى غير مواليه في حديث فيه طول وفيه المسلمون تتكافأ دماؤهم الحديث رواه عن علي يزيد التيمي وحلاس . وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب الصدقات والديات والفرائض والسنن لعمرو بن حزم وغيره ٠ وعن أبي جعفر محمد بن علي قال وجد في قائم سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيفة مكتوب فيها ملعون من أضلّ أعمى عن

---

(١) أحد الائمة المشهورين تابعي جليل ونسبته الى النخع قبيلة من مَذْحِج باليمن هـ من تاريخ ابن خلكان (٢) بن كامل الصنعاني اخو وهب ثقة مات سنة ١٣٢ اهـ تقريب (٣) ثقة فاضل مات سنة ١٤١ وقيل بعدها هـ تقريب التهذيب لابن حجر

سبيل ملعون من سرق تخوم الأرض ملعون من تولى غير مواليه أو قال ملعون من جحد نعمة من أنعم عليه • وعن عبد الله بن عمرو قال مايرغبني في الحياة الا خصلتان الصادقة والوَهْط(١) فأما الصادقة فصحيفة كتبتها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما الوهط فأرض تصدق بها عمرو بن العاصي كان يقوم عليها • وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قيّدوا العلم بالكتاب • وعن عبد الملك بن سفيان عن عمه أنه سمع عمر بن الخطاب يقول قيدوا العلم بالكتاب • وعن معن قال أخرج إليّ عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود كتاباً وحلف لي أنه خط أبيه بيده • وعن أبي كبران قال سمعت الضحاك يقول إذا سمعت شيئاً فاكتبه ولو في حائط • وعن سعيد بن جُبَير أنه كان يكون مع ابن عباس فيسمع منه الحديث فيكتبه في واسطة الرحل فاذا نزل نسخه وعن أبي قلابة قال الكتاب أحب الينا من النسيان • وعن أبي المليح قال يعيبون علينا الكتاب وقد قال الله «علمها عند ربي في كتاب» • وعن عطاء عن عبد الله بن عمرو قلت يارسول الله أأقيد العلم قال قيد العلم قال عطاء قلت وما تقييد العلم قال الكتاب • وعن عبد العزيز بن محمد الدارَوَرْدي (٢) قال أوّل من دوّن العلم وكتبه ابن شهاب وعن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال كنا نكتب الحلال والحرام وكان ابن شهاب يكتب كلما سمع فلما احتيج اليه علمت أنه أعلم الناس • وعن سوادة بن حيّان قال سمعت معاوية بن قرة يقول من لم يكتب العلم فلا تعدوه عالماً • وعن محمد بن علي قال سمعت خالد بن خِدَاش البغدادي (٣) قال ودعت مالك بن أنس فقلت يا أبا عبد الله أوصني قال عليك بتقوى الله في السر والعلانية والنصح لكل مسلم وكتابة العلم من عند أهله • وعن الحسن أنه كان لايرى بكتاب العلم بأساً وقد كان أملى التفسير فكتب • وعن الأعمش قال قال الحسن إن لنا كتباً نتعاهدها • وقال الخليل بن أحمد إجعل ماتكتب مابيت مال وما في صدرك للنفقة • وعن هشام بن عروة عن أبيه أنه احترقت كتبه يوم الحَرّة (٤) وكان يقول وددت لو أن عندي كتبي بأهلي ومالي • وعن سليمان بن موسى قال يجلس الى العالم ثلاثة رجل يأخذ كل ماسمع فذلك حاطب ليل (٥) ورجل لايكتب ويسمع

---

(١) الوَهْط المكان المطمئن من الأرض وقيل موضع وقيل قرية بالطائف هـ لسان العرب (٢) صدوق كان يحدث من كتب غيره مات سنة ١٨٦ هـ تقريب (٣) أبو الهيثم المهلّبي مولاهم البصري صدوق يخطيء مات سنة ٢٢٤ هـ تقريب (٤) الحرّة موضع بظاهر المدينة به كانت واقعة الحَرّة أيام يزيد هـ قاموس (٥) قال أبو عمرو العرب تضرب المثل

فذلك يقال له جليس العالم ورجل ينتقي وهو خيرهم وهـذا هو العالم : وعن اسحق ابن منصور قال قلت لأحمد بن حنبل من كره كتابة العلم قال كرهه قوم ورخص فيه آخرون قلت له لولم يكتب العلم لذهب قال نعم لولا كتابة العلم أي شيء كنا نحن قال اسحق وسألت اسحق بن راهويه فقال كما قال أحمد سواء . وعن حاتم الفاخر وكان ثقة قال سمعت سفيان الثوري يقول إني أحب أن أكتب الحديث على ثلاثة أوجه حديث أكتبه أريد أن أتخذه ديناً وحديث رجل أكتبه فأوقفه لا أطرحه ولا أدين به وحديث رجل ضعيف أحب أن أعرفه ولا أعبأ به . وقال الاوزاعي تعلّم مالا يؤخذ به كما تتعلم مايؤخذ به : وعن سعد بن ابراهيم قال أمرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن فكتبناها دفتراً دفتراً فبعث الى كل أرض له عليها سلطان دفتراً . وعن أبي زرعة قال سمعت أحمد بن حنبل ويحيى بن مَعين (١) يقولان كل من لايكتب العلم لايؤمن عليه الغلط . وعن الزهري قال كنا نكره كتاب العلم حتى أكرهنا عليه هؤلاء الأمراء فرأينا أن لا نمنعه أحداً من المسلمين . وذكر المبرِّد قال قال الخليل بن أحمد ماسمعت شيئاً الا كتبته ولا كتبته الا حفظته ولا حفظته الا نفعني

(قف على جمع عمر بن عبد العزيز للسنن)

﴿ باب معارضة الكتاب ﴾

عن هشام بن عروة (٢) أن أباه قال له كتبت قال نعم قال عارضت قال لا قال لم تكتب . وعن يحيى بن كثير قال الذي يكتب ولا يعارض مثل الذي يدخل الخلاء ولا يستنجي . وذكر الحسن بن علي الحُلواني «٣» في كتاب المعرفة قال سمعت عبد الرزاق يقول سمعت معمراً يقول لو عورض الكتاب مائة مرة ماكاد يسلم من أن يكون فيه سقط أو قال خطأ

بحاطب الليل للذي يجمع كل ما يسمع من غث وسمين وصحيح وسقيم وباطل وحق لأن المحتطب بالليل ربما ضم أفعى فنهشه وهو يحسبها من الحطب وفي مثل هذا يقول بشر بن المعتمر

وحاطبٍ يحطب في بجاده … في ظلمة الليل وفي سواده
يحطب في بجاده الإثم الذكر … والأسود السالخ مكروه النظر

هـ منه

(١) الغطفاني مولاهم البغدادي ثقة حافظ مشهور إمام الجرح والتعديل مات سنة ٢٣٣ هـ تقريب (٢) بن الزُّبير بن العوّام القرشي الأسدي أحد تابعي المدينة المشهورين وأكابر العلماء المكثرين في الحديث مات سنة ١٤٦ هـ ابن خلكان (٣) نزيل مكة ثقة حافظ مات سنة ٢٤٢ هـ تقريب التهذيب

﴿ باب الأمر باصلاح اللحن والخطأ في الحديث وتتبع الفاظه ومعانيه ﴾

عن الشعبي قال لا بأس بإقامة اللحن في الحديث • وعن الوليد بن مسلم (١) قال سمعت الأوزاعي يقول أعربوا الحديث فإن القوم كانوا عربا • وعن جابر قال سألت عامراً يعني الشعبي وأبا جعفر يعني محمد بن علي والقاسم يعني ابن محمد وعطاء يعني ابن أبي رباح عن الرجل يحدث بالحديث فيلحن أأحدث به كما سمعت أم أعربه قالوا لا بل أعربه • وعن مكحول قال سمعت واثلة بن الأسقع (٢) يقول حسبكم اذا جئنا كم بالحديث على معناه • قال وسمعت معاوية بن صالح يحدث عن ربيعة ابن زيد أن أبا الدرداء كان اذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم فرغ منه قال اللهم ان لم يكن هذا فكشكله • وعن محمد بن سيرين قال كان أنس اذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً ففرغ منه قال أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم • وعنه أيضا قال كنت اسمع الحديث من عشرة اللفظ مختلف والمعنى واحد • وعن أبي موسى محمد بن المثنى (٣) قال سألت أبا الوليد عن الرجل يصيب في كتابه الحرف المعجم غير معجم أو يجد الحرف المعجم تغير بعجمة نحو التاء ثاء والباء ياء وعنده في ذلك التصحيف والناس يقولون الصواب قال يرجع الى قول الناس فان الأصل الصحة قال أبو موسى وسألت عبدالله ابن داود عن الرجل يسمع الحديث فيذهب من حفظه أو يذهب عنه فيذكره صاحبه أيصير اليه قال نعم قال الله « فتذكر احديهما الأخرى » وعن ابن عون قال كان من يتبع أن يحدث بالحديث كما يسمع محمد بن سيرين والقاسم بن محمد ورجاء بن حيوة وكان ممن لا يتبع ذلك الحسن وابراهيم والشعبي . قال ابن عون فقلت لمحمد إن فلانا لا يتبع الحديث أن يحدث به كما يسمع فقال أما أنه لو أتبعه لكان خيراً • وعن أشهب (٤) قال سألت مالكا عن الاحاديث يقدم فيها ويؤخر والمعنى واحد قال أما ما كان من قول النبي صلى الله عليه وسلم فاني أكره ذلك وأكره أن يزاد فيه أو ينقص وما كان منها من غير قول النبي صلى الله عليه وسلم فلا أرى بذلك بأساً قلت وحديث النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) أبو العباس الدمشقي ثقة لكنه كثير التدليس مات سنة ١٩٤ هـ تقريب

(٢) صحابي مشهور نزل الشام وعاش الى سنة خمس وثمانين اهـ تقريب

(٣) العنزي البصري ثقة ثبت كان هو وبندار فرسي رهان وماتا في سنة واحدة اهـ تقريب

(٤) ابن عبدالعزيز القيسي المصري إمام ثقة فقيه ويقال اسمه مسكين مات سنة ٢٠٤ اهـ تقريب وابن خلكان

يزاد فيه الواو والألف والمعنى واحد قال أرجو أن يكون هذا خفيفاً • وعن علي ابن الحسن قال قلت لابن المبارك يكون في الحديث لحن أقومه قال نعم لأن القوم لم يكونوا يلحنون اللحن منا (قال أبو عمر) كان ممن يأبى أن ينصرف عن اللحن فيما روي عنهم نافع مولى ابن عمر وأبو معمر عبدالله بن صخر الأزدي وأبو الضحى مسلم بن صبيح ومحمد بن سيرين • وعن عياش بن المغيرة بن عبدالرحمن المخزومي عن أبيه أنه جاءه الداوردي عبد العزيز بن محمد يعرض عليه الحديث فجعل يقرأ ويلحن لحناً منكراً فقال له المغيرة ويحك ياداوردي كنت بإقامة لسانك قبل طلب هذا الشأن أحرى : والقول في هذا الباب ماقاله الحسن والشعبي وعطاء ومن تابعهم وهو الصواب وبالله التوفيق

(باب في فضل التعلم في الصغر والحض عليه)

عن أبي أمامة الباهلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما ناش نشأ في طلب العلم والعبادة حتى يكبر وهو على ذلك كتب له أجر سبعين صديقاً ، وعن الحسن قال طلب العلم في الصغر كالنقش في الحجر • وعن علقمة قال أما ماحفظت وأنا شاب فكأني أنظر اليه في قرطاس أوورقة • وقال الحسن بن علي لبنيه ولبني أخيه تعلموا العلم فإنكم ان تكونوا صغار قوم تكونوا كبارهم غداً فمن لم يحفظ فليكتب • وعن الأعمش قال قال لي ابراهيم وأنا غلام في فريضة إحفظ هذه لعلك تسئل عنها • وعن عثمان بن عروة عن أبيه عروة ابن الزبير أنه كان يقول لبنيه يابني إنا أزهد الناس في عالم أهله فهاموا الي فتعلموا مني فانكم توشكون أن تكونوا كبار قوم إني كنت صغيراً لاينظر الي فلما أدركت جعل الناس يسئلوني وما شيء أشد على امرئ من أن يسئل عن شيء من أمر دينه فيجهله • وأنشد ابن الانباري قال أنشدني أبي في أبيات ذكرها •

فهبني عذرت الفتى جاهلا   فما العذر فيه اذا المرء شاخا

وكان يقال من أدب ابنه صغيراً قرت به عينه كبيراً • ولابن أغبس في أبيات له

ما أقبح الجهل على من بدا   برأسه الشيب وما أشنعه

ولغيره   رأيت العلم لم يكن انتهاباً   ولم يقسم على عدد السنينا

ولو أن السنين تقاسمته   حوى الآباء أنصبة البنينا

وقال آخر   يقوّم من ميل الغلام المؤدِّبُ   ولا ينفع التأديب والرأس أشيب

وقال أمية بن أبي الصلت •

إن الغلام مطيع من يؤدبه   ولا يطيعك ذو شيب بتأديب

وقال سابق البربري (١)

قد ينفع الأدب الأحداث في مهلٍ وليس ينفع عند الكَبرة الأدب
إن الغصون إذا قوّمتها اعتدلت ولن تلين اذا قوّمتها الخشب

وقال محمد بن مُناذر

واذا مايبس العودُ على أوَدٍ لم يستقم منه الأوَدْ

ويقال في المثل في مثل هذا إنما يطبع الطين اذا كان رطباً • وقد أخذه منصور في عير هذا المعنى فقال • ولم تدم قط حال فاطبع وطينك رطب

ومما ينشد لخلف الأحمر (٢)

خير ماورّث الرجال بنيهم أدَب صالح وحسن ثناءِ
هو خير من الدنانير والأو راق في يوم شدة ورخاء
تلك تفنى والدين والأدب الص الح لايفنيان حتى اللقاء
ان تأدّبت يابنيّ صغيراً كنت يوماً تعدُّ في الكبراء
واذا ما أضعت نفسك ألفيت كبيراً في زمرة الغوغاء
ليس عطفُ القضيب ان كان رطباً واذا كان يابساً بسواء

هكذا أنشدها غير واحد لخلَف الأحمر وأنشدها الخشني رحمه الله لابراهيم بن داود البغدادي في قصيدة له مطولة يوصي فيها ابنه أولها

يا بُنَيّ اقترِبْ من الفقهاءِ وتعلّم تكن من العلماء

وكان يقال من أدّب ولده أرغم أنف عدوه • وأنشد أبو عبيد الله نفطويه لنفسه رحمه الله

أراني أسى مانعلمت في الكبر ولست بناسٍ ما تعلمت في الصغر
وما العلم إلا بالتعلم في الصِبا وما الحلم إلا بالتحلّم في الكبر
ولو فُلق القلب المعلّم في الصبا لالفِيَ فيه العلم كالنقش في الحجر
وما العلم بعد الشيب إلا تعسف إذا كلّ قلب المرء والسمع والبصر
وما المرء إلا اثنان عقل ومنطق فمن فاته هذا وهذا فقد دمر

---

(١) هو أبو سعيد سابق بن عبد الله له أشعار حسنة في الزهد والحِكَم وهو من موالي بني أُميّة • وفد على عمر بن عبد العزيز وله معه حكايات لطيفة هم من خزانة الأدب للبغدادي

(٢) هو أبو محرز خلَف بن حيّان من أئمة العربية ومعلّم الأَصمعي وأهل البصرة هم من نزهة الألبّا في طبقات الادبا لعبد الرحمن الأنباري

وقال آخر إن الحداثة لا تقصر بالفتى المرزوق ذهنا
لكن تزكي عقله فيفوق أكبر منه سنا
وقال آخر اذا ما المرء لم يولد لبيباً فليس اللب عن قدم الولادة

وعن يوسف بن يعقوب بن الماجشون قال قال لنا ابن شهاب ونحن نسأله لاتحقروا أنفسكم لحداثة أسنانكم فإن عمر بن الخطاب كان إذا نزل به الأمر المعضل دعا الفتيان فاستشارهم يبتغي حدة عقولهم • وعن ابن عباس قال لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا شاب قلت لشاب من الأنصار يافلان هلمّ فلنسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولنتعلم منهم فإنهم كثير قال العجب لك يا ابن عباس أترى الناس يحتاجون اليك وفي الأرض من ترى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فتركتُ ذلك وأقبلت على المسئلة وتتبع أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم فإن كنت لآتي الرجل في الحديث يبلغني أنه سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجده قائلاً فأتوسد ردائي على بابه تسفي الريح على وجهي حتى يخرج فإذا خرج قال ياابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك فأقول حديث بلغني عنك انك تحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحببت أن أسمعه منك قال فيقول فهلا بعثت إليّ حتى آتيك فأقول أنا أحق أن آتيك فكان الرجل بعد ذلك يراني وقد ذهب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتاج الناس إليّ فيقول كنت أعقل مني

وعن عمر رضي الله عنه قال تفقهوا قبل أن تسوّدوا • وعن موسى بن علي عن أبيه ان لقمان الحكيم قال لابنه يا بنيّ ابتغ العلم صغيراً فإن ابتغاء العلم يشق على الكبير (قال أبو عمر) أنشدني غير واحد لصالح بن عبد القدوس (١) في شعر له

وإن من أدّبته في الصبا كالعود يسقى الماء في غرسه
حتى تراه مورقاً ناضراً بعد الذي أبصرت من يبسه
والشيخ لايترك أخلاقه حتى يوارى في ثرى رمسه
إذا ارعوى عادَ إلى جهله كذي الضنا عاد إلى نكسه

وعن مكحول قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايستحي الشيخ أن يتعلم من الشاب • وعن أبي قلابة عن ابن مسعود قال عليكم بالعلم فإن أحدكم لايدري متى يفتقر إليه أو الى ما عنده

---

(١) الشاعر الحكيم كان يعظ ويقصّ في البصرة قتله المهدي سنة ١٧٩ هـ من حياة الحيوان للدميري باختصار

باب حمد السؤآل والإلحاح في طلب العلم وذم ما منع منه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شفاء العِيِّ (١) السؤآل . وقالت عائشة رضي الله عنها رحم الله نساء الانصار لم يمنعهن الحياء أن يسألن عن أمر دينهن . وقالت أم سليم يارسول الله إن الله لا يستحي من الحق هل على المرأة من غسل الحديث . واستحى علي أن يسأل عن المذي لمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابنته التي كانت عنده فأمر المقدادَ وعماراً فسألا له رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك . وهذه الاحاديث مشهورة الأسانيد . وقال عبد الله بن مسعود زيادة العلم الابتغاء ودرك العلم السوآل فتعلّم ماجهلت واعمل بما علمت . وقال ابن شهاب العلم خِزانة مفتاحُها المسألة . وعن عطاء (٢) بن أبي رَباح قال سمعت ابن عباس يخبر أن رجلا أصابه جُرح على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أصابه احتلام فأُمر بالاغتسال فَقُرَّ فمات فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قتلوه قتلهم الله ألم يكن شفاء العِيِّ السوآل قال عطاء وبلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو اغتسل وترك موضع الجراح . وأُنشدت لبعض المتقدمين

إذا كنت في بلد جاهلا ... وللعلم ملتمساً فاسئل
فإن السوآل شفاء العمى ... كما قيل في المثل الأول

وقال الفرزدق (٣)

ألا خبروني أيها الناس انما ... سألت ومن يسأل عن العلم يعلم
سؤال امرىء لم يعقل العلم صدره ... وما السائل الواعي الاحاديث كالعَيِي

وقال أميّة بن أبي الصلت (٤)

لا يذهبنّ بك التفريط منتظراً ... طول الإناة ولا يطمح بك العجلُ
فقد يزيد السوآلُ المرءَ تجربة ... ويستريح الى الأخبار من يسل

وله : وليس ذو العلم بالتقوى كجاهلها ... ولا البصير كأعمى ماله بصرُ

---

(١) العي الجهل هـ من لسان العرب لابن منظور الافريقي

(٢) المكي ثقة فقيه فاضل لكنه كثير الإرسال مات سنة ١١٤ هـ تقريب (٣) واسمه همّام بن غالب التميمي الشاعر المشهور صاحب جرير ابي حَزْرَة وله ديوان معروف مات سنه ١١٠ وقيل آخر هـ ابن خلكان (٤) واسمه عبد الله بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي شاعر حكيم مشهور أدرك الاسلام ولم يسلم وهو الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم آمن شعره وكفر قلبه . مات سنة تسع من الهجرة هـ من خزانة الادب للبغدادي

فاستخبر الناس عما أنت جاهله ... إذا عميت فقد يجلو العمى الخبر

(قف على تين جليلين) وله أيضاً: وقد يقتل الجهل السؤال ويشتفي ... إذا عاين الأمر المهمّ المعاينُ

وفي البحث قدماً والسؤال لذي العمى ... شفاء وأشفى منهما ما تعاين (١)

وعن عبدالله بن بُرَيدة أن معاوية بن أبي سفيان دعا دِغْفلا النسّابة فسأله عن العربية وسأله عن أنساب الناس وسأله عن النجوم فاذا رجلٌ عالم فقال يا دغفل من أين حفظت هذا قال حفظت هذا بقلبٍ عقول ولسان سؤول وذكر تمام الخبر. وقال عمر من عَلِم فليُعَلّم ومن لم يَعْلَم فليسأل العلماء. وكان الخليل يقول العلم أقفال والسؤالات مفاتحها (قال أبو عمر) كان الاصمعي ينشد:

شفاء العمى طول السؤال وإنما ... تمام العمى طول السكوت على الجهل

وقال سابق:

والعلم يشفي إذا استشفى الجهول به ... وبالدواء قديماً يحسم الداء

وقال آخر

إذا كنت لا تدري ولم تك بالذي ... يسائل من يدري فكيف إذاً تدري

ورويناعن الخليل رحمه الله أنه قال ان لم تعلِّم الناس ثواباً فعلّمهم لتدرس بتعليمك علمك ولا تجزع من تقريع السؤال فإنه ينبهك على علم مالم تعلم

وقدم رجلٌ على ابن المبارك وعنده أهل الحديث فاستحى أن يسأل وجعل أهل الحديث يسألونه قال فنظر ابن المبارك اليه فكتب بطاقة وألقاها اليه فإذا فيها

إن تلبّثت عن سؤالك عبدَ الله ترجع غداً بخفّي حُنين

فأعنتِ الشيخ بالسؤال تجده ... سَلِساً يلتقيك بالراحتين

واذا لم تَصِح صياح الثكالى ... قمت عنه وأنت صُفر اليدين

وأنشد ابن الأعرابي

وسلِ الفقيه تكن فقيهاً مثله ... من يسع في علم بفقهٍ يَمهُر

وتدبر العلم الذي تعنى به ... لاخير في علم بغير تدبرٍ

ورويناعن وهب بن مُنَبّه (٢) وسليمان بن يَسار أنهما قالا حسن المسألة نصف العلم

---

(١) ما أحسن قوله ما تعاين فإن هذا هو المطلوب في الوقوف على الحقائق والتوصل الى كنهها وليس الخبر كالعيان (٢) اليماني صاحب الاخبار ثقة مات بصنعاء سنة ١١٠ وقيل أكثر هـ تقريب وابن خلكان

والرفق نصف العيش • وسُئل الاصمعي (١) بمَ نلتَ مانلت قال بكثرة سوآلي وتلقفي الكلمة الشرود • وعن محمد بن معن قال قال لي عبد العزيز بن عمر ماشيء إلا وقد علمت منه الا شياء كنت أستحي أن أسأل عنها فكبرت وفي جهالتها • وعن عكرمة (٢) قال علي خمس احفظوهن لو ركبتم الأبل لأنضيموها قبل أن تصيبوهن • لايخاف عبد إلا ذنبه ولا يرجو الاربَّه ولا يستحي جاهل أنْ يسأل ولا يستحي عالم إن لم يعلم أن يقول الله أعلم والصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا خير في جسد لا رأس له ولا إيمان لمن لا صبر له . وقال علي (٣) رضي الله عنه قُرنتْ الهيبة بالخيبة والحياء بالحرمان • وقال الحسن من استتر عن طلب العلم بالحياء لبس للجهل سِربْاله فاقطعوا سرابيل الجهل عنكم بدفع الحياء في العلم فإنه من رق وجهه رق علمه

(قف على وصايا سيدنا علي بن أبي طالب)

وقال الخليل بن أحمد الجهل منزلة بين الحياء والأنفة وكان يقال من رق وجهه عن السؤال رق علمه عند الرجال ومن ظن أن للعلم غاية فقد بخسه حقه

وعن عبدالله يحيى بن أبي كثير عن أبيه قال ميراث العلم خير من ميراث الذهب والفضة والنفس الصالحة خير من اللؤلؤ ولا يستطاع العلم براحة الجسم • وقد روي مثل هذا القول عن زيد ابن علي بن حسين أنه قال لا يستطاع العلم براحة الجسم (قال أبو عمر) ذهب هذا القول مثلا عند العلماء وأُنشدت لمحمد بن الحسن الزبيدي في أبي مسلم بن فهد

أبا مسلم إن الفتى بجنانه ... ومقوله لا بالمراكب واللبس
وليس ثياب المرء تغني قلامة ... اذا كان مقصوراً على قِصَر النفس
وليس يفيد العلم والحلم والتقى ... أبا مسلم طولُ القعود على الكرسي

وللحسن بن حميد في أبيات له

علمك ماقد جمعتَ حفظه ... ليس الذي قات عندنا كتبه

وقال ابراهيم بن المهدي سل مسألة الحمقى واحفظ حفظ الاكياس • وعن الثوري

---

(١) هو عبد الملك بن قُرَيْبٍ عاصم الباهلي إمام في اللغة والنحو والغريب والاخبار والمُلَح والأنساب مات بالبصرة سنة ٢١٣ وقيل أكثر ه من نزهة الألبا للأنباري وابن خلكان (٢) ابن عبدالله مولى ابن عباس وأصله بربري ثقة ثبت عالم بالتفسير وأحد فقهاء مكة وتابعيها مات بالمدينة في سنة ١٠٥ وقيل أكثر اه تقريب وابن خلكان (٣) أمير المؤمنين كرم الله وجهه وسيرته أشهر من أن تذكر وقد أفردت بالتأليف استشهد سنة ٤٠ ه من الاستيعاب للمؤلف

قد بلغنا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ويل لمن يعلم ولم يعمل وويل ثم ويل لمن لا يعلم ولا يتعلم مرتين

﴿ باب في ذكر الرحلة في طلب العلم ﴾

قد تقدم في هذا الكتاب من حديث صفوان بن عسال وحديث أبي الدرداء مما يدخل في هذا الباب ما يغني عن إعادته هنا

وعن صالح بن صالح الهمداني عن الشعبي قال حدثنا أبو بُرْدة عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيّما رجل كانت عنده وَلِيْدَةٌ فعلّمها وأحسن تعليمها وأدّبها فأحسن تأديبها وأعتقها فتزوّجها فله أجران وأيما رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بي فله أجران وأيما رجل مملوك أدّى حق مواليه وأدّى حق ربه فله أجران خذها بغير شيء قد كان الرجل يرحل فيما دونها الى المدينة الشعبيُّ يقوله

(قف على رحلة جابر)

وعن جابر بن عبد الله (١) قال بلغني حديث عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فابتعت بعيراً فشددت عليه رَحْلي ثم سرت إليه شهراً حتى قدمت الشام فإذا عبد الله بن أنيس الأنصاري (٢) فأتيت منزله وأرسلت إليه أن جابراً على الباب فرجع إليَّ الرسولُ فقال جابر بن عبد الله فقلت نعم فخرج اليَّ فاعتنقته واعتنقني قال قلت حديث بلغني عنك أنك سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم في المظالم لم أسمعه أنا منه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الله تبارك وتعالى العباد أو قال الناس (٣) وأومأ بيده الى الشام حفاةً عُراةً غرْلاً بُهْماً قال قلنا ما بُهماً قال ليس معهم شيءٌ فيناديهم بصوت يسمعه من بُعد ويسمعه من قرب أنا الملك الديان لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وأحدٌ من أهل النار يطالبه بمظلمة حتى اللطمة ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وأحد من أهل الجنة يطالبه بمظلمة حتى اللطمة قال قلنا له كيف وإنما نأتي الله عز وجل حفاة عُراةً غرْلاً قال بالحسنات والسيئات • وروى سفيان بن عُيينة عن ابن جُرَيْج قال سمعت شيخاً من أهل المدينة قال سفيان هو أبو سعيد الأعمى يحدّث عطاءً أن أبا أيوب (٤) رحل الى عقبة بن

(قف على رحلة ابي ايوب

(١) بن عمرو بن حرام الانصاري السُّلمي صحابي بن صحابي غزا تسع عشرة غزوة ومات بالمدينة سنة ٧٤ هـ تقريب واستيعاب (٢) الجهني صحابي جليل شهد العَقَبة وأُحُداً مات سنة ٥٤ هـ تقريب (٣) شك من همام أحد رواة هذا الحديث اهـ منه (٤) الانصاري النجّاري من بني غَنْم بن مالك ومن كبار الصحابة واسمه خالد بن زيد شهد بدراً وسائر

عامر فلمّا قدم مصر أخبروا عقبة فخرج إليه قال حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبق أحد سمعه غيرك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من ستر مؤمناً على خِزْية ستر الله عليه يوم القيمة قال فأتى أبو أيوب راحلته فركبها وانصرف الى المدينة وما حلّ رحله • وعن ابن شهاب أن ابن عباس قال كان يبلغنا الحديث عن الرجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فلو أشاء أن أرسل إليه حتى يجيئني فيحدثني فعات ولكن كنت أذهب فأُقيل على بابه حتى يخرج اليّ فيحدثني • وعن مالك عن يحي بن سعيد قال قال سمعت سعيد بن المسيّب يقول إن كنت لأسير الليالي والأيام في طلب الحديث الواحد. وعن الشعبي قال ما علمت أن أحداً من الناس كان أطلب لعلمٍ في أفق من الآفاق من مسروق • وعن علي بن صالح عن أبيه قال حدثنا الشعبي بحديث ثم قال أعطيتكه بغير شيء وان كان الراكب ليركب الى المدينة فما دونه • وعن قيس بن عبادة قال خرجت الى المدينة أطلب العلم والشرف • وعن بشر بن عبيد الله الحضرمي قال إن كنت لأركب الى المصر من الأمصار في الحديث الواحد لأسمعه • وقال الشعبي لو أن رجلا سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن ليسمع كلمة حكمة ما رأيت أن سفره ضاع

﴿ باب الحض على استدامة الطلب والصبر على اللأواء والنصب ﴾

عن مالك بن أنس (١) لا ينبغي لأحد يكون عنده العلم ان يترك التعلم • وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من معادن التقوى تعلمك الى ماقدعامت مالم تعلم والنقص فيما قد عامت قلة الزيادة فيه وإنما يُزهّد الرجل في علم مالم يعلم قلة انتفاعه بما علم • وعن ابن عباس قال منهومان لا تنقضي نَهْمتهما طالب علم وطالب دنيا • وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جاءه أجله وهو يطلب علماً ليحيي به الاسلام لم تفضله النبيّون إلا بدرجة

(قف على حديث جليل)

وروى أبو هريرة وأبو ذر أنهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا جاء الموتُ طالب العلم وهو على تلك الحال مات شهيداً • وروي أن المسيح صلى الله عليه وسلم قيل له الى متى يحسن التعلم قال ما حسنت الحياة • وعن مالك بن أنس أنه قال لا ينبغي لأحد

المشاهد ونزل النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة عنده مات غازياً سنة ٥٠ وقيل أكثر ه استيعاب وتقريب (١) الأصبحي المدني أبي عبد الله امام دار الهجرة ورأس المتقين وأحد الأئمة الاعلام وكبير المثبتين حتى قال البخاري أصح الاسانيد كلها مالك عن نافع عن ابن عمر • وسلسلته تعرف بسلسلة الذهب مات سنة ١٧٩ ه من ابن خلكان والتقريب

يكون عنده العلم أن يترك التعلم • وقيل لابن المبارك الى متى تطلب العلم قال حتى الممات إن شاء الله • وقيل له مرة أخرى مثل ذلك فقال لعلّ الكلمة التي تنفعني لم أكتبها بعد. وسئل سفيان بن عيينة من أحوج الناس الى طلب العلم قال أعلمهم لأنّ الخطأ منه أقبح . وقال منصور بن المهدي للمأمون أيحسن بالشيخ أن يتعلم فقال إن كان الجهل يعيبه فالتعلم يحسن به . وعن محمد بن عبيد الكشوري قال سمعت ابن أبي غسان يقول لا تزال عالماً ما كنت متعلماً فاذا استغنيت كنت جاهلا • وروينا عن ابن عباس أنه قال وجدت عامة علم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عند هذا الحي من الانصار إن كنت لأقيل بباب أحدهم ولو شئت أذن لي ولكن أبتغي بذلك طيب نفسه • وعن أبي هريرة قال إن الناس يقولون أكثر أبو هريرة ولولا آيتان في كتاب الله ماحدثت حديثاً ثم تلا « إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب » «وان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى» وإن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالاسواق واخواننا الانصار كان يشغلهم العمل في أموالهم وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشبع بطنه ويحضر مالا يحضرون

(قال أبو عمر) في هذا الحديث من الفقه معان منها أن الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حكمه حكم كتاب الله المنزل • ومنها إظهار العلم ونشره وتعليمه • ومنها ملازمة العلماء والرضى باليسير للرغبة في العلم • ومنها الإيثار للعلم على الاشتغال بالدنيا وكسبها • وروى ابن أبي الزناد عن أبيه قال رأيت عمر بن عبد العزيز يأتي عبيد الله بن عبد الله يسئله عن علم ابن عباس فربما أذن له وربما حجبه

وأنشدني خلف بن القاسم لابن المبارك في أبيات لا أقوم بحفظها في وقتي هذا

آخر العلم لذيذ طعمه   وبديُّ الذوق منه كالصَّبِرْ

وعن ابن القاسم (١) قال كان مالك يقول إن هذا الامر لن ينال حتى يذاق فيه طعم الفقر وذكر ما نزل بربيعة من الفقر في طلب العلم حتى باع خشب سقف بيته في طلب العلم وحتى كان يأكل ما يلقى على مزابل المدينة من الزبيب وعصارة التمر • وعن ابراهيم بن الجراح قال سمعت أبا يوسف يقول طلبنا هذا العلم وطلبه معنا من لا نحصيه كثرة فما انتفع به منا الا من دبغ اللبن قلبه وذلك أن أبا العباس لما أفضى اليه الأمر بعث الى المدينة فأقدم

---

(١) هو عبد الرحمن بن القاسم بن خالد العُتَقي قال الدَّارقُطني هو من كبار المصريين وفقهائهم صالح مقن حسن الضبط مات سنة ١٩١ بمصر ه من الديباج المذهب لابن فرحون

عليه عامة من كان فيها من أهل العلم فكان أهلنا يعدّون لنا خبزاً يلطخونه لنا باللبن فنغدو في طلب العلم ثم نرجع الى ذلك فنأكله فأما من كان ينتظر أن يصنع له هريسة أو عصيدة فكان ذلك يشغله حتى يفوته كل مانحن ندركه • وكان سَحنون (١) يقول لا يصلح العلم لمن يأكل حتى يشبع . وكان الشافعي يقول لايطلب هذا العلم أحد بالمال وعز النفس فيفلح ولكن من طلبه بذلة النفس وضيق العيش وحرمة العلم أفلح

وحدثنا محمد بن ادريس المكي قال سمعت الحميدي يقول قال محمد بن ادريس الشافعي كنت يتيماً فى حجر أمي فدفعتني في الكتّاب ولم يكن عندها ماتعطي المعلم فكان المعلم قد رضي مني أن أخلفه إذا قام فاما ختمت القرآن دخلت المسجد فكنت أجالس العلماء وكنت أسمع الحديث أو المسئلة فأحفظها ولم يكن عند أمي ماتعطيني أشتري به قراطيس فكنت إذا رأيت عظماً يلوح آخذه فأكتب فيه فإذا امتلأ طرحته في جرة كانت لنا قديمة قال ثم قدم والٍ على اليمن فكلمه لي بعض القرشيين أن أصحبه ولم يكن عند أمي ما تعطيني أتجمل به فرهنت رداءها بستة عشر ديناراً فاعطتني فتجملت بها معه فلما قدمنا اليمن استعملني على عمل فحُمدت فيه فزادني عملاً فحمدت فيه فزادني عملا وقدم العُمّار (اي المعتمرون) مكة في رجب فأثنوا عليّ فطار لي بذلك ذكر فقدمت من اليمن فلقيت ابن أبي يحيي فسلمت عليه فوبخني وقال تجالسوننا وتصنعون وتصنعون فإذا شرع لأحدكم شيء دخل فيه ونحو هذا من الكلام قال فتركته ثم لقيت سفيان بن عيينة فرحّب بي وقال قد بلغتنا ولايتك فما أحسن ما انتشر عنك وما أدّيت كل الذي لله عليك ولا تعد قال فكانت موعظة سفيان إياي أبلغ مما صنع بي ابن أبي يحيي

وكتب الشافعي الى محمد بن الحسن (٢) إذ منعه كتبه

قل لمن لم ترَ عـــين من رآه مثله ومن كأنّ من رآ * ه قد رأى من قبله
العلم يأبى أهله * أن يمنعوه أهله لعــله يبــذله * لأهــله لعلّه

فوجّه اليه محمد بن الحسن بما أراد من كتبه فكتبها • وكان الشافعي يقول سمعت من محمد بن الحسن رحمه الله وِقر بعير• وقالوا من لم يحتمل ذلّ التعلم ساعة بقي فى ذل

---

(١) ابو سعيد عبد السلام بن سعيد التنوخي انتهت اليه الرياسة في العلم بالمغرب وصنّف كتاب المدونة واخذها عن ابن القاسم وهي عمدة مذهب الامام مالك مات سنة ٢٠٤ اه من ابن خلكان (٢) الشيباني بالولاء صاحب أبي حنيفة وذو التآليف الجيدة وأصله من (حَرَسْتَا) قرية بغوطة دمشق وهو امام جليل مات سنة ١٨٩ ه ابن خلكان

(قف على قول علي)

الجهل أبداً. وحدّث حماد بن زيد عن أيوب انك لا تعرف خطأ معلمك حتى تجالس غيره. وروى ابن عائشة (١) وغيره أن علياً رضي الله عنه قال في خطبة خطبها واعلموا أن الناس أبناء مايحسنون وقدرُ كلّ امريءٍ مايحسن فتكلموا في العلم تتبيّن أقداركم. ويقال إن قول علي بن أبي طالب قيمة كل امرىءٍ ما يحسن لم يسبقه اليه أحد وقالوا ليس كلمة أحضّ على طلب العلم منها. وقالوا ولا كلمة أضرّ بالعلم والعلماء والمتعلمين من قول القائل ماترك الأول للآخر شيئاً

(قال أبو عمر) قول علي رحمه الله قيمة كل امرىءٍ مايحسن من الكلام العجيب الخطير، وقد طار الناس له كل مطير، ونظمه جماعة من الشعراء إعجاباً به وكلَفاً بحسنه فمن ذلك ما يعزى الى الخليل بن أحمد قوله

لا يكون السّريّ مثل الدنيّ لا ولا ذو الذكاء مثل الغبيّ
لا يكون الألدُّ ذو المِقول المر هف عند القيَاس مثل العييّ
قيمة المرء كل ما يحسن المر ء قضاءٌ من الامام عليّ

وقال غيره: يلوم على أن رحت للعلم طالباً أجمّع من عند الرّواة فنونه
فيالائمي دعني أغالي بقيمتي فقيمة كل الناس مايحسنونه

وقال أبو العباس الناشئ

تأمّلْ بعينك هذا الأنا م فكن بعض من صانه عقلهُ
فحلية كل فتىً فضله وقيمة كل امرئ نبله
فلا تتكل في طلاب العلا على نسب ثابت أصله
فما من فتى زانه قوله بشيءٍ يخالفه فعله

وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يشبع المؤمن من خير يسمعه حتى يكون منتهاه الجنة. وقال قتادة (٢) لو كان أحد يكتفي من العلم بشيءٍ لاكتفى موسى عليه السلام ولكنه قال « هل أتّبعُكَ على أنْ تعَلّمَني مما عُلّمتَ رُشْدًا »

﴿ باب جامع في الحال التي تنال بها العلم ﴾

عن أبي الأحوص قال قال عبد الله إن الرجل لايولد عالماً وانما العلم بالتعلم. وذكر

---

(١) هو عُبَيْد الله بن محمد بن حفص التّيْمِي وقيل له ابن عائشة نسبة الى عائشة بنت طلحة لأنه من ذريتها ثقةٌ جوادمات سنة ٢٢٨ هـ تقريب (٢) بن دعامة السّدُوسي البصري الأكمه تابعي جليل وعالم كبير مات سنة ١١٧ بواسط هـ ابن خلكان

أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب (١) عن ابن شبيب أنه قال لا يكون طبع بلا أدب ولا علم بلا طلب . ومن رجز لسابق البربري

قد قيل قبلي في الكلام الأقدم ... إني وجدت العلم بالتعلم

وقال كُثَيِّر : (٢)

وفي الحلم والاسلام للمرء وازع ... وفي ترك أهواء الفؤاد المتيّم
بصائر رُشْد للفتى مستبينة ... وأخلاق صدق علمها بالتعلم

(قف على كلام جليل لعلي ابن أبي طالب)

وروينا عن علي رحمه الله أنه قال في كلام له العلم ضالة المؤمن فخذوه ولو من أيدي المشركين ولا يأنف أحدكم أن يأخذ الحكمة ممن سمعها منه . وعنه أيضاً أنه قال الحكمة ضالة المؤمن يطلبها ولو في أيدي الشُّرَط . وعن أبي بريدة قال عليٌّ تزاوروا وتذاكروا الحديث فإنكم ان لم تفعلوا يدرُسْ علمكم . وعن ابن جُرَيج (٣) قال لم استخرج الذي استخرجت من عطاءٍ الا برفقي به . وكان علقمة يقول تذاكروا الحديث فإنه يهيج بعضه بعضاً . وعن إسمعيل بن رجاء (٤) أنه كان يأتي صبيان الكُتّاب فيعرض عليهم حديثه كيلا ينسى . وعن عيسى بن المسيب قال سمعت ابراهيم يقول اذا سمعت حديثاً فحدّث به حين تسمعه ولو أن تحدث به من لا يشتهيه فإنه يكون كالكتاب في صدرك . وقال الرِّياشي سمعت الاصمعي وقيل له كيف حفظت ونسي أصحابك قال درست وتركوا . وسئل بعض العلماء أو الحكماء ما السبب الذي ينال به العلم قال بالحرص عليه يُتبع وبالحبّ له يستمع وبالفراغ له يجتمع . وسمع سعيد بن جبير يقول لقد كان ابن عباس يحدثني بالحديث لو يأذن لي أن اقوم فأقبل رأسه لفعلت . وقال الخليل بن أحمد كن على مدارسة مافي صدرك أحرص منك على مدارسة مافي كتبك

(قف على كلام أم الدرداء)

وعن عون بن عبد الله بن عتبة قال لقد أتينا ام الدرداء (٥) فتحدثنا عندها فقلنا

---

(١) النحوي امام الكوفيين في زمانه مات سنة ٢٩١ ببغداد هـ من من نزهة الألبا

(٢) بن عبد الرحمن الخُزاعي الشاعر المشهور وأحد عشاق العرب المعروف بكثير عَزَّة مات سنة ١٠٥ هو وعِكْرِمة مولى ابن عباس في يوم واحد هـ من ابن خلكان

(٣) عبدالملك بن عبد العزيز الأموي مولاهم المكّي ثقة فقيه فاضل وكان يدلّس ويرسل مات سنة ١٥٠ وقيل بعدها هـ تقريب (٤) بن ربيعة الزُّبيدي أبو اسحق الكوفي ثقة اهـ تقريب (٥) وهي أم الدرداء الكبرى يقال ان اسمها خَيْرَةُ بنت ابي حدْرَد الاسلمي وكانت من فضلاء النساء وعقلائهن وذوات الرأي منهن ماتت بالشام في خلافة عثمان

أمللناك يا أم الدرداء فقالت ما أمللتموني لقد طلبت العبادة في كل شيء فما وجدت شيئاً أشفى لنفسي من مذاكرة العلم أو قالت من مذاكرة الفقه ٠ وقال الفرّاء (١) لا ارحم أحداً كرحمتي لرجلين رجل يطلب العلم ولا فهم له ورجل يفهم ولا يطلبه واني لأعجب ممن في وسعه أن يطلب العلم ولا يتعلم ٠ ورأيت في بعض كتب العجم سئل جالينوس بم كنت اعلم قرنائك بالطب قال لأني أنفقت في زيت المصباح لدرس الكتب أكثر مما أنفقوا في شرب الخمر ٠ وروي مثل هذا القول عن افلاطون والله اعلم : وقيل لبزرجمهر بمَ أدركت ما أدركت من العلم قال ببكور كبكور الغراب وصبر كصبر الحمار وحرص كحرص الخنزير ٠ وعن ابراهيم بن الاشعث قال سألت فضيل بن عياض عن الصبر على المصيبات فقال ان لا تُبث وسألته عن الزهد فقال الزهد هو القناعة وهو الغنى قال وسألته عن الورع قال اجتناب المحارم وسألته عن التواضع فقال ان تخضع للحق وتنقاد له ممن سمعته ولو كان اجهل الناس لزمك ان تقبله منه ٠ قال وكان يقال عَلّم علمك من يجهل وتعلّم ممن يعلم فانك اذا فعلت ذلك علمت ما جهلت وحفظت ما علمت ٠ وقال محمد بن مناذِر

ابذل العلم ولا تبخل به والى علمك علماً فاستفد

وقال آخر : ما يدرك العلم الاكلّ مشتغل بالعلم همتهُ القرطاس والقلم

ولبعضهم : اذا لم يذاكر ذو العلوم بعلمه ولم يستزد علماً نسي ما تعلما

وكم جامع للعلم في كل مذهب يزيد على الأيام في جمعه عما

وقال رجل لأبي هريرة اني أريد أن اتعلم العلم وأخاف أن أضيعه فقال ابو هريرة كفى بتركك له تضييعا

﴿ باب كيفية الرتبة في أخذ العلم ﴾

عن يونس بن يزيد قال قال لي ابن شهاب يايونس لا تكابر العلم فإن العلم أودية فأيها أخذت فيه قطع بك قبل أن تبلغه ولكن خذه مع الأيام والليالي ولا تأخذ العلم جملة فإن من رام أخذه جملة ذهب عنه جملة ولكن الشيء بعد الشيء مع الليالي والأيام ٠ وعن حماد بن زيد قال كان الزهري يحدث ثم يقول هاتوا من أشعاركم هاتوا من أحاديثكم

اه من الاستيعاب والاصابة لابن حجر العسقلاني (١) هو ابو زكريا يحيي بن زياد الفرّاء مولى بني أسَد الكوفي امام ثقةٌ قال فيه ثعلب لولا الفراء لما كانت اللغة ٠ مات سنة ٢٠٧ هـ من نزهة الالباء

فإن الأُذن مجّاجة وإن للنفس حَمْضة (١) وقالوا من رقّ وجهه رقّ علمه وقال علي رضي الله عنه أجِمُّوا هذه القلوب وابتغوا لها طرائف الحكمة فإنها تملّ كما تمل الأبدان (قال ابو عمر) لقد أحسن ابو العتاهية حيث يقول

لا يصلح النفس إذ كانت مصرّفة الا التنقل من حال الى حال

لا تامنن بك الدنيا وانت ترى ما شئت من عِبرٍ فيها وأمثال

وكان القاسم بن محمد إذا كثّروا عليه من المسائل قال إن لحديث العرب وحديث الناس نصيباً من الحديث فلا تكثروا علينا من هذا . وعن ابن شهاب أنه كان يقول روّحوا القلوب ساعة وساعة . وعن ابي خالد الوالبي (٢) قال كنا نجالس اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتناشدون الاشعار ويتذاكرون أيامهم في الجاهلية . وعن الاعمش قال سمعت أباوائل شقيق بن سلمة (٣) يقول خرج علينا عبدالله بن مسعود قال إني لا خبرَ بمجالسكم فما يمنعني من الخروج اليكم إلا كراهية أن املّكم وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتخوّلنا بالموعظة مخافة السآمة علينا . وقال ابو عمرو بن العلاء العلم نُتَفٌ . وعن اسمعيل الموصلي قال دخلت على الاصمعي فرأيت بين يديه قُمَيْطِراً فقلت هـذا علمك كله فقال ان هذا من حقّ لكثير . وروينا عن عبد الله بن عباس أنه قال العلم أكثر من أن يحاط به فخذوا منه احسنه . أنشدني محمد بن مصعب لابن عباس

ما اكثر العلم وما اوسعه من ذا الذي يقدر أن يجمعه

ان كنت لا بدّ له طالبا محاولاً فالتمس انفعـه

وكان يقال العالم النبيل الذي يكتب أحسن ما يسمع ويحفظ أحسن ما يكتب ويحـدّث بأحسن ما يحفظ

﴿باب ما روي عن لقمان الحكيم من وصيته لابنه وحضه اياه على مجالسة العلماء والحرص على العلم﴾

عن سليمان التيمي قال قال لقمان لابنه يا بُنيّ ما بلغتَ من حكمتك قال لا أتكلف ما لا يعنيني قال يا بُني انه قـد بقي شيء آخر جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فإن الله يحيي القلوب الميتة بنور الحكمة كما يحيي الارض الميتة بوابل السماء . وعن لقمان او عيسى عليه

---

(١) قال الازهري المعنى ان الآذان لا تعي كل ما تسمعه وهي مع ذلك ذات شهوة لما تستظرفه من غرائب الحديث ونوادر الكلام‍ه من لسان العرب (٢) اسمه هرمز وقيل هرم مقبول اه تقريب (٣) الأسدي الكوفي مخضرم مات في خلافة عمر بن عبد العزيز اه تقريب

السلام انه قال كما ترك الملوك لكم الحكمة فاتركوا لهم الدنيا وذكر الغلابي عن ابن عائشة عن ابيه قال قال العباس لابنه عبد الله يابني لاتعلم العلم لثلاث خصال لا ترائي به ولا تماري به ولا تباهي به ولا تدعه لثلاث خصال رغبة في الجهل وزهادة فى العلم واستحياء من التعلم وأنشدت لبعض المحدثين

كن موسراً إن شئت أو معسراً ... لابدّ في الدنيا من الهمّ
وكلما ازددت بها ثروةً ... زاد الذي زادك في الغمّ
انى رأيت الناس في دهرهم ... لا يطلبونَ العلم للفهم
الاّ مباهاةً لاصحابهم ... وعدةً للخصم والظلم

وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه تعلّموا العلم فاذا تعلمتموه فاكظموا عليه ولا تخلطوه بضحك ولا بلعب فتمجه القلوب • وروي عنه ايضاً انه قال تعلموا العلم وتزينوا معه بالوقار والحلم وتواضعوا لمن تتعلمون منه ولمن تعلمونه ولا تكونوا جبابرة العلماء فيذهب باطلكم حقكم • وروينا عن مُعاذ بن جبل أنه كان يقول مثل قول علي هذا سواء الاّ ان في آخر لفظه ولا تكونوا من جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم (قال ابو عمر) قد روي هذا المعنى بنحو هذا اللفظ عن النبيّ صلى الله عليه وسلم وعن عمر بن الخطاب ايضاً • وعن ابن ابي حسين قال بلغني ان لقمان الحكيم كان يقول يابني لا تتعلم العلم لتباهي به العلماء وتماري به السفهاء وترائي به في المجالس ولاتدع العلم زهداً فيه (وفي رواية حياءً من الناس) ورغبةً في الجهالة • يابني اختر المجالس على عينك فاذا رأيت قوماً يذكرون الله فاجلس معهم فإنك ان تك عالماً ينفعك علمك وان تك جاهلا يعلموك ولعل الله يطلع عليهم برحمة فتصيبك معهم واذا رايت قوماً لا يذكرون الله فلا تجلس معهم فانك ان تك عالماً لاينفعك علمك وان تك جاهلا يزيدوك غيًّا ولعل الله يطّلع عليهم بعذاب فيصيبك معهم • وقال زيد بن اسلم كان لقمان من النُّوبة (جيل من السودان) ومن مواعظه لابنه لاتجادل العلماء فتهون عليهم ويرفضوك ولاتجادل السفهاء فيجهلوا عليك ويشتموك ولكن اصبر نفسك لمن هو فوقك في العلم ولمن هو دونك فإنما يلحق بالعلماء من صبر لهم واقتبس من علمهم في رفق • وعن السّري قال لقمان لابنه يابني ان الحكمة اجلست المساكين مجالس الملوك

﴿ باب آفة العلم وغائلته وإضاعته وكراهية وضعه عند من ليس بأهله ﴾

عن الزُّهري قال إن للعلم غوائل فمن غوائله أن يُترك العالم حتى يذهب بعلمه ومن

غوائله الكذب فيه وهو شرّ غوائله • وعنه قال إنما يذهب العلم النسيان وترك المذاكرة وقال بعضهم

إذا لم يذاكر ذو العلوم بعلمه ولم يذّكر علماً نسي ما تعلّما

وعن علي تذاكروا هذا الحديث فان لم تفعلوا يدرس • وعن الأعمش قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آفةُ العلم النسيان واضاعته أن يحدث به غير أهله وقال علي ابن ثابت العلم آفته الإعجاب والغضب والمال آفته التبذير والنهب

وعن شعبة قال رآني الأعمش وأنا احدث قوماً فقال ويحك ياشعبة تعلق اللؤلؤ أعناق الخنازير • ولصالح بن عبد القدوس

وان عناءً أن تفهم جاهلا فيحسب جهلا أنه منك أفهم
متى يبلغ البنيان يوماً تمامه إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم
متى ينتهي عن سيّءٍ من أتى به إذا لم يكن منه عليه تندُّم

وله من شعره الذي تقدّم بعضه في هذا الكتاب في مواضعه

لا تؤتينّ العلم إلا امرأً يُعين باللب على نفسه

وقال أنس بن أبي شيخ من كان حسن الفهم رديّ الاستماع لم يقم خيره بشرّه • وعن أبي فروة أن عيسى بن مريم كان يقول لا تمنع الحكمة اهلها فتأثم ولا تضعها عند غير اهلها فتجهل ولكن طبيباً رفيقاً يضع دواءه حيث يعلم أنه ينفع • وللامام الشافعي رحمه الله

أأنثر درًّا بين سائمة النَّعَمْ ام أنظمهُ نظماً لمُهمَلة الغنمْ
ألم ترني ضُيّعت في شرّ بلدة فلست مُضيعاً بينهم درر الكلم
فان يشفني الرحمن من طول ماارى وصادفت أهلا للعلوم وللحكم
بثثت مفيداً واستفدت ودادهم وإلا فمخزونٌ لديّ ومكتتم

وقال الحسن لولا النسيان لكان العلم كثيرا • وقال عكرمة إن لهذا العلم ثمناً قيل وماثمنه قال ان تضعه عند من يحفظه ولايضيّعهُ • وعن رُؤبة بن العجاج (١) قال أتيت النسّابة البكري قال قال لي من انت قلت رؤبة بن العجاج قال قصرت وعرّفت فما جاءبك قلت طلب العلم قال لعلك من قوم انا بين اظهرهم ان سكت لم يسئلوني وإن تكلمت لم يعوا عني قلت ارجو ان لا اكون منهم ثم قال اتدري ما آفة المرؤة قلت لا قال جيران

---

(١) البصري التميمي السعدي هو وأبوه راجزان مشهوران مات سنة ١٤٥ هـ ابن خلكان

السوء ان رؤا حسناً دفنوه وان رؤا سيئاً اذاعوه ثم قال لي يا رؤبة ان للعلم آفة ومحنة ونكراً فآفته نسيانه ومحنته أن تضعه عند غير اهله ونكرهُ الكذب فيه • وعن عكرمة قال قال عيسي عليه الصلاة والسلام لاتطرح اللؤلؤ الى الخنزير فإن الخنزير لا يصنع باللؤلؤ شيئاً ولا تُعطي الحكمة لمن لايريدها فإن الحكمة خير من اللؤلؤ ومن لايريدها شرٌّ من الخنزير • ويروى عن النبيّ صلى الله عليه وسلم انه قال قام اخي عيسى عليه السلام خطيباً فى بني اسرائيل فقال يابني اسرائيل لا تعطوا الحكمة غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم وقد نظم هذا بعض الحكماء فقال

من منع الحكمة من اهلها   أصبح فى الناس لهم ظالما
أووضع الحكمة في غيرهم   أصبح في الحكم لهم غاشماَ
لاخير فى المرء اذا ما غدا   لا طالب العلم ولا عالما

وعن عبدالرحمن بن ابي ليلى قال ان إحياء الحديث مذاكراته • وعن كثير بن مرة الحضرمي انه قال ان عليك فى علمك حقاً كما ان عليك في مالك حقاً لا تحدث العلم غير اهله فتجهل ولا تمنع العلم اهله فتأثم ولاتحدث بالحكمة عند السفهاء فيكذبوك ولا تحدث بالباطل عند الحكماء فيمقتوك ولقد أحسن القائل

قالوا نراك طويل الصمت قات لهم   ما طول صمتيَ من عيّ ولا خَرَسِ
لكنه أحمد الاشياء عاقبةً   عندي وأيسره من منطق شكسٍ
أ أنشر البزّ فيمن ليس يعرفه   أم أنثر الدرّ بين العُمي في الغلس

ولقد احسن صالح بن عبد القدوس في قوله ويروى لسابق

واذا حملت الى سفيهٍ حكمة   فاقد حملت بضاعة لاتنفق

ومن قول النبيّ صلى الله عليه وسلم مرفوعاً واضع العلم في غير اهله كمقلّد الخنازير اللؤلؤ والذهب

فإن قال قائل إن بعض الحكماء كان يحدث بعامه صبيانه وأهله ولم يكونوا لذلك بأهل قيل له إنما فعل ذلك من فعله منهم لئلا ينسى وكان خالد بن يزيد إذا لم يجد احداً يحدثه جواريه ثم يقول إني لأعلم انكن لسنن بأهل يريد بذلك الحفظ • وقد كانوا يكرهون تكرير الحديث • وكان علقمة يقول كرروه لئلا يدرس ولكلٍ وجه لا يدفع وبالله التوفيق

باب في هيبة المتعلم للعالم

عن ابن عباس قال مكثت سنتين أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن حديث مامنعني منه

إلا هيبته حتى تخلّف في حج أو عمرة في الأراك الذي ببطن مَرّ الظهْران لحاجة فلما جاء وخلوت به قلت ياأمير المؤمنين إني أريد أن اسألك عن حديثٍ منذ سنتين مايمنعني الا هيبة لك قال فلا تفعل اذا اردت ان تسأل فسلني فإن كان منه عندي علم اخبرتك وإلا قلت لا اعلم فسألت من يعلم قات مَن المرأتان اللتان ذكرهما الله أنهما تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عائشة وحفصة ثم قال كان لي أخ من الأنصار وكنا نتعاقب النزول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل يوماً وينزل يوماً فما اتى من حديث او خبر اتاني به وانا مثل ذلك ونزل ذات يوم وتخلفت فجائني وذكر الحديث بطوله (قال ابوعمر) الذي آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين عمر بن الخطاب من الانصار هو عُتبان بن مالك(١) . وعن سعيد بن المسيّب قال قلت لسعيد بن مالك إني اريد ان اسألك عن شيء واني أهابك فقال لاتهبني يابن اخي اذا علمت ان عندي علما فسلني عنه قال قلت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي في غزوة تبوك حين خلفه فقال سعد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعلي اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هرون من موسى . وعن معمر عن طاوس عن ابيه قال ان من السنة ان يوقّر العالم

(باب في ابتداء العالم جلساءه بالفائدة وقوله سلوني وحرصهم على أن يؤخذ ماعندهم)

عن عُبادة بن الصامت(٢) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا الثيّب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة والبكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة . وعن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رمى الجمرة يوم النحر على راحلته وقال خذوا عني مناسككم فإني لاادري لعلّي لااحج بعد حجتي هذه . وعن انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في سفر ومعه معاذ بن جبل رديفه على الراحلة فقال يامعاذ قال لبيك يارسول الله وسعديك ثلاثا قال مامن احد يشهد ان لااله الا الله وان محمدا رسول الله صادقا من قلبه الا حرم الله عليه النار قات يارسول الله ألا اخبر به الناس فيستبشروا قال اذاً يتكلوا واخبر بها معاذ عند موته . وعن خالد بن عرعرة التيمي قال سمعت علي بن ابي طالب يقول الا رجل يسأل فينتفع وينفع جلساءه . وعن

(١) بن عمرو العجلاني الأنصاري السالمي صحابي مشهور مات في خلافة معاوية اﻫ تقريب

(٢) الأنصاري الخزرجي احد النقباء بدْري مشهور مات بالرملة سنة ٣٤ ﻫ تقريب

سعيد بن المسيّب قال ما كان أحد من الناس يقول سلوني غير علي بن أبي طالب • وعن راذان قال سألت ابن مسعود عن أشياء ما أحد يسألني عنها • وعن شقيق قال خطبنا ابن عباس وهو على الموسم فقرأ سورة البقرة فجعل يفسّر ويقرأ فما رأيت ولا سمعت كلام رجل مثله إني أقول لو سمعته فارس والروم والترك لأسلمت • وعن ابن عباس ماسألني رجل عن مسألة الا عرفت أفقيه هو أو غير فقيه • وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال ألا تسألني عن آية فيها مائة آية قال قلت ما هي قال قوله عز وجل « وفتناك فتونا » قال كل شيء أوتي من خير أو شر كان فتنة وذكر حين حملت به أمه وحين وضعته وحين التقطه آل فرعون وحين بلغ ما بلغ ثم قال ألا ترى قوله « ونبلوكم بالشر والخير فتنة »

وعن أبي صالح قال قال علي رضي الله عنه سلوا ولو أن انسانا يسأل فسأله ابن الكوّاء عن الاختين المملوكتين وعن بنت الأخ والاخت من الرضاعة فقال انك لذهّاب في التيه سل عما ينفعك أو يعنيك قال انما نسأل عما لا نعلم قال فقال في ابنة الأخ أو الأخت من الرضاعة أردت رسول الله صلى الله عليه وسلم على بنت حمزة فقال هي ابنة أخي من من الرضاعة وقال في الأختين المملوكتين أحلتهما آية وحرّمتهما آية لا آمر ولا أنهى ولا أحل ولا أحرم ولا افعله انا ولا اهل بيتي • وعن سعيد بن جبير قال إن مما يهمني أني وددت أن الناس قد اخذوا ما معي من العلم • وروينا عن الحسن أنه كان يبتدئ الناس بالعلم ويقول سلوني • وقال قتادة اتى على الحسن زمان وهو يعجب ممن يدعو الى نفسه فما مات حتى دعا الى نفسه • وقال لقمان الحكيم ان العالم يدعو الناس الى علمه بالصمت والوقار • وعن الزهري قال كان عروة يستألف الناس على حديثه • وقال هشام بن عروة كان أبي يقول لنا انا كنا أصاغر قوم ثم نحن اليوم كبار قوم وانكم اليوم اصاغر قوم وستكونون كباراً فتعلموا العلم تسودوا به قومكم ويحتاجون اليكم • قال هشام وكان أبي يدعوني وعبد الله بن عروة وعثمان واسمعيل اخوتي وآخر فيقول لاتغشوني مع الناس واذا خلوت فسلوني فكان يحدثنا يأخذ في الطلاق ثم الخلع ثم الحج ثم الهدي ثم كذا ثم يقول كرّوا علي فكان يعجب من حفظي قال هشام والله ماتعلمنا منه جزءا من ألف جزء من أحاديثه • وعن احمد بن الحسن الترمذي (١) قال سمعت عبد الرحمن بن مهدي (٢)

---

(١) ثقة حافظ مات سنة (٢٥٠) تقريباً هـ من التقريب (٢) بن حسان العنبري مولاهم البصري ثقة حافظ عارف بالرجال والحديث قال ابن المديني ما رأيت اعلم منه مات سنة ١٩٨ هـ تقريب

يقول كان زائدة يخرج اليهم فيقول اكتبوا اكتبو قبل ان انسى • وعن يحيى بن يمان العجلي (١) قال سمعت سفيان الثوري يقول والله لولم يأتوني لأتيتهم في بيوتهم يعني أصحاب الحديث فقيل له انهم يطلبونه بغير نية فقال إن طلبهم إياه نية • وكان الربيع بن سليمان (٢) يقول قال لي الشافعي ياربيع لو قدرت ان اطعمك العلم لاطعمتك إياه • وقال الربيع كان الشافعي يملي علينا في صحن المسجد فاحقته الشمس فمرّ به بعض إخوانه فقال يا أبا عبد الله في الشمس فأنشأ الشافعي يقول

أُهين لهم نفسي لأكرمها بهم ... ولن تكرمَ النفسُ التي لا تهينها

وقال ابن عباس ذللتُ طالباً فعززت مطلوباً

﴿ باب منازل العلم ﴾

عن داود بن عمرو بن زهير الضّبي (٣) قال سمعت فضيل بن عياض (٤) يقول أول العلم الإنصات ثم الاستماع ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر • وعن علي بن الحسن بن شقيق (٥) قال سمعت ابن المبارك يقول أول العلم النية ثم الاستماع ثم الفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر • وعن عبد الرحمن بن مهدي عن محمد بن النضر الحارثي قال أول العلم الاستماع قيل ثم ماذا قال الحفظ قيل ثم ماذا قال العمل قيل ثم ماذا قال النشر • وروي عن سفيان مثله

﴿ باب طرح العالم المسألة على المتعلم ﴾

عن مُعاذ بن جبل قال كنت رِدف النبي صلى الله عليه وسلم فقال هل تدري يامعاذ ماحق الله على الناس قال قلت الله ورسوله أعلم قال حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً أتدري يامعاذ ماحق الناس على الله إذا فعلوا ذلك قال فقلت الله ورسوله أعلم قال حق الناس على الله أن لا يعذبهم قال قلت يارسول الله الا أبشر الناس قال دعهم يعملون وعن عبد الله بن عمر (٦) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن من الشجر شجرة لا يسقط

---

(١) الكوفي صدوق عابد يخطئ كثيراً مات سنة ١٨٩ هـ تقريب (٢) المرادي بالولاء المصري صاحب الامام الشافعي وراوي اكثر كتبه مات سنة ٢٧٠ بمصر هـ ابن خلكان (٣) البغدادي ثقة مات سنة ٢٢٨ هـ تقريب (٤) التميمي الطالقاني الزاهد المشهور مات بمكة سنة ١٨٧ هـ ابن خلكان (٥) المروزي ثقة حافظ مات سنة ٢١٥ هـ تقريب (٦) بن الخطاب الصحابي الجليل اسلم مع ابيه وهو صغير لم يبلغ وهاجر معه الى المدينة وكان اعلم الصحابة بمناسك الحج مات سنة ٦٣ هـ ابن خلكان

ورقها وإنها مثل الرجل المسلم حدثوني ماهي قال عبد الله فوقع الناس في شجر البوادي ووقع في نفسي أنها النخلة قال فاستحييت فقالوا يارسول الله ماهي قال النخلة قال عبدالله ابن عمر فحدثت عمر بن الخطاب بالذي وقع في نفسي فقال لأن تكون قلتها أحب إلي من أن يكون لي كذا وكذا • وعن النعمان بن مرة (١) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما ترون في الشارب والسارق والزاني وذلك قبل أن ينزل فيهم قالوا الله ورسوله أعلم قال هن فواحش وفيهن عقوبة وأسوأ السرقة الذي يسرق صلاته قالوا يارسول الله كيف يسرق صلاته قال لا يتم ركوعها ولا سجودها • وعن يحيي بن سعيد أنه سمع سعيد بن المسيب يقول ماترون في رجل وقع بامرأته وهو محرم فلم يقل له القوم شيئاً فقال سعيد إن رجلا وقع بامرأته وهو محرم وذكر الحديث • وعن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أنه قال ما صلاة يجلس في كل ركعة منها ثم قال سعيد هي المغرب اذا فاتتك منها ركعة أن تجلس مع إمامك في ثانيته وهي لك أولى وكذلك سنة الصلاة كلها

(قال أبو عمر) يعني اذا فاتتك منها ركعة أن تجلس مع امامك في ثانيته وهي لك اولى وهذه سنة الصلاة كلها اذا فاتتك منها ركعة • وعن يحيي بن سعيد أن سعيد بن المسيب قال ماترون فيمن غلبه الدم من رعاف فلم ينقطع عنه قال يحيي بن سعيد ثم قال سعيد أرى أن يومي برأسه ايماء

«باب فتوى الصغير بين يدي الكبير»

عن عبدالرحمن بن غنم الاشعري (٢) قال قلت لمعاذ بن جبل أرأيت قول الله «ياأيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدي الله ورسوله» فقال شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا أبا بكر وعمر حين أراد أن يبعثني الى اليمن فقال أشيرا علي فيما آخذ من اليمن قالا يارسول الله أليس قد نهى الله أن يتقدم بين يدي الله ورسوله فكيف نقول وأنت حاضر فقال رسول الله إذا أمرتكما فلم تتقدما بين يدي الله ورسوله قال عبد الرحمن بن غنم فقلت لمعاذ بن جبل فللرجل العالم أن يقول ومعه عداده من الناس في الأمر لابد منه قال إن شاء قال وإن شاء أمسك حتى يكفيه أصحابه فذلك أحب الي

(قال أبو عمر) هذا حديث لايحتج بمثله لضعف إسناده ولكنه حديث حسن نقله الناس وذكرناه لنقف عليه وتعرفه • وعن سالم بن عبد الله (٣) أنه قال كتب عبد

---

(١) الانصاري المدني ثقة من الثانية ووهم من عده في الصحابة هـ تقريب (٢) مختلف في صحبته وذكره العجلي في كبار ثقات التابعين مات سنة ٧٨هـ تقريب (٣) بن عمر بن الخطاب

الملك بن مروان الى الحجاج أن لاتخالف أمر عبد الله بن عمر في أمر الحج فلما كان يوم عرفة جاءه عبد الله بن عمر حين زالت الشمس وأنا معه فصاح عند سرادقه أين هذا فخرج اليه الحجاج وعليه ملحفة معصفرة فقال مالك يا أبا عبد الرحمن قال الرواح إن كنت تريد أن تصيب السنة اليوم فقال هذه الساعة قال نعم قال فأنظرني أفيض عليّ ماء ثم أخرج اليك فنزل عبد الله حتى خرج اليه الحجاج فسار بيني وبين أبي فقلت له إن كنت تريد أن تصيب السنة فأقصر الخطبة وعجّل الوقوف قال فجعل ينظر الي عبد الله بن عمر كيما يسمع ذلك منه فلما رأى ذلك عبد الله قال صدق • وعن حجاج بن عمرو بن غَزِيّة(١) أنه كان جالساً عند زيد بن ثابت فجاءه ابن فهد رجل من اليمن فقال يا أبا سعد إن عندي جواري ليس نسائي اللآئي أكنّ بأعجب اليّ منهن وليس كلهن يعجبني أن تحمل مني أفأعزل فقال زيد أفته ياحجاج قال قلت غفر الله لك إنما نجلس اليك لنتعلم منك فقال أفته قال قلت هو حرثك إن شئت سقيته وان شئت عطشته وكنت أسمع ذلك من زيد ابن ثابت فقال زيد صدق

﴿ باب جامع لنشر العلم ﴾

روي سهل بن سعد (٢) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمْر النَّعم • ومن حديث أبي رافع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعليّ ياعليّ لأن يهدي الله على يديك رجلا واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس • وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مثل الذي يتعلم العلم ولا يحدث به كمثل الذي يكنز الكنز ولا ينفق منه وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مثل الذي يتعلم العلم لا يحدث به الناس كمثل الذي رزقه الله مالاً لا ينفق منه • وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم علم لا يقال به ككنز لا ينفق منه • وروي مثل هذا عن سلمان الفارسي (٣) أيضاً • وعن ابن القاسم قال كنا اذا ودّعنا مالكا يقول لنا اتقوا الله وانشروا هذا العلم وعلّموه ولا تكتموه • وعن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصّدقة أن يتعلم الرجل العلم فيعمل به ثم يعلّمه • وعن ابن شهاب قال سمعت

أحد فقهاء المدينة من سادات التابعين وعلمائهم وثقاتهم مات سنة ١٠٦ وقيل أكثر هـ ابن خلكان (١) الانصاري المازني المدني صحابي وشهد صِفّين مع علي هـ تقريب وفي الاستيعاب أنه روى عن النبي صلى الله وسلم حديثين هـ (٢) بن مالك الانصاري الخزرجي الساعدي له ولأبيه صحبة مات سنة ٨٨ هـ تقريب

(٣) ويقال له سلمان الخير أصله من أصبهان أول مشاهده الخندق مات سنة ٣٤ هـ تقريب

(قف على قول عبد الملك بن مروان)

عبد الملك بن مروان خطبنا يوم الفطر فقال ان العلم يقبض قبضاً سريعا فمن كان عنده علم فلينشره غير خاف عنه ولاغالٍ فيه • وروينا عن عبد الرحمن بن مهدي قال كان أنس بن مالك يقول بلغني أن العلماء يسئلون يوم القيامة كما تسئل الانبياء يعني عن تبليغه • وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ألا أخبركم عن أجود الأجواد قالوا نعم يارسول الله قال الله أجود الأجواد وأنا أجود ولد آدم وأجودهم من بعدي رجل علم علماً فنشر علمه يبعث يوم القيامة أمةً وحده ورجل جاد بنفسه في سبيل الله حتى قتل • وعن سليم ابن عامر قال كان أبو أمامة يحدثنا فيكثر ثم يقول عقلتم فنقول نعم فيقول بلغوا عنا فقد بلغنا كم يرى أن حقاً عليه أن يحدث بكل ماسمع • ومن حديث معاذ بن أنس الجهني(١) عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من علم علماً فله أجر ذلك ماعمل به عامل لاينقص من أجر العامل شئ • وعن جعفر بن برقان (٢) قال كتب الينا عمر بن عبد العزيز أما بعدُ فمُرْ أهل الفقه والعلم من عندك فلينشروا ماعلمهم الله في مجالسهم ومساجدهم والسلام • ويقال ماص بن العلم بمثل العمل به وبذله لأهله وقالوا النار لاينقصها ماأخذ منها ولكن ينقصها ألاّ تجد حطباً وكذلك العلم لاينقصه الاقتباس منه ولكن فقد الحاملين له سبب عدمه • وروي عن علي أنه قال من علم وعمل وعلم دُعي في ملكوت السماء عظيما • وقد رُوي هذا من كلام المسيح عليه السلام وأخذه بكر بن حماد فقال في مرثيته لأحمد بن حنبل

(قف على كلام عمر بن عبد العزيز)

وإذا امرؤ عملت يداه بعلمهِ نودي عظيماً في السماء مسوَّدا

وعن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماتصدق رجل بصدقة أفضل من علم ينشره • وعن ابن عباس قال معلم الخير يستغفر له كل شئ حتى الحوت في البحر • وقال ابن مسعود في قول الله عز وجل « إن ابراهيم كان أمة قانتاً » قال الأمة المعلم للخير والقانت المطيع (قال أبو عمر) وقد ذكرنا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم نضر الله أمرأ سمع مقالتي أو سمع منا حديثاً فوعاه ثم بلغه غيره وذكرنا من فضل نشر العلم وكراهية كتمانه في كتابنا هذا في غير موضع منه ماأغنى عن إعادته هنا : وقال ابن وهب سمعت سفيان بن عيينة يقول في قول الله عز وجل « وجعلني مباركا أينما كنت » قال معلما للخير • وفيما كتب بعض الحكماء الى أخ له قال واعلم ياأخي أن إخفاء العلم هلكة وإخفاء العمل نجاة • وسئل سهل بن عبد الله التُّستري(٣) رحمه الله متى يجوز للعالم أن

---

(١) الانصاري صحابي نزل مصر وبقي الى خلافة عبد الملك هـ تقريب (٢) الكلابي صدوق يَهِمُ في حديث الزهري مات سنة ١٥٠ وقيل بعدها هـ تقريب (٣) الصالح المشهور لم يكن له في وقته نظير في المعاملات والورع مات سنة ٢٧٣ وقيل أكثر هـ ابن خلكان

يعلّم الناس قال اذا عرف المحكمات من المتشابهات (١)

﴿ باب جامع فى آداب العالم والمتعلم ﴾

عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال علّموا ويسّروا (٢) ولا تعسّروا ثلاثاً وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلّموا العلم وتعلموا له السكينة والوقار وتواضعوا لمن تتعلمون منه ولمن تعلّمونه ولا تكونوا جبابرة العلماء: وقال موسى بن عبيد الله الخاقاني

علّم العلم مَن أتاك لعلم   واغتنم ما حييت منه الدعاء
وليكن عندك الفقير إذا ما   طلب العلم والغنيّ سواء

وعن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنزل الله شيئاً أقلّ من اليقين ولاقسم بين الناس شيئاً أقل من الحلم وما أُوري شيءٌ الى شيء أزين من حلم الى علم. وعن ابراهيم بن أدهم ومحمد بن عجلان قالا ما من شيء أشد على الشيطان من عالم حليم إن تكلم تكلم بعلم وان سكت سكت بحلم يقول الشيطان انظروا اليه كلامه أشد علي من سكوته: وعن رجاء بن حَيْوة قال يقال ما أحسن الإسلام ويزينه التقوى وما أحسن التقوى ويزينها العلم وما أحسن العلم ويزينه الحلم وما أحسن الحلم ويزينه الرفق وقال بعض الأدباء في هذا المعنى

(قف على من حديث جليل)

العلم والحلم خُلّتا كرمٍ   للمرء زين إذا هما اجتمعا
كم من وضيع سما به العلـــم والحلم فنال السموّ وارتفعا
صنوان لايستتمّ حسنهما   الا بجمع لذا وذاك معا
كل رفيع البنا أضاعهما   أخمله ما أضاع فاتضعا

وكان يقال لَقاح المعرفة دراسة العلم. ومن كلام عبد الله بن مسعود لأصحابه كونوا ينابيع العلم مصابيح الهدى. وعن أبي جحيفة (٣) قال كان يقال جالس الكبراء وخالل العلماء وخالط الحكماء. وعن سفيان بن عيينة قال قال عيسى بن مريم جالسوا من يذكركم بالله

---

(١) لاشك أن المراد من السؤال عن العالم هنا هو العالم بكتاب الله البصير بدينه كما يدل عليه الجواب (٢) هذا الحديث نص صريح في الاعتناء بأمر التعليم وإتقان طرقه وتسهيله على طلابه وليتأمله الذين أصبحوا في مهوءٍ من سوء حالة التعليم والجمود فيه حتى صار الطالب في مثل تلك الحال يغبط الجهال اصلحهم الله (٣) هو وهب بن عبد الله السُّوائي ويقال له وهب الخير صحابي مشهور بكنيته اه تقريب

رؤيته ومن يزيد في علمكم منطقه ومن يرغبكم في الآخرة عمله • وكان الليث بن سعد(١) كثيراً مايقول لأصحاب الحديث تعلموا الحلم قبل العلم . وقال ابن وهب ماتعلمت من أدب مالك أفضل من علمه • ولقد أحسن عبدالله بن المبارك حيث يقول

أيها الطالب علماً ائت حماد بن زيد
فاقتبس علماً وحلماً ثم قيده بقيد

وذكر محمد بن الحسن الشيباني عن أبي حنيفة قال الحكايات عن العلماء ومجالستهم أحب الي من كثير من الفقه لأنها آداب القوم واخلاقهم . وقال ابو الدرداء من فقه الرجل ممشاه ومدخله ومخرجه مع اهل العلم . وعن الربيع بن سليمان قال سمعت الشافعي يقول من حفظ القرآن عظمت حرمته ومن طلب الفقه نبل قدره ومن عرف الحديث قويت حجته ومن نظر في النحو رق طبعه ولم يصن نفسه لم يصنه العلم • وقال عمر (٢) مولى غفرة لايزال العالم عالماً مالم يجسر في الأمور برأيه ومالم يستح ان يمشي الى من هو اعلم منه . وقال الخليل اذا اخطأ بحضرتك من تعلم انه يأنف من ارشادك فلا تردعليه خطأه لأنك اذا نبهته على خطأه اسرعت افادته واكتسبت عداوته. وقال ابو الاسود(٣) الدؤلي اذا اردت ان يكذبك الشيخ فلقنه . وكان شعبة يقول كل من سمعت منه حديثاً فأنا له عبد . وعن الحسن قال كان طالب العلم يرى ذلك في سمعه وبصره وتخشعه . وعن وهب بن منبه قال ان للعلم طغياناً كطغيان المال وكان عقبة بن مسلم يقول الحديث مع الرجل والرجلين والثلاثة فاذا عظمت الحلقة فأنصت . وروينا من وجوه عن الشعبي قال صلى زيد بن ثابت على جنازة ثم قربت له بغلة ليركبها فجاء ابن عباس فأخذ بركابه فقال له زيد خلِّ عنك يا ابن عم رسول الله فقال ابن عباس هكذا يفعل بالعلماء والكبراء . وزاد بعضهم في هذا الحديث أن زيد بن ثابت كافأ ابن عباس على أخذه بركابه أن قبَّل يده وقال هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا صلى الله عليه وسلم . وهذه الزيادة من أهل العلم من ينكرها والجنازة كانت جنازة أم زيد بن ثابت صلى عليها زيد وكبر أربعاً وأخذ ابن عباس بركابه يومئذ . وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم علِّموا ولا تعنتوا فان المتعلم خير من المعنت . هكذا قال وغيره يقول في هذا الحديث تعلموا ولا

(وقف على كلام الشافعي)

---

(١) ابن عبد الرحمن الفهمي المصري ثقة ثبت امام مشهور مات سنة ١٧٥ هـ تقريب

(٢) ابن عبدالله كثير الإرسال ضعيف مات سنة ١٤٥ اهـ تقريب (٣) واسمه ظالم بن عمرو وقيل غير ذلك ثقة فاضل مخضرم مات سنة ٦٩ هـ تقريب

تعنتوا فإن المتعلم خير من المتعنّت • وعن عبدالله ابن عباس (١) رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم قال علّموا ويسروا ولا تعسروا ثلاث مرات واذا غضبتم فاسكتوا كررها ثلاث مرات . وعن ميمون بن مهران قال لاتمار عالماً ولا جاهلا فإنك اذا ماريت عالما خزن عنك علمه وان ماريت جاهلا خشن بصدرك • وعن الزهري قال كان ابو سلمة يماري ابن عباس فحرم بذلك علماً كثيراً • وعن ابن طاوس عن ابيه قال من السنة ان يوقّر العالم • وعن سعيد بن المسيب ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال ان من حق العالم الاّ تكثر عليه بالسوآل ولا تعنته في الجواب وان لاتلح عليه اذا كسل ولا تأخذ بثوبه اذا نهض ولا تفشين له سراً ولا تغتابن عنده احداً ولا تطلبن عثرته وإن زلّ قبلت معذرته وعليك ان توقره وتعظمه لله مادام يحفظ امر الله ولا تجلس أمامه وان كانت له حاجة سبقت القوم الى خدمته (قال ابوعمر) وروينا من وجوهٍ كثيرة عن ابي سلمة انه قال لو رفقت بابن عباس لاستخرجت منه علماً كثيراً . وقالت الحكماء اذا جالست العاماء فكن على ان تسمع احرص منك على ان تقول وقال الحسين ابن علي لابنه يابني إذا جالست العلماء فكن على أن تسمع احرص منك على أن تقول وتعلم حسن الاسماع كما تتعلم حسن الصمت ولا تقطع على احد حديثا وان طال حتى يمسك

(قف على قول علي في حق العالم)

وقال الشعبي جالسوا العلماء فإنكم ان احسنتم حمدوكم وان اسأتم تأوّلوا لكم وعذروكم وان اخطأتم لم يعنفوكم وان جهلتم علموكم وان شهدوا لكم نفعوكم

﴿ فصل في وصايا نافعة ﴾

قال الخليل بن أحمد إجعل تعليمك دراسة لك واجعل مناظرة المتعلم تنبيهاً لماليس عندك وأكثر من العلم لتعلم وأقلل منه لتحفظ . وروي عنه أنه قال أقلوا من الكتب لتحفظوا وأكثروا منها لتعلموا وقال إذا أردت أن تكون عالماً فاقصد لفن من العلم وإن أردت أن تكون أديباً فخذ من كل شيء أحسنه • وقال غيره من أراد أن يكون حافظاً نظر في فن واحد من العلم ومن أراد أن يكون عالماً أخذ من كل علم بنصيب • وعن أبي عُبَيْد القاسم بن سلاّم (٢) قال ماناظرني رجل قط وكان مفنّناً في العلوم إلا غلبته ولا ناظرني

---

(١) ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ودعا له الرسول بالفهم في القرآن فكان يسمى البحر والحبر لسعة علمه وهو احد المكثرين من الحديث وأحد العبادلة مات سنة ٦٨ بالطائف اهـ تقريب (٢) البغدادي الامام في العربية وغريب الحديث وعلوم الاسلام صاحب التصانيف النافعة حسن الرواية صحيح النقل مات سنة ٢٢٢

(قف على قول يحي بن خالد لابنه)

رجل ذو فن واحد إلا غلبني في علمه ذلك . وقال يحي بن خالد بن برمك (١) لابنه يابني خذ من كل علم بحظ وافر فانك ان لم تفعل جهلت وان جهلت شيئاً من العلم عاديته بما جهلت وعزيز علي أن تعادي شيئاً من العلم . وأنشدني عبدالله بن محمد بن يوسف

فلا تلمهم على إنكار ما نكروا فإنما خلقوا أعداء ما جهلوا

وعن مطر الوراق قال مثل الذي يروي عن عالم واحد مثل الذي له امرأة واحدة اذا حاضت بقي . وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ارحموا من الناس ثلاثة عزيز قوم ذل وغني قوم افتقر وعالماً بين جهال . وكان يقال لا يكون الرجل عالماً حتى تكون فيه ثلاث خصال لا يحقر من دونه في العلم ولا يحسد من فوقه في العلم ولا يأخذ على علمه ثمناً . وقال بلال ابن أبي بردة (٢) لا يمنعكم سوء ما تعلمون منا أن تقبلوا أحسن ما تسمعون منا وقال الخليل بن أحمد

اعمل بعلمي وان قصرت في عملي ينفعك علمي ولا يضررك تقصيري

﴿ فصل في الانصاف في العلم ﴾

(قال أبو عمر) من بركة العلم وآدابه الإنصاف فيه ومن لم ينصف لم يفهم ولم يُفهم . وقال بعض العلماء ليس معي من العلم الا اني أعلم أني لست أعلم . وقال محمود الوراق

أتم الناس أعرفهم بنقصه وأقمعهم لشهوته وحرصه

(قف على انصاف سيدنا عمر)

وعن عمر بن الخطاب أنه قال لا تزيدوا في مهور النساء على أربعين أوقية ولو كانت بنت ذي العصبة (يعني يزيد بن الحسين الحارثي) فمن زاد ألقيت زيادته في بيت المال فقامت امرأة من صف النساء طويلة فيها فطس فقالت ماذلك لك قال ولم قالت لأن الله عز وجل يقول « وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً » فقال عمر امرأة أصابت ورجل أخطأ .

وعن محمد بن كعب القرظي قال سأل رجل علياً عن مسألة فقال فيها فقال الرجل ليس كذلك يا أمير المؤمنين ولكن كذا وكذا فقال علي رضي الله عنه أصبت وأخطأت وفوق كل ذي علم عليم . وروى سفيان بن عيينة عن ابن أبي حسين قال اختلف ابن عباس وزيد في الحائض تنفر فقال زيد حتى يكون آخر عهدها الطواف بالبيت وقال ابن عباس اذا طافت طواف الافاضة فلها أن تنفر ولا تودع البيت فرد عليه زيد قوله فقال ابن عباس سل نسياتك أم سليمان وصويحباتها فذهب زيد فسألهن ثم جاء وهو يضحك فقال القول ماقلت . وكان مالك بن أنس يقول مافي زماننا شيء أقل من الانصاف . وعنه

بمكة وقيل أكثر اه من نزهة الألبا (١) كان من النبل والعقل وجميع الخلال على أكمل حال مات سنة ١٩٠ هـ ابن خلكان (٢) ابن أبي موسى الاشعري مات سنة ١٢٠ هـ تقريب

قال قال ابن هرمز ماطلبنا هذا الامر حق طلبه قال مالك وأدركت رجالا يقولون ماطلبناه الا لأنفسنا وما طلبناه لتتحمل به أمور الناس . وعن محمد بن عمر قال سمعت مالك ابن انس يقول لما حج أبو جعفر المنصور دعاني فدخلت عليه فحدثته وسألني فأجبته فقال اني قد عزمت ان آمر بكتبك هذه التي وضعتها يعني الموطأ فتنسخ نسخاً ثم ابعث الى كل مصر من امصار المسلمين منها نسخة وآمرهم ان يعملوا بما فيها لايتعدوها الى غيرها ويدعوا ماسوى ذلك من هذا العلم المحدث فاني رأيت اصل هذا العلم رواية اهل المدينة وعلمهم قال فقلت يا امير المؤمنين لاتفعل فان الناس قد سبقت اليهم اقاويل وسمعوا احاديث ورووا روايات واخذ كل قوم بما سبق اليهم وعملوا به ودانوا به من اختلاف الناس اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرهم وإن ردهم عما اعتقدوه شديد فدع الناس وماهم عليه وما اختار كل بلد لأنفسهم فقال لعمري لو طاوعتني على ذلك لأمرت به : وهذا غاية في الانصاف لمن فهم

(قف على ما جرى بين مالك والمنصور)

وعن عبد الرحمن بن القاسم قال قلت لمالك ما اعلم احداً اعلم بالبيوع من اهل مصر فقال له مالك وبم ذلك قال بك قال انا لااعرف البيوع فكيف يعرفونها بي .وقال خالد بن يزيد ابن معاوية عنيت بجمع الكتب فما انا من العلماء ولا من الجهال • وقال يزيد بن عبد الملك

اذا محدثتُ في مجلسٍ تناهى حديثي الى ماعلمتُ

ولم اعدُ علمي الى غيره وكان اذا ماتناهى سكتّ

وروينا عن الشعبي قال مارأيت مثلي ماأشاء أن أرى أعلم مني الا وجدته • وقال غيره علمنا أشياء وجهلنا أشياء فلا نبطل ماعلمنا بما جهلنا • وقال حماد بن زيد سئل أيوب عن شيء فقال لم يبلغني فيه شيء فقيل له قل فيه برأيك فقال لايبلغه رأيي •وعن عبد الرحمن بن مهدي قال ذاكرت عبد الله بن الحسين العاضي بحديث وهو يومئذ قاضٍ فخالفني فيه فدخلت عليه وعنده الناس سماطين (أي صفّين) فقال لي ذلك الحديث كما قلت أنت وأرجع أنا صاغرا • وقال الخليل بن أحمد أيامي أربعة يومٌ أخرج فألقى فيه من هو أعلم مني فأتعلم منه فذلك يوم فائدتي وغنيمتي ويومٌ أخرج فألقى فيه من أنا أعلم منه فذلك يوم أجري ويومٌ أخرج فألقى فيه من هو مثلي فأذاكره فذلك يوم دَرْسي ويومٌ أخرج فألقى فيه من هو دوني وهو يرى أنه فوقي فلا أكلمه وأجعله يوم راحتي • وكان يقال اذا علّمت العاقل علماً حمدك وإن علّمت الجاهل ذمّك ومقتك وما تعلم مستحي ولا متكبر قط • وروي أن بزرجمهر أخذت امرأة بلجامه وهو خارج من عند كسرى فقالت أخبرني عما يخبّط الناس فيه من معائشهم أعلى قدر كَيْسِهم أم بتقدير

من خالفهم لهم فقال لها هذه مسألة قد اختلف فيها مَن مضى مِن سلفنا فقالت له فأنت على كثرة ماتأخذ من بيت المال تعي عن الجواب في هذه المسألة فقال لها انما آخذ من بيت المال على قدر ما أحسن ولو أخذت على قدر مالا أحسن أنفدته سريعاً فقالت المرأة أما انك إذ عييت عن جواب هذه المسألة لقد أحسنت الحيلة في بقاء هذا الرزق عليك ٠ وقال غيره من الحكماء لم أطلب العلم لأ بلغ أقصاه ولكن لأ علم مالا يسعني جهله ٠ وقال الشاعر

اذا ماانتهى علمي تناهيت عنده أطال فأملى أم تناهى فأقصرا

ويخبرني عن غائب المرء فعله كفى الفعل عما غيّب المرء مُخبِرا

وأخبرني غير واحد عن أبي محمد قاسم بن أصبغ قال لما رحلت إلى المشرق نزلت القيروان فأخذت على بكر بن حماد حديث مسدّد ثم رحلت إلى بغداد ولقيت الناس فلما انصرفت عدت إليه لتمام حديث مسدّد فقرأت عليه فيه يوماً حديث النبي صلى الله عليه وسلم أنه قَدِم قومٌ من مصر مجتابي النّمار فقال لي انما هو مجتابي الثمار فقلت له انما هو مجتابي النمار هكذا قرأته على كل من قرأت عليه بالأندلس وبالعراق فقال لي بدخولك العراق تعارضنا وتفخر علينا ثم قال لي قم بنا الى ذلك الشيخ لشيخ كان في المسجد فإن له بمثل هذا علماً فقمنا اليه وسألناه عن ذلك فقال انما هو مجتابي النمار كما قلت وهم قوم كانوا يلبسون الثياب مشققة جيوبهم أمامهم والنمار جمع نَمِرة فقال بكر بن حماد وأخذ أنفه رغم أنفي للحق رغم أنفي للحق وانصرف

وعن عبد الله بن وهب قال سمعت مالكاً يقول المِرَاء يقسي القلب ويورث الضِغْن

﴿ فصل في فوائد مهمة وحكم جليلة ﴾

عن ليث بن ابي سليم (١) قال قال لي طاوس (٢) ماتعلّمت فتعلمه لنفسك فان الأمانة والحياء قد ذهبا من الناس . وقال مالك بن دينار (٣) من طلب العلم لنفسه فقليل العلم ومن طلبه للناس لحوائج الناس كثيرة ٠ وقالت امرأة للشعبي ايها العالم افتني فقال انما

---

(١) بن زُنَيم واسم أبيه أيمن وقيل غير ذلك صدوق اختلط أخيراً مات سنة ١٤٨ هـ تقريب (٢) بن كيسان اليماني الحميري مولاهم الفارسي يقال اسمه ذكوان وطاوس لقب له ثقة فاضل فقيه من اعلام التابعين ولمّا وُلّي عمر بن العزيز الخلافة كتب اليه طاوس إن أردت ان يكون عملك خيراً كله فاستعمل أهل الخير فقال عمر كفى بها موعظة مات سنة ١٠٦ بمكة هـ تقريب وابن خلكان

(٣) البصري الزاهد صدوق عابد مات سنة ١٣٠ هـ تقريب

العالم من خاف الله عز وجل . وعن ابن مسعود قال ماأنت محدِّث قوماً حديثاً لايبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة • وعن هشام بن عروة قال قال لي أبي ماحدثت أحداً بشيءٍ من العلم قط لم يبلغه علمه الا كان ضلالاً عليه • وعن أبي قلابة قال لاتحدّث بحديثٍ من لايعرفه فان من لايعرفه يضره ولاينفعه • وقال ابن عباس حدّثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يُكذّب الله ورسوله • وعن عِمْران بن مسلم أن عمر بن الخطاب قال تعلموا العلم وعلّموه الناس وتعاموا له الوقار والسكينة وتواضعوا لمن تعلمتم منه ولمن علمتموه ولا تكونوا جبابرة العلماء فلا يقوم جهلكم بعلمكم . وعن محمد بن علي قال سمعت أبا مسلم يقول كان سفيان على المَرْوَة فنظر الى أصحاب الحديث يَعْدُون حين رأوه كأنهم مجانين فقال مثلهم مثل أصحاب الجنائز لهم لذة في شيء لوأرادوا الله به آمارَبوا الخطا • ويقال أربعة لايأنف الشريف منهن قيامه من مجاسه لأبيهِ وخدمته لضيفه وقيامه على فرسه وان كان له عبيد وخدمته العالم ليأخذ من علمه • ويقال ارحموا عالماً يجري عليه حكم جاهل • ويروى ان بعض الاكاسرة كان اذا سخط على عالم سجنه مع جاهل في بيت واحد • ومن حديث جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لايستخف بحقهم الاّ منافق ذو الشيبة في الاسلام والإمام المقسط ومعلّم الخير • وقال ابن وهب سمعت مالكا يقول ان حقاً على من طلب العلم ان يكون له وقار وسكينة وخشية وان يكون متبعاً لآثار من مضى قبله . وقال ابو الدرداء من يزدد علماً يزدد وجعاً

وقال سفيان الثوري لولم أعلم كان أقل لحزني • وعن رجاء بن حَيْوة (١) عن ابي الدرداء قال انما العلم بالتعلم وانما الحلم بالتحلّم ومن يتحرّ الخير يُعْطَه ومن يتوقَّ الشرَّ يُوقَهُ ثلاثٌ من فعلهن لم يسكن الدرجات العُلى من تكهّن اواستقسم اورجع من سفره لطِيَرة • وقال الحسن العامل على غير علم كالسالك على غير طريق والعامل على غير علم مايفسد اكثر مما يصلح فاطلبوا العلم طلباً لا تضروا بالعبادة واطلبوا العبادة طلباً لاتضروا بالعلم فإن قوماً طلبوا العبادة وتركوا العلم حتى خرجوا بأسيافهم على أمة محمد صلى الله عليه وسلم ولو طلبوا العلم لم يدلّهم على مافعلوا • وعنه ايضاً قال ان من اخلاق المؤمن قوةً في الدين . وحزماً في لين ، وايماناً في يقين ، وحرصاً على علم . وشفقة في تفقه ، وقصداً في عبادة ، ورحمةً للمجهود ، واعطاءً للسائل ، لايحيف على من يبغض ، ولا يأثم فيمن يحب ، في الزلازل وقور ، وفي الرخاء شكور قانعٌ بالذي له ، ينطق ليفهم ، ويسكت ليسلم ، ويقرّ بالحق قبل أن يشهد عليه

(قف على كلام جليل للحسن)

(١) الكندي الفلسطيني ثقة مات سنة ١١٢ هـ تقريب

وعن أبي حمزة الثمالي(١) قال دخلت على علي بن الحسين ابن علي فقال يا أبا حمزة ألا أقول لك صفة المؤمن والمنافق قلت بلى جعلني الله فداك فقال ان المؤمن خلط علمه بحلمه يسأل ليعلم ، وينصت ليسلم ، لايحدث بالسر والأمانة الاصدقاً ولا يكتم الشهادة البعداء ، ولا يحيف على الأعداء ، ولا يعمل شيئاً من الحق رياء ولا يدعه حياء فإن ذكر بخير خاف مايقولون . واستغفر لما لا يعلمون ، وان المنافق يُنهى فلا ينتهي ، ويؤمر فلا يأتمر ، اذا قام الى الصلاة اعترض ، واذا ركع ربض ، واذا سجد نقر ، يمسي وهمته العشاء ولم يصم ويصبح وهمته النوم ولم يسهر

﴿ فصل في فضل الصمت وحمده ﴾

ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من صمت نجا وأنه قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت • وعن يزيد بن أبي حبيب(٢) قال إن من فتنة العالم أن يكون الكلام أحبّ اليه من الإستماع قال وفي الاستماع سلامة وزيادة في العلم والمستمع شريك المتكلم وفي الكلام توهّن وتزيّن وزيادة ونقصان قال ومن العلماء من يرى أنه أحق بالكلام من غيره ومنهم من يزدري المساكين ولا يراهم لذلك موضعاً ومنهم من يخزن علمه ويرى أن تعليمه ضَعَةً ومنهم من يُحب ألاّ يؤخذ العلم الا من عنده (٣) ومنهم من يأخذ في علمه مأخذ السلطان حتى يغضب أن يردّ عليه شيء من قوله أو يُغفَل عن شيء من حقه ومنهم من ينصب نفسه للفتيا فلعله يؤتى بأمر لاعلم له به فيستحي أن يقول لا علم لي فيرجم فيكتب من المتكلفين ومنهم من يروي كما سمع حتى يروي كلام اليهود والنصارى إرادة أن يغزر علمه (وفي نسخة كلامه)

(قال أبو عمر) رُوي مثل قول يزيد بن أبي حبيب هذا كله من أوله الى آخره عن معاذ بن جبل من وجوه منقطعة يذمّ فيها كل من كان في هذه الطبقات ويوعدهم على ذلك بالنار والله أعلم • وعن حيوة بن شريح(٤) قال سمعت يزيد بن أبي حبيب يقول إن المتكلم لينتظر الفتنة وإن المنصت لينتظر الرحمة • وقالوا فضل العقل على المنطق حكمة وفضل المنطق على العقل هجنة وقالوا لايجترئ على الكلام إلا فائق أو مائق
وكان عمر بن عبد العزيز كثيراً ما يتمثل بهذه الابيات

---

(١) هو ثابت بن أبي صفية كوفيّ ضعيف رافضي مات في خلافة أبي جعفر المنصور ه تقريب
(٢) المصري ثقة فقيه وكان يرسل مات سنة ١٢٨ هـ تقريب (٣) وفي نسخة ألاّ يوجد العلم الا عنده (٤) الحضرمي ثقة مات سنة ٢٢٤ هـ تقريب

يُرى مستكيناً وهو للهو ماقتٌ ... به عن حديث القوم ماهو شاغله
وأزعجه علمٌ عن الجهل كله ... وما عالمٌ شيئاً كمن هو جاهله
عبوسٌ عن الجهال حين يراهم ... فليس له منهم خَدِين يُهازله
تذكّر مايبقى من العيش آجلاً ... فيشغله عن عاجل العيش آجله

(قال ابو عمر) قد اكثر الناس من النظم في فضل الصمت ومن احسن ماقيل فيه ماينسب لعبد الله بن طاهر (١) وهو

اقلل كلامك واستعذ من شره ... ان البلاء ببعضه مقرون
واحفظ لسانك واحتفظ من عيّه ... حتى يكون كأنه مسجون
وكل فؤادك باللسان وقل له ... ان الفؤاد عليكما موزون
فزناه وليكُ محكماً في قلةٍ ... ان البلاغة في القليل تكون

وقد قيل ان هذا الشعر لصالح بن جناح والله اعلم وهو أشبه بمذهب صالح وطبعه ومن أحسن ما قيل في ذلك قول نصر (٢) بن احمد الخُبْزُرُزّي

لسان الفتى حتف الفتى حين يجهل ... وكل امرئٍ ما بين فكّيه مقتل
إذا مالسان المرء أكثر هذره ... فذاك لسان بالبلاء موكل
وكم فاتح أبواب شرٍّ لنفسه ... إذا لم يكن قفلٌ عليه مُقفل
ومن آمن الآفات عجباً برأيه ... أحاطت به الآفات من حيث يجهل
أعلمكم ما علمتني تجاربي ... وقد قال قبلي قائل متمثل
إذا قلت قولاً كنت رهن جوابه ... فحاذرْ جواب السوء إن كنت تعقل

ولأبي العتاهية

وفي الصمت المبلّغ عنك حكم ... كما أن الكلام يكون حكما
إذا لم تحترس من كل طيشٍ ... أسأتَ إجابة وأسأت فهما
أشدّ الناس للعلم ادعاءً ... أقلُّهم بما هو فيه علما
أرى الانسان منقوصاً ضعيفاً ... وما يألو لعلم الغيب رجما

---

(١) الخُزاعي بلولاء كان سيداً نبيلاً عالي الهمة وكان المأمون كثير الاعتماد عليه مات سنة ٢٢٨ هـ ابن خلكان (٢) كان أمياً لايتهجى ولا يكتب وكان يخبز خبز الأرز بمربد البصرة في دكان له وكان ينشد أشعاره والناس يزدحمون عليه ويتعجبون من حاله كان موجوداً سنة ٣١٧ هـ من ابن خلكان

(قال أبو عمر) الكلام بالخير غنيمة وهو أفضل من السكوت لأن أرفع ما في السكوت السلامة والكلام بالخير غنيمة وقد قالوا من تكلم بخير غنم . ومن سكت سلم، والكلام في العلم من أفضل الأعمال وهو يجري عندهم مجرى الذكر والتلاوة إذا أريد به نفي الجهل ووجه الله عز وجل والوقوف على حقيقة المعاني. وعن قتادة قال مكتوب في الحكمة طوبى لعالم ناطق أو لباغ مستمع . وعن عبد الوهاب بن نَجْدة الحُوْطي(١) قال سمعت أبا الذيال يقول تعلم الصمت كما تتعلم الكلام فان يكن الكلام يهديك فان الصمت يقيك ولك في الصمت خصلتان خصلة تأخذ بها من علم من هو اعلم منك وتدفع بها جهل من هو اجهل منك. وقال كان أبو الذيال يتكلم بالحكمة ولم أسمع منه غير هذا في الصمت . وعن أبي الدرداء أنه كان يقول الصمت حكمٌ وقليل فاعله . وقال أبو العتاهية

من لزم الصمت نجا * من قال بالخير غنم * من صدق الله علا
من طاب العلم علم * من ظلم الناس أسا * من رَحِم الناس رُحم
من طلب الفضل إلى * غير ذوي الفضل حرم
من حفظ العهد وفا * من أحسن السمع فهم

﴿ فصل في رفع الصوت في المسجد وغير ذلك من آداب العلم ﴾

عن ابن شهاب قال سئل مالك عن رفع الصوت في المسجد بالعلم وغيره قال لاخير في ذلك في العلم ولا في غيره ولقد أدركت الناس قديماً يعيبون ذلك على من يكون في مجلسه ومن كان يكون ذلك في مجلسه كان يعتذر منه وأنا أكره ذلك ولا أرى فيه خيراً (قال أبو عمر) أجاز ذلك قوم منهم أبو حنيفة (٢) فعن سفيان بن عيينة قال مررت بأبي حنيفة وهو مع أصحابه في المسجد وقد ارتفعت اصواتهم فقلت يا أبا حنيفة هذا في المسجد والصوت لا ينبغي ان يرفع فيه فقال دعهم فإنهم لايفقهون الا بهذا

(قال ابو عمر) احتج بعض من اجاز رفع الصوت في المناظرة بالعلم وقال لا بأس بذلك لحديث عبد الله بن عمرو قال تخلف عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفرة سافرناها فأدركنا وقد أرهقنا الصلاة ونحن نتوضأ ونمسح على أرجلنا فنادى بأعلا صوته ويل للأعقاب من النار مرتين أو ثلاثاً ذكره البخاري وغيره . وقيل لأبي حنيفة في مسجد كذا حلقة يتناظرون في الفقه فقال ألهم رأس قالوا لا قال لايفقهون أبداً :

---

(١) ثقة مات سنة ٢٣٢ هـ تقريب (٢) النعمان بن ثابت الكوفي اصله من فارس ويقال مولى بني تَيْم الامام الكبير الجليل مات سنة ١٥٠ على الصحيح هـ تقريب

وواجب على العالم إذا لم يُفهم عنه ان يكرّر كلامه ذلك حتى يفهم عنه • وقد كان بعضهم يستحب ان لا يكرره اكثر من ثلاث مرات لما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا تكلم بكلمة اعادها ثلاث مرات وذلك ليفهم عنه كل من جالسه من قريب وبعيد وهكذا يجب ان يكرّر المحدّث حديثه حتى يفهم عنه انه قال واما اذا فهم فلا وجه للتكرير

وعن مَعْمَر قال سمعت قتادة يقول ما قلت لأحد أعد عليّ وتكرير الحديث في المجلس يذهب بنوره وقال الزهري اعادة الحديث اشد علي من نقل الصخر • وقالت جارية ابن السماك الواعظ له ما احسن حديثك إلا انك تكرره فقال اكرره ليفهمه كل من سمعه فقالت إلى ان يفهمه كل من سمعه يملّه من فهمه : ولا بأس ان يُسئل العالم قاعداً وماشياً في الأمر الخفيف لحديث ابن مسعود قال بينا انا أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في خِرَب المدينة وهو يتوكأ على عَسِيب معه مرّ بنفر من يهود خيبر فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح فقام رجل منهم فقال يا أبا القاسم ما الروح وذكر الحديث أخرجه البخاري

فصل في مدح التواضع وذم العجب وطلب الرياسة

ومن افضل آداب العالم تواضعه وترك الإعجاب بعلمه ونبذ حب الرياسة عنه فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله • وعن ابي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مانقصت صدقة من مال ومازاد الله عبداً بعفو الا عزّاً وما تواضع احد لله الا رفعه الله • وروينا من وجوه عن عمر بن الخطاب انه كان يقول ان العبدَ اذا تواضع لله رفعه الله بحكمته وقد قيل له انتعش نعشك الله فهو في نفسه حقير وفي أعين الناس كبير • وكان يقول اذا كان علم الرجل اكثر من عقله كان قَمِناً (اي جديراً) ان يضرّه • وعن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يأمركم ان تتواضعوا ولا يبغ بعضكم على بعض • وقالوا المتواضع من طلاب العلم اكثر علماً كما ان المكان المنخفض اكثر البقاع ماء • وقيل لبزرجمهر ما النعمة التي لا يحسد عليها صاحبها قال التواضع قيل له فما البلاء الذي لا يرحم عليه صاحبه قال العجب • وقال التواضع مع السخافة والبخل أحمد من الكبر مع السخاء والأدب فأعظم بحسنة عفت عن سيئتين وأفظع بعيب أفسد من صاحبه حسنتين ولقد أحسن المرادي في قوله

وأحسن مقرونين في عين ناظر ... جلالة قدر في ثياب تواضع

وأحسن منه قول بعض العراقيين يمدح رجلاً

فتىً كان عذب الروح لاعن غضاضة ولكنّ كبراً أن يكون به كبر

وقال البحتري (١)

واذا الشريف لم يتواضع للاخلاء كان عين الوضيع

وعن وهب بن منبّه قال كان في بني اسرائيل رجال أحداث الاسنان قدقرؤا الكتب وعلموا علماً وانهم طلبوا بقرائتهم وعلمهم الشرف والمال وانهم ابتدعوابها بدعاًوأدركوا بها المال والشرف فضلوا وأضلوا • وقال ابن عبدوس كلما توقر العالم وارتفع كان العجب اليه أسرع الامن عصمه الله بتوفيقه وطرح حب الرياسة عن نفسه •وعن سعيد ابن المسيّب قال قال عمر أخوف ما أخاف عليكم أن تهلكوا فيه ثلاث خلال شحٌّ مطاع وهوىً متبَع وإعجاب المرء بنفسه • وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات وثلاث منجيات فأما المهلكات فشح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه والثلاث المنجيات تقوى الله في السر والعلانية وكلمة الحق في الرضى والسخط والاقتصاد في الغنى والفقر • وقال ابراهيم بن الاشعث سألت الفضيل بن عياض عن التواضع فقال أن تخضع للحق وتنقاد له ممن سمعته ولو كان أجهل الناس لزمك أن تقبله منه • وعن مسروق قال كفى بالمرء علماً أن يخشى الله وكفى بالمرء جهلا أن يعجب بعلمه (قال أبو عمر) إنما أعرفه بعمله وقال أبو الدرداء علامة الجهل ثلاث العجب وكثرة المنطق فيما لايعنيه وأن ينهى عن شيءٍ ويأتيه • وقالوا العجب يهدم المحاسن • وعن علي رحمه الله أنه قال الاعجاب آفة الألباب • وقال غيره إعجاب المرء بنفسه دليل على ضعف عقله ولقد أحسن علي بن ثابت حيث يقول

(قف على حديث جليل)

المال آفته التبذير والنهبُ والعلم آفته الاعجاب والغضب

وقالوا من أعجب برأيه ضلّ ، ومن استغنى بعقله زلّ ، ومن تكبّر عن الناس ذلّ ، ومن خالط الانذال حُقّر ، ومن جالس العلماء وُقّر ، وقال الفضيل بن عياض مامن أحد أحبّ الرياسة الاّ حسَد وبغى وتتبع عيوب الناس وكره أن يذكر أحد بخير • وقال أبو نعيم والله ماهلك من هلك إلا بحب الرياسة • وقال أبو العتاهية

أأخيّ من عشق الرياسة خفت أن يطغى ويحدث بدعة وضلالا

وقال أيضاً: حب الرياسة أطغى من على الارض حتى بغى بعضهم فيها على بعض

وقال بشر بن المعتمر البصري المتكلم

---

(١) ابو عبادة الوليد بن عبيد الطائي الشاعر المشهور مات ٢٨٤هـ ابن خلكان

إن كنت تعلم ما أقو ل وما تقول فأنت عالم
أو كنت تجهل ذا وذا ك فكن لأهل العلم لازم
أهل الرياسة من ينا زعهم رياستهم فظالم
* لا تطلبنَّ رياسة بالجهل أنت لها مخاصم
لولا مقامهم رأيـ * ـت الدين مضطرب الدعائم

وهذا معناه فيمن رأس بحق وعلم صحيح أن لا يحسد ولا يُبغى عليه • وللخليل بن أحمد

لو كنت تعلم ما أقول عذرتني أو كنت أجهل ما تقول عذلتكا
لكن جهلتَ مقالتي فعذلتني وعلمت أنكَ جاهل فعذرتكا

وقال الثوري من أحب الرياسة فليعدّ رأسه للنطاح • وقال بكر بن حماد

تغاير الناس فيما ليس ينفعهم وفرّق الناس آراء وأهواء

وقال آخر: حب الرياسة داء لا دواء له وقلما تجد الراضين بالقِسَم

وعن يحيى بن اليمان قال سمعت سفيان يقول كنت أتمنى الرياسة وأنا شاب وأرى الرجل عند السارية يفتي فأغبطه فلما بلغتها عرفتها • وقال المأمون من طلب الرياسة بالعلم صغيراً فاته علم كثير • وقال منصور بن اسماعيل الفقيه

الكلب أكرم عشرة * وهو النهاية في الخساسه * ممن تعرض للريا سة قبل إبّان الرياسه *

ورُوي عن علي أنه خرج يوماً من المسجد فاتّبعه الناس فالتفت اليهم وقال أيّ قلب يصلح على هذا ثم قال خفق النعال مفسدة لقلوب نوكى الرجال • وقال عمر بن الخطاب هي مفسدة للمتبوع مذلة للتابع

(قال أبو عمر) من أدب العالم ترك الدعوى لما لا يحسنه وترك الفخر بما لا يحسنه إلا أن يضطر الى ذلك كما اضطر يوسف عليه السلام حين قال « اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم » وذلك أنه لم يكن بحضرته من يعرف حقه فيثني عليه بما هو فيه ويعطيه بقسطه ورأى هو أن ذلك المقعد لا يقعده غيره من أهل وقته الا قصّر عما يجب لله من القيام به من حقوقه فلم يسعه الا السعي في ظهور الحق بما أمكنه فاذا كان ذلك فجائز للعالم حينئذ الثناء على نفسه والتنبيه على مواضعه فيكون حينئذ يحدّث بنعمة ربه عنده على وجه الشكر لها

وقال عمر بن الخطاب في حديث صدقات النبي صلى الله عليه وسلم حين تنازع فيها العباس وعلي والله لقد كنت فيها بارّاً تابعاً للحق صادقا ولم يكن ذلك منه تزكية لنفسه رضي الله عنه • وأفضح ما يكون للمرء دعواه بما لا يقوم به وقد عاب العلماء ذلك قديماً حديثاً

وقالوا فيه نظماً ونثراً وأحسن ماقيل فيه

من تحلّى بغير ماهو فيه فضحته شواهد الامتحان
وجرى في العلوم جريَ سُكَيْتٍ خلّفته الجياد يوم الرّهانِ

﴿ فصل فيما يلزم العالم والمتعلم التحلّي به ﴾

عن أبي هرون العبدي(١) وشهر بن حَوْشب قالا كنا إذا أتينا ابا سعيد الخدري يقول مرحباً بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستفتح لكم الأرض ويأتيكم قوم او قال غلمان حديثة اسنانهم يطلبون العلم ويتفقهون فى الدين ويتعلمون منكم فاذا جاؤكم فعلّموهم وألطفوهم ووسّعوا لهم فى المجلس وأفهموهم الحديث فكان ابو سعيد يقول لنا مرحباً بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نوسع لكم فى المجلس وان نفهمكم الحديث

ويروى عن علي بن ابي طالب انه قال من حق العالم عليك إذا أتيته ان تسلم عليه خاصة وعلى القوم عامة وتجلس قدامه ولا تشرْ بيديك ولاتغمز بعينيك ولا تقل قال فلان خلاف قولك ولا تأخذ بثوبه ولا تلح عليه فى السؤال فإنه بمنزلة النخلة المرطبة لايزال يسقط عليك منها شيءٌ • وقالوا من تمام آلة العالم ان يكون مهيباً وقوراً بطيءَ الإلتفات قليل الإشارة لايصخب ولا يلعب ولا يجفو ولا يلغو وقد قيل إن هذا لايحتاج اليه مع اداء ماللّه عليه • وبلغني ان اسمعيل بن اسحق قيل له لو ألّفت كتاباً في آداب القضاة فقال وهل للقاضي ادب غير ادب الاسلام ثم قال إذا قضى القاضي بالحق فليقعد في مجلسه كيف شاء ويمد رجليه إن شاء وقال الواجب على العالم أن لايناظر جاهلا ولا لجوجاً فانه يجعل المناظرة ذريعة الى التعلم بغير شكر • وقال أيوب بن القرّية(٢) أحق الناس بالاجلال ثلاثة العلماء والاخوان والسلاطين فمن استخف بالعلماء أفسد دينه ومن استخف بالاخوان أفسد مروّته ومن استخف بالسلطان أفسد دنياه والعاقل لايستخف بأحد قال والعاقل الدِّينُ شريعته، والحلم طبيعته، والرأي الحسن سجيّته، (قال ابو عمر) وآداب المناظرة يطول الكتاب بذكرها وقد ألف قوم في أدب الجدل وأدب المناظرة كتباً من طالعها وقف على المراد منها وفيما ذكرناه في هذه الفصول عن السلف من جهة الآثار ما يغني ويكفي بل مايغني ويشفي من جهة اتباع السلف على طرائقهم وهَدْيهم فهو العلم والأدب

---

(١) واسمه عمارة بن جوين مشهور بكنيته شيعي متروك مات سنة ١٣٤ هـ تقريب
(٢) الهلالي من خطباء العرب المشهورين والقرّية جدته قتله الحجاج سنة ٨٤ هـ ابن خلكان

باشره لمن وفق لفهمه ٠ وأحسن ما رأيت في آداب التعلم والتفقه من النظم ما ينسب الى اللؤلؤي من الرجز وبعضهم ينسبه الى المأمون وقدرأيت ايراده هنالحسنه رجاءالنفع به قال

واعلم بأن العلم بالتعلم ... والحفظ والاتقان والتفهم
والعلم قد يُرزقه الصغيرُ ... في سنّه ويُحرمُ الكبير
فانما المرء بأصغريهِ ... ليس برجليهِ ولا يديهِ
لسانه وقلبه المركبُ ... في صدره وذاك خلق عجبُ
والعلم بالفهم وبالمذاكره ... والدرس والفكرة والمناظره
فرب انسان ينال الحفظا ... ويورد النصّ ويحكي اللفظا
وما له في غيره نصيبُ ... مما حواه العالم الاديب
وربّ ذي حرص شديدالحب ... للعلم والذكر بليد القلب
معجّز في الحفظ والروايه ... ليست له عمن روى حكايه
وآخرٌ يعطى بلا اجتهاد ... حفظاً لما قد جاء في الاسناد
يهزّه بالقلب لا بناظره ... ليس بمضطر الى قماطره
فالتمس العلم وأجمل في الطلب ... والعلم لا يحسن الا بالأدب
والأدب النافع حسن السمت ... وفي كثير القول بعض المقت
فكن لحسن الصمت ما حييتا ... مُقارفاً تُحمد ما بقيتا
وان بدت بين أُناس مسئله ... معروفة في العلم أو مفتعله
فلا تكن الى الجواب سابقا ... حتى ترى غيرك فيها ناطقا
فكم رأيت من عجول سابق ... من غير فهم بالخطاء ناطق
أزرى به ذلك في المجالس ... عند ذوي الالباب والتنافس
والصمت فاعلم بك حقاً أزينْ ... ان لم يكن عندك علم متقن
وقل اذا أعياك ذاك الامرْ ... مالي بما تسأل عنه خبر
فذاك شطر العلم عند العاما ... كذاك ما زالت تقول الحكما
اياك والعجب بفضل رأيكا ... واحذر جواب القول من خطائكا
كم من جواب أعقب الندامه ... فاغتنم الصمت مع السلامه
العلم بحرٌ منتهاه يبعدُ ... ليس له حدّ اليه يقصد
وليس كل العلم قد حويتهُ ... أجل ولا العشرَ ولو أحصيته
وما بقي عليك منه أكثرُ ... مما علمت والجواد يَعْثُر

فكن لما سمعته مستفهما | ان أنت لا تفهم منه الكلاما
القول قولان فقولٌ تعقله | وآخرٌ تسمعه فتجهله
وكلّ قول فله جواب | يجمعه الباطل والصواب
وللكلام أولٌ وآخر | فافهمهما والذهن منك حاضر
لا تدفع القول ولا تَرُدَّهُ | حتى يؤديك الى ما بعده
فربما أعيي ذوي الفضائل | جواب ما يُلقى من المسائل
فيمسكوا بالصمت عن جوابه | عند اعتراض الشكّ في جوابه
ولو يكون القول في القياس | من فضة بيضاء عند الناس
اذاً لكان الصمت من عين الذهَبْ | فافهم هداك الله آداب الطلب

وقال أكثم بن صيفي (١) ويل عالم أمرٍ من جاهله من جهل شيئاً عاداه ومن أحب شيئاً استعبده وقال غيره علم لايعبرُ معك وادياً لا تعمر به ناديا. اذا ازدحم الجواب خفي الصواب. اللغط يكون معه الغلط. لو سكت من لا يعلم سقط الاختلاف.

وقال الخليل رحمه الله ماسمعت شيئاً الا كتبته ولا كتبته إلا حفظته وما حفظته إلا نفعني ومن أكثر من مذاكرة العلماء لم ينس ماعلم واستفاد مالم يعلم

أوصى يحيى بن خالد ابنه جعفراً فقال لاتردّ على أحد جواباً حتى تفهم كلامه فإن ذلك يصرفك عن جواب كلامه الى غيره ويؤكد الجهل عليك ولكن إفهم عنه فإذا فهمته فأجبه ولا تعجل بالجواب قبل الاستفهام ولا تستحي أن تستفهم اذا لم تفهم فإن الجواب قبل الفهم حمق واذا جهلت ماقيل فسؤالك واستفهامك أجمل بك وخيرٌ من السكوت على العِيّ

﴿ باب ماروي في قبض العلم وذهاب العلماء ﴾

عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تظهر الفتن ويكثر الهرج قيل وما الهرج قال القتل القتل ويقبض العلم فسمعه عمر يأثره عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان قبض العلم ليس شيئاً ينزع من صدور الرجال ولكنه فناء العلماء. ورُوي من طرق عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله لايقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يترك عالماً اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلّوا وأضلوا. وفي

(١) بن رباح التميمي أشهر حكّام العرب في الجاهلية وحكمائهم أدرك الاسلام واختلف في اسلامه. من سرح العيون لابن نباتة المصري

بعض الروايات عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لاينتزع العلم من الناس بعد أن يعطيهم اياه ولكن يذهب بالعلماء كلما ذهب عالم ذهب بما معه من العلم حتى يبقى من لايعلم فيضلوا ويضلوا • وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتقوم الساعة حتى يخرج من أمتي ثلاثون دجالاً كلهم يزعم أنه رسول الله وحتى يقبض المال ويقبض العلم وتظهر الفتن ويكثر الهرج قالوا وما الهرج قال القتل القتل • ومن رواية البخاري عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويبث الجهل ويشرب الخمر ويظهر الزنا (قال البخاري) وأخبرنا مسدّد قال حدثنا يحيي بن سعيد عن شعبة عن قتادة عن أنس قال لاحدثنكم بحديث لايحدثكم به أحد بعدي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن من أشراط الساعة أن يقلّ العلم ويظهر الجهل ويظهر الزنا ويكثر النساء ويقل الرجال حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد . وعن مجالد عن الشعبي عن مسروق قال قال عبد الله ابن مسعود قراؤكم وعلماؤكم يذهبون وتخذ الناس رؤساء جهالا وذكر الحديث . وعنه أيضاً قال عليكم بالعلم قبل أن يقبض وقبضه ذهاب أهله • وعن ابن شهاب قال بلغنا عن رجال من أهل العلم قالوا الاعتصام بالسنن نجاة والعلم يقبض قبضاً سريعاً فعيش العلماء ثبات الدين والدنيا وذهاب ذلك كله في ذهاب العلم • وروى جبير بن نفير (١) عن عوف بن مالك الاشجعي (٢) قال بينا نحن جلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ نظر الى السماء فقال هذا أوان يرفع العلم فقال له رجل من الأنصار يقال له زياد بن لبيد (٣) أيرفع العلم وفينا كتاب الله وقد علمناه ابناءنا ونساءنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن كنت لأحسبك من أفقه أهل المدينة وذكر له ضلالة أهل الكتاب وعندهم ما عندهم من كتاب الله فلقي جبير بن نفير شداد بن أوس (٤) بالمصلى فحدثه هذا الحديث عن عوف ابن مالك فقال صدق عوف ثم قال شداد هل تدري مارفع العلم قال قلت لاأدري قال ذهاب أوعيته هل تدري أي العلم أول يرفع قال قلت لاأدري قال الخشوع حتى لايرى خاشعاً • وعن الحسن قال موت العالم ثلمة في الاسلام لايسدها شئ ماطرد الليل النهار

---

(١) الحضرمي الحمصي ثقة جليل مخضرم ولأبيه صحبة مات سنة ٨٠ هـ تقريب (٢) الأشجعي صحابي مشهور من مسلمة الفتح سكن دمشق ومات سنة ٧٣ هـ تقريب (٣) بن ثعلبة الخزرجي صحابي شهد بدراً وكان عاملا على حضرموت لما مات النبي صلى الله عليه وسلم هـ تقريب (٤) بن ثابت الانصاري صحابي وهو ابن أخي سيدنا حسان بن ثابت مات قبل الستين أو بعدها هـ منه

وعن ابن سيرين قال ذهب العلم فلم يبق الا غبّرات(١) في أوعية سوء . وعن هلال بن خباب (٢) أبو العلا قال سمعت سعيد بن جبير قلت ما علامة الساعة وهلاك الناس قال إذا ذهب علماؤهم . وكان كعب يقول واعلموا أن الكلمة من الحكمة ضالة المؤمن فعليكم بالعلم قبل أن يرفع ورفعه أن تذهب رواته . وعن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله بعثني رحمةً وهدىً للعالمين وأمرني ربي أن أمحق المزامير والمعازف والخمر والأوثان التي كانت تعبد في الجاهلية وأقسم ربي بعزته لا يشرب عبد الخمر في الدنيا الا سقيتهُ من حميم جهنم معذَّباً أو مغفوراً له ولا يدعها عبد من عبيدي تحرّجاً عنها الا سقيته اياها من حظيرة القدس قال أبو أمامة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن بكل شيء إقبالاً وإدباراً وان لهذا الدين اقبالاً وادباراً وان من اقبال هذا الدين ما بعثني الله به حتى ان القبيلة لتتفقه من عند اسرّها(٣) أو قال آخرها حتى لا يكون فيها الا الفاسق والفاسقان فهما مقموعان ذليلان ان تكلما أو نطقا قمعا وقهرا واضطهدا ثم ذكر أن من إدبار هذا الدين أن تجفو القبيلة كلها العلم من عند اسرّها حتى لا يبقى الا الفقيه أو الفقيهان فهما مقموعان ذليلان ان تكلما أو نطقا قمعا وقهرا واضطهدا وقيل أتطغيان علينا وحتى تشرب الخمر في ناديهم ومجالسهم واسواقهم وتنحل الخمر اسماً غير اسمها وحتى يلعن آخر هذه الأمة أولها الا فعليهم حلّت اللعنة وذكر تمام الحديث قال أبو عمر وقد أحسن ابو العتاهية حيث يقول

ماذا يفوز الصالحون به   سقيتْ قبور الصالحين دِيَمْ
صلى الاله على النبي لقد   محيت عهود بعده وذمم
لولا بقاء الصالحين عفا   ما كان أثبته لنا ورسم

وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا العلم وعلموه الناس وتعلموا الفرائض وعلموها الناس فاني امرؤ مقبوض وان العلم سيقبض وتظهر الفتن حتى يختلف الاثنان في الفريضة لا يجدان أحداً يفصل بينهما . وعن طلحة بن عمرو عن عطاء بن ابي رباح في قول الله عز وجل « أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها » قال ذهاب فقهائها وخيار اهلها . وقال عكرمة والشعبي هو النقصان وقبض الأنفس قالا جميعاً ولو كانت الأرض تنقص قال احدهما لضاق عليك حشّك وقال الآخر

---

(١) جمع غُبَّرٍ وهي البقايا ه من لسان العرب (٢) العبدي مولاهم البصري نزيل المدائن صدوق تغيّر في آخر عمره مات سنة ١٤٤ ه تقريب (٣) قال في لسان العرب الأسَرّ الدخيل قال لبيد

وجدّي فارس الرّعشاء منهم   رئيس لا أسرُّ ولا سنِيد

لضاق عليك حَش(١) تتبرَّز فيه • وقال مجاهد نقصانها خرابها وموت اهلها • وقال الحسن هو ظهور المسلمين على المشركين • وذكر قتادة في تفسيره قول عكرمة والحسن عنهما على ما ذكرناه ولم يزد من رأيه شيئاً وقول عطاء في تأويل الآية حسنٌ جداً تلقَّاه أهل العلم بالقبول وقول الحسن ايضاً حسنُ المعنى جداً

وقال ابن عباس لما مات زيد ابن ثابت من سرَّه أن ينظر كيف ذهاب العلم فهكذا ذهابه • وعن أحمد بن أبي سليمان يقول سمعت دراجا أبا السمح(٢) يقول يأتي على الناس زمان يسمن الرجل راحلته حتى تقعد شحماً ثم يسير عليها في الأمصار حتى تصير نقضاً(٣) يلتمس من يفتيه بسنة قد عمل بها فلا يجد إلا من يفتيه بالظن • وعن صالح المرّي قال سمعت الحسن يقول لا عالم ولا متعلم طفئت والله • وروي عن ابن عباس أنه كان يقول لايزال عالم يموت وأثر للحق يدرس حتى يكثر أهل الجهل وقد ذهب أهل العلم فيعملون بالجهل ويدينون بغير الحق ويضلون عن سواء السبيل • وعن كثير بن زياد في تفسير الحديث لايزداد الأمر إلا شدة قال ذهاب العلماء • ونص الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لايزداد الأمر إلا شدة ولا الدنيا إلا إدباراً ولا الناس إلا شحاً ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس • وعن عبد العزيز بن سعيد عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خيار أمتي القرن الذي بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم لايزداد الأمر إلا شدة • وعن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سيأتي على أمتي زمان يكثر القرّاء ويقل الفقهاء ويقبض العلم ويكثر الهرج قالوا وما الهرج يا رسول الله قال القتل بينكم ثم يأتي بعد ذلك زمان يقرأ القرآن رجال من أمتي لايجاوز تراقيهم ثم يأتي بعد ذلك زمان يجادل المنافق الكافر المشرك بمثل ما يقول • وعن أبي الدرداء قال مالي أرى علماءكم يذهبون وجهالكم لايتعلمون تعلموا قبل أن يرفع العلم فإن رفع العلم ذهاب العلماء مالي أراكم تحرصون على ما قد توكِّل لكم به وتدعون ما وكل لكم به لأنا بشراركم أبصر من البياطرة بالخيل هم الذين لايأتون الصلاة إلاّ دَبْراً ولا يسمعون القرآن إلاّ هُجْرا ولقد خشيت أن يذهب الاول ولا يتعلّم الآخر ولو أن العالم طلب العلم لازداد علماً وما نقص العلمَ شيئاً ولو أن الجاهل طلب العلم لوجد العلم قائماً فمالي أراكم شباعاً من الطعام جياعا من العلم • وعن حذيفة(٤) قال إن القرن الأول

(قف على قول حذيفة)

(١) الحش موضع قضاء الحاجة والبستان هـ لسان العرب (٢) قيل اسمه عبدالرحمن ودراج لقبه السهمي مولاهم المصري مات سنة ١٢٦ هـ تقريب (٣) أي مهزولة (٤) بن اليمان العبسي الصحابي الجليل وأعلم الصحابة بالمنافقين مات سنة ٣٦ هـ من أسد الغابة

من هذه الأمة على منهاج من لا يُتَّهم والقرن الثاني يظهر فيه الحيف والأثرة والقرن الثالث يظهر فيهم الفساد وسفك الدماء والقرن الرابع ينتقلون عن دينهم حتى يكون أعزّ كل قبيلة فاسقهم ومنافقهم وأذلّ عالمهم . وعن داود بن الجراح قال قدم سفيان الثوري عسقلان فمكث ثلاثاً لا يسأله أحد عن شيء فقال اكترِ لي أخرج من هذا البلد هذا بلد يموت فيه العلم

﴿ باب حال العلم إذا كان عند الفساق والارذال ﴾

عن أنس بن مالك قال قيل يا رسول الله متى يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال إذا ظهر فيكم ما ظهر في بني اسرائيل قبلكم قيل وما ذاك يا رسول الله قال إذا ظهر الإدهان (١) في خياركم والفاحشة في شراركم وتحوّل الملك في صغاركم والفقه في أرذالكم . وعن أبي أمية الجمحي قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشراط الساعة فقال إن من أشراطها أن يلتمس العلم عند الأصاغر . وقيل لابن المبارك من الأصاغر قال الذين يقولون برأيهم فأما صغير يروي عن كبير فليس بصغير . وذكر أبو عبيد في تأويل هذا الخبر عن ابن المبارك أنه كان يذهب بالأصاغر الى أهل البدع ولا يذهب الى السن قال أبو عبيد وهذا وجه . قال أبو عبيد والذي أرى أنا في الأصاغر أن يؤخذ العلم عمن كان بعد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقدّم ذلك على رأي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فذلك أخذ العلم عن الأصاغر . وعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال البركة مع أكابركم . وعن هلال الوراق عن عبد الله بن عُكَيم (٢) قال كان عمر يقول ألا إن أصدق القيل قيل الله وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الامور محدثاتها ألا إن الناس لن يزالوا بخير ما أتاهم العلم عن أكابرهم . وعن بلال يعني ابن يحيي أن عمر بن الخطاب قال قد علمت متى صلاح الناس ومتى فسادهم إذا جاء الفقه من قبل الصغير استعصى عليه الكبير وإذا جاء الفقه من قبل الكبير تابعه الصغير فاهتديا . وعن عبد الله بن مسعود قال لا يزال الناس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم فإذا أخذوه عن أصاغرهم وشرارهم هلكوا . وفي رواية أخرى لا يزال الناس بخير ما أتاهم العلم من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ومن أكابرهم فاذا جاء العلم من قبل أصاغرهم فذلك حين هلكوا

(قال أبو عمر) قد تقدم من تفسير ابن المبارك وابي عُبَيْد لمعنى الاصاغر في هذا الباب

---

(١) المصانعة واللين والغش ه لسان العرب (٢) الجهني الكوفي مخضرم مات زمن الحجاج ه تقريب

مارأيت وقال بعض أهل العلم إن الصغير المذكور في حديث عمر وما كان مثله من الاحاديث انما يراد به الذي يستفتى ولا علم عنده وان الكبير هو العالم في أي سن كان . وقالوا الجاهل صغير وان كان شيخا والعالم كبير وإن كان حدثا واستشهدوا بقول الأول

تعلم فليس المرء يولد عالما وليس أخو علم كمن هو جاهل
وإن كبير القوم لاعلم عنده صغير إذا التفت اليه المحافل

واستشهدوا بأن عبد الله بن عباس كان يُستفتى وهو صغير وأن معاذ بن جبل وعتّاب ابن أَسيد (١) كانا يفتيان الناس وهما صغيرا السن وولاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم الولايات مع صغر سنهما ومثل هذا في العلماء كثير ويحتمل أن يكون معنى الحديث على ماقال ابن المعتمر عالم الشباب محقور وجاهله معذور والله أعلم بما أراد وقال آخرون انما معنى حديث عمر وابن مسعود في ذلك أن العلم إذا لم يكن عن الصحابة كما جاء في حديث ابن مسعود ولا كان له أصل في القرآن والسنة والإجماع فهو علم يهلك به صاحبه ولا يكون حامله إماماً ولا أميناً ولا مرضياً كما قال ابن مسعود وإلى هذا نزع أبو عبيد رحمه الله • ومثله قول الأوزاعي العلم ماجاء عن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وما لم يجئ عن واحد منهم فليس بعلم • وقد يحتمل حديث هذا الباب أن يكون اراد أن أحق الناس بالعلم والتفقه أهل الشرف والدين والجاه فان العلم إذا كان عندهم لم تأنف النفوس من الجلوس اليهم وإذا كان عند غيرهم وجد الشيطان الى احتقارهم السبيل وأوقع في نفوسهم أثرة الرضى بالجهل أنفة من الاختلاف الى من لاحسب له ولا دين وقد جعل ذلك من أشراط الساعة وعلاماتها ومن أسباب رفع العلم والله أعلم أي الأمور أراد عمر بقوله فقد ساد بالعلم قديماً الصغير والكبير ورفع الله درجات من أحب

وروى مالك عن زيد ابن أسلم(٢) أنه قال في قول الله عز وجل « نرفع درجات من نشاء » قال بالعلم يرفع الله درجات من يشاء في الدنيا • ومما يدل على ان الأصاغر من لاعلم عنده ماذكره عبد الرزاق وغيره عن معمر عن الزهري قال كان مجالس عمر مُغتصًّا من القراء شبّاناً وكهولا فربما استشارهم ويقول لايمنع احدكم حداثة سنه ان يشير برأيه فإن العلم ليس على حداثة السن وقِدَمه ولكن الله يضعه حيث يشاء • وعن مكحول قال تفقه الرعاع فساد الدين وتفقه السفلة فساد الدنيا • وكان سفيان اذا رأى هؤلاء

---

(١) ابن ابي العيص الاموي صحابي جليل كان أمير مكة في عهد الرسول صلى الله وسلم ه تقريب (٢) العدوي مولى عمر ابو عبد الله مات سنة ١٣٦ ه تقريب

النَّبَط (١) يكتبون العلم يتغير وجهه فقلت له يا أبا عبد الله نراك إذا رأيت هؤلاء يكتبون العلم يشتد عليك فقال كان العلم في العرب وفي سادات الناس فإذا خرج عنهم وصار الى هؤلاء يعني النبط والسفلة غير الدين

(باب ذكر استعاذة رسول الله صلى الله عليه وسلم من علم لا ينفع وسؤاله العلم النافع)

عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ودعاء لا يسمع وقلب لا يخشع ونفس لا تشبع ومن الجوع فإنه بئس الضجيع • وفي بعض الروايات زيادة بعد قوله بئس الضجيع وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة • وعن ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ودعاء لا يسمع وقلب لا يخشع ونفس لا تشبع اللهم اني أعوذ بك من هؤلاء الأربع • وعن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال سلوا الله علما نافعاً وتعوذوا بالله من علم لا ينفع • وعن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا أصبح اللهم اني أسألك علماً نافعاً ورزقاً طيباً وعملاً متقبلاً • وعن أبي كبشة السلولي قال سمعت أبا الدرداء يقول ان من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة عالم لا ينتفع بعلمه • وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من أشد الناس عذابا يوم القيامة عالماً لا ينفعه بعلمه • وروينا عن سلمان الفارسي أنه قال ان العلم لا ينفد فاتّبع منه ما ينفعك • ويقال من لم ينفعه قليل علمه ضرّه كثيره • وعن أبي هريرة قال مثل علم لا ينفع كمثل كنز لا ينفق في سبيل الله • وقال ابن المبارك

حسبي بعلمي ان نفعْ ما الذل الا في الطمعْ من راقب الله رجع
عن سوء ما كان صنع ما طار شيء فارتفع إلا كما طار وقع

وعن مالك وغيره أن عبد الله بن سلام (٢) قال لكعب ما ينفي العلم عن صدور العلماء بعد أن يعلموه قال الطمع • وكان مكحول يقول اللهم انفعنا بالعلم وزيّنا بالحلم وجملنا بالعافية • وقال سفيان بن عيينة ليس شيء أنفع من علم ينفع وليس شيء أضر من علم لا ينفع • وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه إنما زهّد الناس في طلب العلم ما يرون من قلة انتفاع من علم بما علم • وأنشد ابراهيم بن محمد بن عرفة نفطويه (٣) لمحمود بن الحسن الوراق

إذا أنت لم ينفعك علمك لم تجد لعلمك مخلوقاً من الناس يقبله
وإن زانك العلم الذي قد حملته وجدت له من يجتنيه ويحمله

---

(١) جيل ينزلون سواد العراق هـ لسان العرب (٢) حليف الخزرج صحابي مات سنة ٤٣ هـ تقريب
(٣) النحوي الواسطي مات سنة ٣٢٣هـ ابن خلكان

﴿ باب ذم العالم على مداخلة السلطان الظالم ﴾

عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من سكن البادية جفا ومن اتبع الصيد غفل ومن أتى السلطان افتتن • وعن أم سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون عليكم أمراء تعرفون منهم وتنكرون فمن أنكر فقد برئ ومن كره فقد سلم ولكن من رضي وتابع فأبعده الله قيل يارسول الله أفلا نقتلهم قال لا ماصلوا • وقال سفيان بن عيينة قال أبو حازم وجدت الدنيا شيئين فتكلم بكلام طويل ذكره ابن أبي خيثمة قال سفيان فقال الزهري إنه جاري ماكنت أرى ان هذه عنده فقال أبو حازم لو كنت غنيا لعرفتني إن العلماء كانوا يفرّون من السلطان ويطلبهم وإنهم اليوم يأتون ابواب السلطان والسلطان يفرّ منهم • وعن أيوب السختياني (١) قال قال لي ابو قلابة يا أيوب إحفظ عني ثلاث خصال اياك وأبواب السلطان وإياك ومجالسة أصحاب الاهواء والزم سوقك فان الغنا من العافية • وقال ابن عون كان الرجل يفر بما عنده من الامراء جهده فاذا أخذ لم يجد بداً • وعن بكر بن محمد الليثي قال سمعت سفيان يقول في جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزوّارون للملوك • وعن محمد بن داود البصري قال لما ولي اسمعيل بن علية على العشور أو قال على الصدقات كتب الى عبد الله بن المبارك يستمده برجال من القراء يعينونه على ذلك فكتب اليه عبد الله

يا جاعل العلم له بازياً	يصطاد أموال المساكين
احتلت للدنيا ولذاتها	بحيلة تذهب بالدين
فصرت مجنوناً بها بعدما	كنت دواءً للمجانين
أين رواياتك فيما مضى	عن ابن عون وابن سيرين
ودرسك العلم بآثاره	وتركك أبواب السلاطين
تقول أكرهت فما ذا كذا	زلّ حمار العلم في الطين
لاتبتغ الدنيا بدين كما	يفعل ضلال الرّهابين

وانشد ابن المبارك

رايت الذنوب تميت القلو	ب ويورثك الذل إدمانها
وترك الذنوب حياة القلو	ب وخير لنفسك عصيانها
وهل بدّل الدين الا الملو	ك وأحبار سوءٍ ورهبانها

---

(١) ثقه ثبت حجة وإمام جليل مات سنة ١٣١ هـ تقريب

وباعوا النفوس فلم يربحوا ولم تغل في البيع أثمانها
لقد رتع القوم في جيفة يبين لذي العقل إنتانها

وقال محمود الوراق

ركبوا المراكب واغتدوا زُمَرًا الى باب الخليفه
وصلوا البكور الى الروا ح ليبلغوا الرتب الشريفه
حتى اذا ظفروا بما طلبوا من الحال اللطيفة
وغدا المولّى منهم فرحا بما تحوي الصحيفة
وتصفوا من تحتهم بالظلم والسير العنيفه
خانوا الخليفة عهده بتعسف الطرق المخوفه
باعوا الامانه بالخيانة واشتروا بالأمن خيفه
عقدوا الشحوم وأهزلوا تلك الامانات السخيفه
ضاقت قبور القوم واتسعت قصورهم المنيفه
من كل ذي أدب ومعرفة وآراء حصيفه •
متفقه جمعَ الحديث الى قياس أبي حنيفه
• فأتاك يصاح للقضاء بلحية فوق الوظيفه
لم ينتفع بالعلم اذ شغفته دنياه الشغوفه
نسي الآله ولاذ في الدنيا بأسباب ضعيفه

وقول أبي العتاهية

عجباً لأرباب العقول والحرص في طاب الفضول
سلاب أكسية الارا مل واليتامى والكهول
والجامعين المكثرين من الخيانة والغلول
والمؤثرين لدار رحلتهم على دار الحلول
وضعوا عقولهم من الد نيا بمدرجة السيول
ولهوا بأطراف الفروع وأغفلوا علم الاصول
وتتبعوا جمع الحطام وفارقوا أثر الرسول

وعن حذيفة قال اياكم ومواقف الفتن قيل وما مواقف الفتن يا أباعبد الله قال أبواب الامراء يدخل احدكم على الامير فيصدقه بالكذب ويقول له ماليس فيه • وعن ابن مسعود قال ان على أبواب السلاطين فِتَنا كمبارك الابل والذي نفسي بيده لايصيبون

من دنياهم شيئاً الا أصابوا من دينكم مثله أوقال مثليه • وقال وهب بن منبه ان جمع المال(١) وغشيان السلطان لايبقيان من حسنات المرء إلا كما يبقي ذئبان جائعان ضاريان سقطا في حظار فيه غنم فباتا يجوسان حتى أصبحا • وهذا المعنى قد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أبي موسى الأشعري أنه قال ما ذئبان جائعان أرسلا في حظيرة غنم بأفسد لها من حب المال والشرف لدين المرء أو نحوهذا من قوله صلى الله عليه وسلم • وروى عبد الرزاق عن أبيه قال قلت لوهب بن منبه كنت ترى الرؤيا فتخبرناها فلا تلبث أن تراها كما وصفت قال ذهب ذلك عني مذ وليت القضاء قال عبد الرزاق حدثت معمراً بهذا الحديث فقال والحسن منذ ولي القضاء لم يحمدوا فهمه • وعن محمد بن يوسف الفريابي(٢) قال سمعت سفيان الثوري يقول كان خيار الناس وأشرافهم والمنظور اليهم في الدين يقومون الى هؤلاء فيأمرونهم وينهونهم يعني الأمراء وكان آخرون يلزمون بيوتهم ليس عندهم ذلك فكانوا لاينتفع بهم ولا يذكرون ثم بقينا حتى صار الذين يأتونهم فيأمرونهم شرار الناس والذين لزموا بيوتهم ولم يأتوهم خيار الناس • وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صنفان من أمتي إذا صلحا صلح الناس الأمراء والفقهاء • وفي رواية عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال صنفان إذا صلحا صلحت الأمة وإذا فسدا فسدت الأمة السلطان والعلماء • قال أبو عمر ههنا والله أعلم قال الفضيل لو أن لي دعوة مجابة لجعلتها في الامام • أنشدني أحمد بن عمر بن عبدالله لنفسه في قصيدة له

(قف على حديث جليل)

نسئل الله صلاحاً للولاة الرؤساء * فصلاح الدين والدنيا صلاح الأمراء
فبهم يلتئم الشمل على بعد التناء * وبهم قامت حدود الله في أهل العداء
وهم المغنون عنا في مواطين العناء * وذهاب العلم عنا في ذهاب العلماء
فهم أركان دين الله في الأرض الفضاء * فجزاهم ربهم عنا بمحمود الجزاء

وفي سماع أشهب قال مالك قال عمر بن الخطاب اعلموا انه لايزال الناس مستقيمين ما استقامت لهم أئمتهم وهداتهم • وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العلماء أمناء الرسول على عباد الله مالم يخالطوا السلطان يعني في الظلم فاذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم • وقال قتادة العلماء كالملح اذا فسد الشيء صلح بالملح واذا فسد الملح لم يصلح بشيء • وقيل للأعمش يا أبا محمد قد أحييت العلم بكثرة من يأخذه عنك فقال لا تعجبوا فإن ثلثاً منهم يموتون قبل أن يدركوا وثلثاً يلزمون السلطان فهم

---

(١) المذموم من جمع المال هنا وفي كل ما يذكر فيه هو ان يجعل الانسان همه ذلك بحيث يستولي على منابع عزيمته ويلهيه عما هو أولى به (٢) ثقة فاضل مات سنة ٢١٢ هـ تقريب

شرّ من الموتى ومن الثلث الثالث قليـل من يفلح • وقال شر الأمراء أبعدهم من العلماء وشر العلماء أقربهم من الامراء • وقال محمد بن سحنون كان لبعض أهل العـلم أخ يأتي القاضي والوالي بالليل ليسلم عليهما فبلغه ذلك فكتب اليه أما بعـد فإن الذي يراك بالنهار يراك بالليل وهذا آخر كتاب أكتب به اليك قال محمد فقرأته على سحنون فأعجبه وقال ما أسمجه بالعالم أن يؤتى الى مجلسه فلا يوجـد فيه فيسئل عنه فيقال إنه عنـد الأمير • وقال سحنون اذا أتى الرجل مجلس القاضي ثلاثة أيام بلا حاجة فينبغي أن لاتقبل شهادته

(قال ابو عمر) معنى هذا الباب كله في السلطان الجائر الفاسق فأما العدل منهم الفاضل فمداخلته ورؤيته وعونه على الصلاح من أفضل أعمال البر ألا ترى أن عمر بن عبدالعزيز(١) انما كان يصحبه جلة العلماء مثل عروة بن الزبير وطبقته وابن شهاب وطبقته • وقد كان ابن شهاب يدخل الى السلطان عبـد الملك وبنيه بعده وكان ممن يدخـل الى السلطان الشعبي وقبيصة ابن ذؤيب(٢) ورجاء بن حيوة الكندي ابو المقدام وكان فاضلا عالماً والحسن وابو الزناد ومالك بن انس والأوزاعي والشافعي وجماعة يطول ذكرهم وإذا حضر العالم عند السلطان غبًّا فيما فيه الحاجة وقال خيراً ونطق بعلم كان حسناً وكان في ذلك رضوان الله الى يوم يلقاه ولكنها مجالسُ الفتنة فيها أغلب والسلامة منها ترك ما فيها وحسـبك ما تقدم في هذا الباب من قوله صلى الله عليه وسلم من انكر فقد برئ ولكن من رضي فتابع فأبعده الله عز وجل

وعن ابي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال العلم لواحد من ثلاثة لذي حسب يزينه به او لذي دين يسوس به دينه او لمن يختلط بالسلطان ويدخل اليه يتحفه بعلمه وينفعه به قال ولا اعلم احداً جمع هذه الخلال الا عروة بن الزبير وعمر بن عبد العزيز فكلاهما جمع الحسب والدين ومخالطة السلطان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة في ظل الله يوم لاظل الا ظله امام عدل فبدأ به • وقال المقسطون على منابر من نور يوم القيامة وقال الإمام العدل لاترد دعوته ومثل هـذا كثير • وعن يحيي بن ابي كثير قال كتب عمر بن عـبد العزيز الى عماله ان اجروا على طلبة العلم الرزق وفرّغوهم للطلب فهذا ومثله سيرة الامام العدل وبالله التوفيق • وعن عبد المتعالي بن صالح من أصحاب مالك قال قيل لمالك انك تدخـل على السلطان وهم يظلمون ويجورون فقال يرحمك الله فأين الكلام بالحق. وعن الحسين بن علي قال لما حج هرون وقدم المدينة بعث الى مالك بكيس فيه خمسمائة

(قف على ما كتبه عمر بن عبد العزيز)

---

(١) الاموي أمير المؤمنين يعدّ من الخلفاء الراشدين ولم يجئ بعده في الاسلام مثله مات سنة ١٠١ هـ تقريب بزيادة (٢) الخزاعي مات سنة بضع وثمانين هـ تقريب

دينار فلما قضى نسكه وانصرف وقدم المدينة بعث الى مالك ان أمير المؤمنين يحب أن تنتقل معه الى مدينة السلام فقال للرسول قل له ان الكيس بخاتمه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون

﴿ باب ذم الفاجر من العلماء وذم طالب العلم للمباهاة والدنيا ﴾

عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تعلَّموا العلم لتباهوا به العلماء ولا لتماروا به السفهاء ولا لتحتازوا به المجالس فمن فعل ذلك فالنار النار (١) • وعن الاسود قال قال عبد الله بن مسعود لو أن أهل العلم صانوا علمهم ووضعوه عند أهله لسادوا به أهل زمانهم ولكنهم بذلوه لأهل الدنيا لينالوا به من دنياهم فهانوا على أهلها سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول من جعل الهموم هماً واحداً كفاه الله هم آخرته ومن تشعبت به الهموم في أحوال الدنيا لم يبال الله في أي أوديتها وقع • وعن محمد بن يحيى ابن حَبَّان (٢) قال حدثني رجل من اهل العراق أنهم مروا على ابي ذر فسألوه يحدثهم فقال لهم تعلمون أن هذه الأحاديث التي يبتغى بها وجه الله تعالى لا يتعلمها أحد يريد بها عرض الدنيا اوقال لا يريد بها الا عرض الدنيا فيجد عرف الجنة ابداً • قال عبدالله ابن المبارك عرفها ريحها • وعن سيار عن عائذ الله قال الذي يبتغي الاحاديث ليحدث بها لا يجد ريح الجنة (قال ابو عمر) عائذ الله هو أبو إدريس الخولاني اسمه عائذ الله بن عبدالله (٣) • وعن مكحول من طلب الحديث ليماري به السفهاء أو ليباهي به العلماء أو ليصرف به وجوه الناس فهو في النار • وعن يزيد بن قَوْذر قال يوشك أن ترى رجالا يطلبون العلم فيتغايرون عليه كما يتغاير الفساق على المرأة هو حظهم منه . وعن أيوب السختياني قال لي قال أبو قلابة (٤) اذا أحدث الله لك علماً فأحدث له عبادة ولا يكن همّك أن تحدث به . وعن علقمة عن عبدالله بن مسعود قال كيف أنتم اذا لبستم فتنة يربو فيها الصغير ويهرم الكبير وتتخذ سنة متبعة يجري عليها الناس فاذا غير منها شيء قيل قد غيرت السنة قيل متى ذلك يا أبا عبدالرحمن قال اذا كثر قراؤكم وقل فقهاؤكم وكثر أمراؤكم وقل أمناؤكم والتمست الدنيا بعمل الآخرة وتفقه لغير العمل في الدين . وعن سفيان بن عيينة قال بلغنا عن ابن عباس أنه قال لو أن حملة العلم أخذوه بحقه وما ينبغي لأحبهم الله

(قف على قول ابن مسعود)

(١) في هامش الاصل ما نصه: هذا الوعيد لمن يريد بعلمه شيئاً من الخير والله يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء هـ (٢) بن منقذ الانصاري فقيه مات سنة ١٢١ هـ تقريب (٣) سمع من كبار الصحابة ومات سنة ٨٠ هـ تقريب (٤) عبدالله بن زيد الجرمي مات سنة ١٠٤ هـ منه

وملائكته والصالحون ولها بهم الناس ولكن طلبوا به الدنيا فأبغضهم الله وهانوا على الناس • وذكر عمر بن شبة قال حدثنا أبو حازم قال قدم هشام بن عبد الملك المدينة فاجتمع اليه فقهاء الناس والى جني الزهري فقال لي الزهري يا أبا حازم ألا تحدث الناس بعض أحاديثك فقلت بلى كان الناس الفقهاء يستغنون بعلمهم عن أهل الدنيا ويقضون في علمهم مالا يقضي أهل الدنيا في دنياهم فكان أهل الدنيا يقربونهم ويعظمونهم على ذلك فأصبح العلماء اليوم يبذلون علمهم لأهل الدنيا رغبة في دنياهم فلما رأى أهل الدنيا موضع العلم عند أهله زهدوا فيه وازدادوا رغبة في دنياهم • وكان يقال أشرف العلماء من هرب بدينه عن الدنيا واستصعب قياده على الهوى • وعن أبي الدرداء قال قال رسول صلى الله عليه وسلم أنزل الله في بعض الكتب أو أوحى الى بعض الانبياء قل للذين يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة يلبسون للناس مسوك الكباش وقلوبهم كقلوب الذئاب ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم أمر من الصبر اياي يخادعون وبي يستهزؤن لأتيحن لهم فتنة تذر الحليم فيهم حيرانا • وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج في آخر الزمان رجال يختلون الدنيا بالدين يلبسون للناس جلود الضأن من اللين ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم قلوب الذئاب يقول الله عز وجل أبي يغترون أم علي يجترون في حلفت لأبعثن على أولئك فتنة تدع الحليم حيرانا • وعن أبي العالية قال مكتوب عندهم في الكتاب الاول ابن آدم علم مجانا كما علمت مجانا (قال أبو عمر) معناه عندهم كما لم تغرم ثمنا فلا تأخذ ثمناً والمجان عندهم الذي لا يأخذ بعلمه ثمناً • وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه الا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة يعني ريحها وعن يحيي بن أبي بكر قال سمعت حسن ابن صالح يقول انك لا تفقه حتى لا تبالي في يدي من كانت الدنيا • وعن عبدالله بن أبي صالح قال قال عيسى يامعشر القراء والعلماء كيف تضلون بعد علمكم أو تعمون بعد بصركم من أجل دنيا دنية وشهوة ردية فلكم الويل عليها ولها الويل منكم • وعن يزيد ابن أبي حبيب قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشهوة الخفية فقال هو الرجل يتعلم العلم يحب ان يجاس اليه • وعن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العلم علمان علم فى القلب فذلك العلم النافع وعلم على اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم • وعن ابي داود قال سمعت سفيان الثوري يقول انما يطلب الحديث ليتقى به الله عز وجل فلذلك فضل على غيره من العلوم ولولا ذلك كان كسائر الاشياء • وعن يعقوب بن اسحق الحضرمي قال سمعت حماد بن سلمة يقول من طلب

الحديث انفير الله مكر به • وعن يحي بن أيوب قال سمعت ابن السماك يقول قال مسعر من اراد الحديث للناس فليجتهد فإن بلاءهم شديد ومن اراده لنفسه فقد اكتفى وكان شعبة حاضراً فقال هذا والله ينبغي أن يكتب

وعن ابراهيم التيمي قال من طلب العلم لله عزوجل آتاه الله منه مايكفيه • وعن محمد بن عبد الله الطائفي قال بلغني أن سفيان الثوري قال زينوا الحديث بأنفسكم ولا تزينوا بالحديث. وقال سفيانُ زين علمك بنفسك ولا تزين نفسك بعلمك وقال أيضاً انما يتعلم العلم ليتقى به الله وإنما فضل العلم على غيره لانه يتقى به الله عز وجل • وعن ابن المبارك قال كان يقال تعوذوا بالله من فتنة العالم الفاجر والعابد الجاهل فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون • ومن حديث ابن وهب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هلاك أمتي عالم فاجر وعابد جاهل وشر الشر شرار العلماء وخير الخيار خيار العلماء

وروينا عن الأوزاعي(١) رحمه الله قال شكت النواويس الى الله عزوجل ماتجد من نتن جيف الكفار فأوحى الله اليها بطون علماء السوء أنتن مما أنتم فيه • وروينا عن فضيل بن عياض وأسد بن الفرات قالا بلغنا أن الفسقة من العلماء ومن حملة القرآن يبدأ بهم يوم القيامة قبل عبدة الأوثان وقال فضيل بن عياض لأن من علم ليس كمن لم يعلم • وقال الحسن عقوبة العالم موت القلب قيل له وما موت القلب قال طلب الدنيا بعمل الآخرة • وأنشدني محمد بن ابراهيم بن مصعب لأحمد بن بشر في شعر له

أحسن شيء قيل في عالم ... ماأصدق المرء وما أورعه
وشر ماعيب به أن يرى ... عبداً من الدنيا لمن أطمعه

وقال بعض الصالحين اللهم إني أشكو اليك ظهور البغي والفساد في الارض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع • وقال الحسن من أفرط في حب الدنيا ذهب خوف الآخرة من قلبه ومن ازداد علماً ثم ازداد على الدنيا حرصا لم يزد من الله إلاّ بغضاً ولم يزدد من الدنيا الا بُعداً • وقد روي مثل هذا من قول الحسن مرفوعا والله أعلم • وروي عنه عليه الصلاة والسلام انه قال من طلب العلم لغير الله أو أراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار • وعنه صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن شر الناس فقال العلماء اذا فسدوا • وهذه الاحاديث وان لم يكن لهـا أسانيد قوية فانها قد جاءت كما ترى والقول عندي فيها

(١) الإمام الجليل واسمه عبد الرحمن بن عمرو بن يُحْمِد قيل انه اجاب فى سبعين الف مسألة سكن بيروت وقبرها توفي ١٥٧ هـ ابن خلكان

كما قال ابن عمر في نحو هذا عَشٍّ ولا تغتر (٢) وقال جعفر بن محمد اذا رأيتم العالم محبا لدنياه فاتهموه على دينكم فان كل محب لشيء يحوط ما أحب ٠ وروي أن الله عزوجل أوحى الى داود ياداود لا تجعل بيني وبينك عالماً مفتوناً بالدنيا فيصدك عن طريق محبتي فإن أولئك قطّاع طريق عبادي المريدين ان أدنى ماأناصانع بهم أن أنزع حلاوة المناجاة من قلوبهم

وعن الشعبي قال يطلع قوم من أهل الجنة الى قوم من أهل النار فيقولون لهم ماأدخلكم النار وأنما أدخلنا الجنة بفضل تأديبكم وتعليمكم قالوا انا كنا نأمركم بالخير ولا نفعله

(قال ابو عمر) قد ذم الله فى كتابه قوماً كانوا يأمرون الناس بأعمال البر ولا يعملون بها ذماً ووبخهم الله بها توبيخاً يتلى على طول الدهر الى يوم القيامة فقال «أتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون » قال أبو العتاهية

وصفتَ التقى حتى كأنك ذوتقى وريح الخطايا من ثناياك تسطع

وقال سالم بن عمرو المعروف بالخاسر (١)

ماأقبح التزهيد من واعظ يزهّد الناس ولا يزهد
لو كان في تزهيده صادقا أضحي وأمسى بيته المسجد
ان يرفض الدنيا فما باله يستمنح الناس ويسترفد
الرزق مقسوم على من ترى يسعى به الابيض والاسود

وقال أبو العتاهية

ياواعظ الناس قد أصبحت متهما اذ عبت منهم أمورا أنت تأتيها

وقد ذكرنا تمة الابيات في باب قول العلماء بعضهم فى بعض من هذا الكتاب وعن عبدالله بن عروة بن الزبير قال أشكو الى الله عيبي مالا أترك ونعتي مالا آتي

---

(٢) هذا مَثَلٌ وأصله ان رجلا أرادأن يفوِّز بأبله (أي يركب بها المفازة) واتكل على عشب يجده هناك فقيل له عَشِّ ولا تغتر بماالست منه على يقين ويروى أن رجلا أتى ابن عمر وابن عباس وابن الزبير فقال كما لاينفع مع الشرك عمل كذلك لايضر مع الإيمان ذنب فكلهم قالوا له عش ولا تغتر يعني لا تفرط فى اعمال الخير وخذ فى ذلك بأوثق الأمور فإن كان الشأن على مانرجو من الرخصة والسعة هناك كان ما كسبت زيادة في الخير وان كان على ما نخاف كنت قد احتطت انفسك هـ مجمع الأمثال للميداني (١) سمي الخاسر لانه باع واشترى بثمنه طنبوراً وكان منظاهراً بالخلاعة مات سنة ١٨٦ هـ ابن خلكان

وقال انما يبكى بالدين للدنيا وقد قال عبدالله بن عروة شعراً يشبه هذا الحديث

يبكون بالدين للدنيا وبهجتها　　أرباب دين عليها كلهم صادي
لا يعملون لشيء من معادهم　　تعجلوا حظهم فى العاجل البادي
لا يهتدون ولا يهدون تابعهم　　ضل المقود وضل القائد الهادي

ولابي العتاهية

يا ذا الذي يقرأ فى كتبهِ　　ما أمر الله ولا يعملُ
قد بين الرحمن مقت الذي　　يأمر بالحـق ولا يفعلُ
من كان لا تشبه أفعالهُ　　أقواله فصمته أجمـلُ
من عذل الناس فنفسي بما　　قد قارفت من ذنبها أعذل
ان الذي ينهى ويأتي الذي　　عنه نهى فى الحكم لا يعدل
وراكب الذنب على جهله　　أعذر ممن كان لا يجهل
لا تخلطن ما يقبل الله من　　فعل بقولٍ منك لا يقبل

وعن صفوان بن محرز (١) سمع جندب بن عبدالله البجلي (٢) يقول فى حديث ذكر ان مثل الذي يعظ الناس وينسى نفسه كالمصباح يحرق نفسه ويضيء لغيره

(قال أبو عمر) أخذه بعض الحكماء فقال

وبخت غيرك بالعمى فأفدته　　بصراً وأنت محسّن لعماكا
كفتيلة المصباح تحرق نفسها　　وتنير موقدها وأنت كذاكا

وقد أخذه فى غير هذا المعنى عباس بن الاحنف (٣) فقال

صرت كأني ذبالة نصبت　　تضيء للناس وهي تحترق

ولقد أحسن أبو الاسود الدؤلي فى قوله ويروى للعرزمي

يا أيها الرجل المعلم غيره　　هلا لنفسك كان ذا التعليم
لا تنه عن خلق وتأتي مثله　　عار عليك اذا فعلت عظيم
وابدأ بنفسك فانهها عن غيها　　فاذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك تقبل ان وعظت ويقتدى　　بالقول منك وينفع التعليم

---

(١) المازني أو الباهلي ثقة عابد مات سنة ١٧٤ هـ تقريب (٢) ثم العلقي له صحبة مات بعد الستين هـ تقريب (٣) الحنفي اليمامي الشاعر المشهور وجميع شعره في الغزل مات سنة ١٨٨ وقيل أكثر هـ من ابن خلكان

تصف الدواء لذي السقام من الضنا كيما يصح به وأنت سقيم
وأراك تلقح بالرشاد عقولنا نصحاً وأنت من الرشاد عديم

ولابي العتاهية

اذا عبت أمراً فلا تأته وذو اللب مجتنب ما يعيب

وقال محمد بن عيسى بن طلحة بن عبيد الله

لا تلم المرء على فعله وأنت منسوب الى مثله
من ذم شيئاً وأتى مثله فانما يزري على عقله

أنشدها له الزبير . وقال منصور الفقيه

ان قوماً يأمرونا بالذي لا يفعلونا
لمجانين وان هم لم يكونوا يصرعونا

وقال غيره

إذا أنت لم تعرف لذي السن فضله عليك فلا تنكر عقوق الاصاغر

وروي عن أبي جعفر محمد بن علي في قول الله عز وجل « فكبكبوا فيها هم والغاوون » قال قوم وصفوا الحق والعدل بألسنتهم وخالفوه الى غيره . وعن عبد الرحمن ابن القاسم المسعودي قال قال ابن مسعود إني لأحسب أن الرجل ينسى العلم قد علمه بالذنب يعمله . وعن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله عز وجل . يريد العالم الفاضل والله أعلم

وقال أبو العتاهية

بكى شجوه الاسلام من علمائه فما اكترثوا لما رأوا من بكائه
فاكثرهم مستقبح لصواب من يخالفه مستحسن لخطائه
فأيهم المرجوّ فينا لدينه وأيهم الموثوق فينا برائه

وقال أيضاً

اصح مواقع الآراء ما لم يكن مستصوبا عند الجهول

﴿ باب ماجاء في مسائلة الله عز وجل العلماء يوم القيامة عما عملوا فيما علموا ﴾

عن عبد الله بن عُكَيم قال سمعت ابن مسعود بدأ باليمين قبل الحديث فقال والله مامنكم من أحد إلا سيخلو به ربه عز وجل كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر أو قال

لليلته ثم يقول يا ابن آدم ماغرّك بي ابن آدم ماغرك بي ما عملت فيما علمت يا ابن آدم ماذا اجبت المرسلين ٠ وعن حميد بن هلال (١) قال قال أبو الدرداء إن اخوف ما أخاف اذا وقفت على الحساب أن يقال لي قد علمت فماذا عملت فيما علمت ٠ وعن سليمان بن يسار (٢) قال تفرّج الناس عن ابي هريرة فقال له بابل الشامي ايها الشيخ حدثنا حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اول الناس يقضى فيه يوم القيامة ثلاثة رجل استشهد في سبيل الله فأتي به ربه فعرّفه نعمه فعرفها فقال فما عملت فيها قال قاتلت حتى قتلت قال كذبت ولكن قاتلت ليقال هو جريء وقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى أُلقي في النار ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرّفه نعمه فعرفها فقال فما عملت فيها قال تعلمت فيك العلم وعلّمته وقرأت القرآن قال كذبت ولكن ليقال هو قاريء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى التي في النار ورجل أوسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال فأتي به فعرّفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال ما تركت من سبيل تحب أن أنفق فيها الا أنفقت فيها قال كذبت ولكن ليقال هو جواد فقد قيل ثم امر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ٠ وهذا الحديث فيمن لم يرد بعلمه ولا عمله وجه الله وقد قيل في الرياء انه الشرك الأصغر ولا يزكو معه عمل عصمنا الله برحمته

وعن الزهري عن محمود قال لما حضرت شدّاد بن أوس الوفاة قال اخوف ما أخاف على هذه الأمة الرياء والشهوة الخفية ٠ وعن سفيان بن عيينة قال الشهوة الخفية الذي يحب ان يحمد على البر ٠ وعن ابي الدرداء قال لا اخاف ان يقال في يوم القيامة يا ابا الدرداء ما عملت فيما جهلت ولكن ان يقال لي يا عويمر ما عملت فيما علمت

وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن خمس خصال عن شبابه فيما ابلاه وعن عمره فيما افناه وعن ماله من اين اكتسبه واين انفقه وعن علمه ماذا عمل فيه ٠ وعن ابي الدرداء انه قال انما اخاف ان يقال لي يوم القيامة اعلمت أم جهلت فأقول علمت فلا تبقى آية من كتاب الله عز وجل آمرة او زاجرة الا جاءتني تسألني فريضتها فتسئلني الآمرة هل ائتمرت والزاجرة هل ازدجرت فأعوذ بالله من علم لا ينفع ومن نفس لا تشبع ومن دعاء لا يسمع ٠ وكان سفيان الثوري يقول وددت ني قرأت القرآن ثم وقفت ٠ وقال أيضاً

(قف على ما بلغ ابن الزاهرية)

---

(١) العدوي البصري ثقة عالم هـ تقريب (٢) الهلالي المدني مولى ميمونة وقيل أم سلمة ثقة فاضل وأحد الفقهاء السبعة مات بعد المائة وقيل قبلها هـ تقريب

وددت اني أفلت من هذا الامر لالي ولا علي قال سفيان وما ادركت احداً ارضاه الا قال ذلك • وعن ابن الزاهرية قال بلغني ان في بعض الكتب ان الله يقول ابث العلم فى آخر الزمان حتى يعلمه الرجل والمرأة والحر والعبد والصغير والكبير فاذا فعلت ذلك بهم أخذتهم بحقي عليهم

﴿ باب جامع القول فى العلم والعمل ﴾

عن ركب المصري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن تواضع في غير منقصة وأذل نفسه في غير مسكنة وأنفق مالاً جمعه في غير معصية وخالط أهل الفقه والحكمة، ورحم أهل الذل والمسكنة، طوبى لمن طاب كسبه، وصلحت سريرته، وكرمت علانيته وعزل عن الناس شره. طوبى لمن عمل بعلمه، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله. وقال ابو الدرداء ويل لمن لا يعلم ولا يعمل مرة وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات. وقال بعض الحكماء لولا العقل لم يكن علم ولولا العلم لم يكن عمل ولأن ادع الحق جهلا به خير من ان أدعه زهداً فيه. وقالوا من حجب الله عنه العلم عذبه على الجهل وأشد منه عذابا من أقبل عليه العلم فأدبر عنه ومن اهدى الله اليه علما فلم يعمل به وقالوا قالت الحكمة ابن آدم ان التمستني وجدتني في حرفين تعمل بخير ما تعلم وتدع شر ما تعلم • ويقال ان في الانجيل مكتوبا لا تطلبوا علم ما لم تعلموا حتى تعملوا بما علمتم • وقال عيسى عليه السلام للحواريين بحق أقول لكم ان قائل الحكمة وسامعها شريكان وأولاهما بها من حققها بعمله يابني اسرائيل ما يغني عن الاعمى معه نور الشمس وهو لا يبصرها وما يغني عن العالم كثرة العلم وهو لا يعمل به ••

(قف على ما قالت الحكمة)

(قف على قول ابن ادهم).

وقال رجل لابراهيم ابن أدهم(١) قال الله عز وجل «ادعوني استجب لكم» فما لنا ندعو فلا يستجاب لنا فقال ابراهيم من أجل خمسة أشياء قال وما هي قال عرفتم الله فلم تؤدوا حقه وقرأتم القرآن فلم تعملوا بما فيه وقلتم نحب الرسول وتركتم سنته وقلتم نلعن ابليس واطعمتوه والخامسة تركتم عيوبكم واخذتم في عيوب الناس

وقال عبد الله بن مسعود اني لأحسب الرجل ينسى العلم بالخطيئة يعملها وان العالم من يخشى الله وتلا «انما يخشى الله من عباده العلماء» وعن عبد الله بن المسور قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له أتيتك يارسول الله لتعلمني من غرائب العلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنعت في رأس العلم قال وما رأس العلم قال عرفت

---

(١) بن منصور العجلي وقيل التميمي البلخي الزاهد مات سنة (١٦٢) ه تقريب

الرب قال نعم قال فما صنعت في حقه قال ماشاء الله قال هل عرفت الموت قال نعم قال فما أعددت له قال ما شاء الله قال اذهب فأحكم ماهنالك ثم تعال نعلمك من غرائب العلم • وقال سفيان كتب ابن منبه الى مكحول إنك امرؤ قد أصبت فيما ظهر من علم الاسلام شرفاً فاطلب بما بطن من علم الاسلام عند الله محبة وزلفى واعلم ان احدى المحبتين سوف تمنع منك الاخري • وقال الحسن البصري بعث الله لهذا العلم اقواماً يطلبونه ولا يطلبونه حسبة وليس لهم فيه نية يبعثهم الله في طلبه كيلا يضيع العلم حتى لاتبقى عليه حجة • وقال عمر لكعب مايذهب العلم من قلوب العلماء بعد ان حفظوه ووعوه فقال يذهبه الطمع وتطلب الحاجات الى الناس • وعن ابي بن كعب قال تعلموا العلم واعملوا به ولا تتعلموه لتتجملوا به فانه يوشك ان طال بكم زمان أن يتجمل بالعلم كما يتجمل الرجل بثوبه • وقال معاذ بن جبل اعلموا ماشئتم ان تعلموا فلن يأجركم الله بعلمه حتي تعملوا • وعن عبد الرحمن بن غنم قال حدثني عشرة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا كنا نتدارس العلم في مسجد قبا اذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تعلموا ماشئتم ان تعلموا فان يأجركم الله حتى تعملوا • وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل قول معاذ من رواية عبد الصمد عن انس وفيه زيادة ان العلماء همتهم الرعاية وان السفهاء همتهم الرواية • وعن عمران بن أبي الجعد قال قال عبد الله ابن مسعود إن الناس احسنوا القول كلهم فمن وافق فعله قوله فذلك الذي أصاب حظه ومن خالف قوله فعله فانما يوبخ نفسه • وعن الحسن قال اعتبروا الناس بأعمالهم ودعوا اقوالهم فان الله لم يدع قولا الا جعل عليه دليلا من عمل يصدقه او يكذبه فاذا سمعت قولا حسناً فرويداً بصاحبه فإن وافق قوله فعله فنعم ونعمة عين • وذكر مالك أنه بلغه عن القاسم بن محمد قال أدركت الناس ومايعجبهم القول إنما يعجبهم العمل • وقال المأمون نحن الى أن نوعظ بالأعمال أحوج منا الى أن نوعظ بالأقوال • وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال ياحملة العلم إعملوا به فانما العالم من علم ثم عمل ووافق علمه عمله وسيكون أقوام يحملون العلم لايجاوز تراقيهم تخالف سريرتهم علانيتهم ويخالف عملهم علمهم يقعدون حلقاً فيباهي بعضهم بعضاً حتى ان الرجل ليغضب على جليسه أن يجلس الى غيره ويدعه أولئك لاتصعد أعمالهم في مجالسهم تلك الى الله عز وجل • وعن ابن مسعود قال كونوا للعلم وعاة ولا تكونوا له رواة فإنه قد يرعوي ولايروي ويروي ولا يرعوي • وعن أبي الدرداء قال لاتكون تقياً حتى تكون عالماً ولاتكون بالعلم جميلا حتى تكون به عاملا (قال أبو عمر) من قول أبي الدرداء هذا والله أعلم أخذ القائل قوله كيف هو متق ولا يدري مايتقي • وعن الحسن قال العالم الذي وافق علمه عمله ومن خالف علمه عمله فذلك راوية حديث

سمع شيئاً فقاله • ويروى أن سفيان الثوري كان ينشد متمثلا وهي اسابق البربري في شعر له مطول

إذا العلم لم تعمل به كان حجةً عليك ولم تُعْذَرْ بما أنت جاهله
فان كنت قد أوتيت علماً فإنما يصدّق قول المرء ما هو فاعله

وروي أن الحسن بن أبي الحسن البصري كان يتمثل بها والله أعلم وأنشد الرياشي رحمه الله

ما من روى أدباً فلم يعمل به ويكف عن زيغ الهوى بأديب
حتى يكون بما تعلم عاملا من صالح فيكون غير معيب
ولقلّما تجدي اصابة عالم أعماله أعمال غير مصيب

وقال منصور رحمه الله

ليس الاديب أخا الروا ية للنوادر والغريبْ
ولشعر شيخ المحدّثين أبي نُواس أو حبيب
بل ذو الفضائل والمرو ءة والعفاف هو الأديب

وعن سفيان الثوري قال ما عملت عملاً أخوف عندي من الحديث ولوددت أني قرأت القرآن وفرضت الفرائض ثم كنت من عرض بني ثور • وعن مكحول في قول الله عز وجل « واجعلنا للمتقين إماماً » قال أئمة في التقوى يقتدي بنا المتقون • وقال الثوري العلماء إذا علموا عملوا فاذا عملوا شغلوا فاذا شغلوا فقدوا فاذا فقدوا طلبوا فاذا طلبوا هربوا : وهكذا العلم انما يدل على الهرب عن الدنيا ليس على طلبها قال الحسن لا ينتفع بالموعظة من تمرّ على أذنيه صفحاً كما أن المطر اذا وقع في أرض سبخة لم تنبت • وأنشد ابن عائشة

اذا قسا القلب لم تنفعه موعظة كالارض ان سبخت لم يحيها المطر
والقطر يحيي به الارض التي خلطت والقلب فيه اذا ما لان مزدجر

وقال مالك بن دينار ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب • وقال الاصمعي سمعت أعرابياً يقول اذا دخلت الموعظة أذن الجاهل مرقت من الاذن الاخرى • وقال مالك بن دينار ان العالم اذا لم يعمل زلّت موعظته عن القلوب كما يزلّ القطر عن الصفا

كان سوّار يقول كلام القلب يقرع القلب وكلام اللسان يمر على القلب صفحاً • وقال زياد بن أبي سفيان اذا خرج الكلام من القلب وقع في القلب واذا خرج من اللسان لم يجاوز الآذان • وأنشد رجاء بن سهل

وكأن موعظة امرىء متزحزح عن قوله بفعاله هذيان

وعن سلمان قال يوشك ان يظهر العلم و يخزَن العمل يتواصل الناس بألسنتهم ويتقاطعون بقلوبهم فاذا فعلوا ذلك طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم . وبعضهم يروي هذا الحديث عن سلمان عن النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعا . وقال بعض الحكماء اذا كانت حياتي حياة السفيه وموتي موت الجاهل فما يغني عني ما جمعت من غرائب الحكمة . وقال الحسن . إبن آدم مايغني عنك ماجمعت من حكمة الحكماء وأنت تجري في العمل مجرى السفهاء . وقال ابو عبد الرحمن المطوي أي شيء تركت ياعارفا بالله للممترين والجهال ومن شعر لمنصور الفقيه

أيها الطالب الحريص تعلم ... ان للحق مذهباً قد ضللته
ليس يجدي عليك علمك ان لم ... تك مستعملا لما قد علمته
قد لعمري اغتربت في طلب العـ ... ـلم وحاولت جمعه فجمعته
ولقيت الرجال فيه وزا ... حمت عليه الجميع حتى سمعته
ثم ضيعت اونسيت وما ... ينفع علم نسيته أو أضعته
وسواء عليك علمك ان لم ... يجدِ علماً عليك أوما جهلته
كم الى كم تخادع النفس جهلا ... ثم تجري خلاف ماقد عرفته
تصف الحق والطريق اليه ... فاذا ماعملت خالفت سمته

وقال عبد الملك بن ادريس الوزير الكاتب

والعلم ليس بنافع أربابه ... مالم يفد عملا وحسن تبصّر
سيّان عندي علم من لم يستفد ... عقلا به وصلاة من لم يطهر
فاعمل بعلمك توف نفسك وزنها ... لاترضَ بالتضييع وزن المخسر

وعن علقمة قال قال عبد الله بن مسعود تعلّموا تعلموا فاذا علمتم فاعملوا . وانشدني ابن الانباري قال انشدنا احمد بن محمد بن مسروق

اذا كنت لاترتاب انك ميّت ... واست لبعد الموت تسعى وتعمل
فعلمك مايجدي وانت مفرط ... وذكرك في الموتى معدّ محصل

وقال منصور بن اسماعيل الفقيه

اذا كنت تعلم أن الفرا ... ق فراق الحياة قريب قريب
وأن المعدّ جهاز الرحيـ ... ـل ليوم الرحيل مصيب مصيب
وأن المقدّم مالا يفو ... ت على مايفوت معيب معيب
وانت في ذاك لاترعوي ... فأمرك عندي عجيب عجيب

وقال الحسن الذي يفوق الناس في العلم جدير أن يفوقهم في العمل . وقال فضيل ابن عياض قال لي ابن المبارك أكثركم علماً ينبغي أن يكون أكثركم خوفاً . وقال بعض الحكماء ماهذا الاغترار مع ماترى من الاعتبار . وعن الحسن في قوله عز وجل « وعُلّمتم مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم » قال علّمتم فعلمتم ولم تعملوا فوالله ماذا لكم بعلم . وقال سفيان الثوري يهتف العلم بالعمل فان أجابه وإلا ارتحل . وعن علقمة عن عبد الله قال ما استغنى أحد بالله الا احتاج اليه الناس وما عمل أحد بما علمه الله الا احتاج الناس الى ما عنده

وعن سفيان قال قال ابراهيم من تعلم علماً يريد به وجه الله تعالى والدار الآخرة آتاه الله من العلم مايحتاج اليه . ويروى أن عيسى عليه السلام قال للحواريين لست أعلمكم لتعجبوا إنما أعلمكم لتعملوا ليست الحكمة القول بها انما الحكمة العمل بها . وكان بعض الحكماء يقول نفعنا الله وإياكم بالعلم ولا جعل حظنا منه الاستماع والتعجب . وقال أيوب السختياني قال لي أبو قلابة يا أيوب اذا أحدث الله لك علماً فأحدث له عبادة ولا يكن همك أن تحدث به . وقال علي بن حسين كان نقش خاتم حسين بن علي علمت فاعمل . وعن مالك بن مغول في قوله (فنبذوه وراء ظهورهم) قال تركوا العمل به .

(قف على ما قاله سيدنا عيسى)

ومن حديث علي رضي الله عنه قال قال رجل يارسول الله ماينفي عني حجة الجهل قال العلم قال فما ينفي عني حجة العلم قال العمل . وقال الحسن ان أشد الناس حسرة يوم القيامة رجلان رجل نظر الى ماله في ميزان غيره سعد به وشقي هو به ورجل نظر الى علمه في ميزان غيره سعد به وشقي هو به . وروينا عن الشعبي أنه قال كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل به وكنا نستعين على طلبه بالصوم . وقال ابن وهب عن مالك أنه سمعه يقول ان حقاً على من طلب الحديث أن يكون له وقار وسكينة وخشية وأن يكون متبعاً لآثار من مضى قبله . قال وقال مالك لي إن من ازالة العلم أن يكلم العالم كل من يسأله ويجيبه

﴿ فصل من هذا الباب في كسب طالب العلم المال ومايكفيه من ذلك ﴾

قال يحيي بن يمان سمعت سفيان الثوري يقول العالم طبيب هذه الأمة والمال داؤها فاذا كان يجر الداء الى نفسه فكيف يعالج غيره

(قال أبو عمر) المال المذموم عند أهل العلم هو المطلوب من غير وجهه والمأخوذ من غير حله والآثار الواردة بذم المال نحو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الدينار والدرهم أهلكا من كان قبلكم وانهما مهلكاكم . ونحو قوله عليه السلام ماذئبان جائعان أرسلا

في حظيرة غنم بأفسد لها من حب المرء للمال والشرف وما كان في معناه من حديثه صلى الله عليه وسلم • ونحو قول عمر بن الخطاب ما فتح الله الدينار والدرهم أو الذهب والفضة على قوم الا سفكوا دماءهم وقطعوا أرحامهم • ونحو هذا مما روي عنه وعن غيره من السلف في هذا المعنى فوجه ذلك كله عند أهل العلم والفهم في المال المكتسب من الوجوه التي حرمها الله ولم يبحها وفى كل مال لم يطع الله جامعه في كسبه وعصى ربه من أجله وبسببه واستعان به على معصية الله وغضبه ولم يؤد حق الله وفرائضه فيه ومنه فذلك هو المال المذموم والمكسب المشؤم وأما اذا كان المال مكتسباً من وجه ما أباح الله وتأدت منه حقوقه وتقرّب فيه اليه بالانفاق في سبله ومرضاته فذلك المال محمود ممدوح كاسبه ومنفقه لاخلاف بين العلماء في ذلك ولا يخالف فيه الا من جهل أمر الله وقد أثنى الله على انفاق المال في غير آية من كتابه ومحال أن ينفق من لا يكتسب قال الله عز وجل «الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منّا ولا أذى» الآية وقال «ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية» وقال «لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل» وقال «الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم» الآية وقال «لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون» وقال «يمحق الله الربا ويُربي الصدقات» وقال «من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له» الآية وما في القرآن من هذا المعنى كثير جداً وكذلك السنن الصحاح كلها تنطق بهذا المعنى وهو الثابت عن الصحابة والتابعين وفقهاء المسلمين قال صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة • وقال اليد العليا خير من اليد السفلى واليد العليا المعطية واليد السفلى السائلة • وقال لسعد بن أبي وقاص (١) لأن تدع ورثتك أغنياء خير من ان تدعهم عالة يتكففون الناس وإنك لن تنفق نفقة الا أُجرت فيها الحديث • وقال صلى الله عليه وسلم افضل درهم درهمٌ تنفقه على عيالك والآثار في هذا متواترة جداً وقال صلى الله عليه وسلم لعمرو بن العاص هل لك أن أرسلك في جيش يغنمك الله ويسلمك وارغب لك من المال رغبة صالحة فنعم المال الصالح للرجل الصالح • وقال ابو بكر الصديق (٢) لعائشة رضى الله عنهما ما احدمن خلق الله أحب اليّ غنىً بعدي منك ولا اعز عليّ فقراً بعدي منك • وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدّخر مما أفاء الله عليه من صفاياه من فَدَك وغيرها

---

(١) واسم ابي وقاص مالك بن وهيب القرشي الزهري وسيدنا سعد احد العشرة الكرام وهو اول من اراق دماً في سبيل الله مات سنة ٥٤ وقيل أكثر ه أسد الغابة (٢) هو اول الخلفاء الراشدين واسمه عبدالله بن ابي قحافة واسم ابي قحافة عثمان مات سنة ١٣ ه تقريب

قوت سنة ويجعل الباقي في الكراع والسلاح في سبيل الله وهذه آثار مشهورة كرهت سياقها بأسانيدها خشية التطويل • وعن حكيم بن قيس بن عاصم ان اباه قال يابني عليكم بالمال فانه منبهة للكريم ويستغني به عن اللئيم • وعن ابن سيرين قال كان ممن ترك الصامت عبد الرحمن بن عوف وكان ممن لم يدع صامتاً ابو بكر وعمر • وعن عمر بن صالح بن ابراهيم قال صالحنا امرأة عبد الرحمن بن عوف التي طلقها في مرضه من ربع الثمن على ثلاثة وثمانين ألفاً • وعن كعب قال كان للزبير ألف مملوك يؤدون الخراج لم يكن يدخل بيته منها درهما • وعن نافع أن ابناً لعمر باع ميراثه من ابن عمر بمائة ألف درهم • وعن قرة ابن خالد(١) قال سألنا الحسن أأوصى عمر بن الخطاب بثلث ماله أربعين ألفاً قال والله لماله كان أيسر من أن يكون ثلثه أربعين ألفاً ولكنه لعله أوصى بأربعين ألفاً فأجازوها • وعن زرّ قال مات ابن مسعود وترك سبعين الف درهم • وعن سعيد بن المسيب قال لاخير فيمن لايجمع المال يكف به وجهه ويؤدي أمانته • وعنه أيضاً أنه ترك أربعمائة دينار وقال اني والله ماتركتها الا لأصون بها عرضي أووجهي • وعن أبي قلابة قال لاتضركم دنيا اذا شكرتموها لله • وقال أيوب كان أبو قلابة يقول لي يا أيوب الزم سوقك فإن الغنى من العافية • وفي رواية فان فيها غنى عن الناس وصلاحا في الدين • وكان عبدالرحمن بن أبزى(٢) يقول نعم العون على الدّين اليسار • وعن أبي ظبيان الأزدي قال قال لي عمر بن الخطاب ماما لك يا أبا ظبيان قال قلت أنا في ألفين وخمسمائة قال فاتخذ سائماً فانه يوشك ان يجيء أغيلمة من قريش يمنعون هذا العطاء • وعن ابن شهاب أن سليمان بن عبد الملك أخبره أن عبدالرحمن ابن هبيرة أخبره ان عبدالله ابن عمر ركب الغابة فمر على ابن هبيرة وهو في بيته فقال الا تركب معنا فركب معه حماراً فسرنا فسكت أحدث نفسي قال عبد الله بن عمر مالك قلت سكت أتمنى قال ابن عمر لو كان عندي احُد ذهباً اعلم عدده وأخرج زكاته ما كرهت ذلك اوماخشيت ان يضرني • وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رزق الدنيا على الاخلاص لله وحده وعبادته لاشريك له وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة مات والله عنه راض • وعن يوسف ابن اسباط قال قال لي سفيان الثوري لأن اخلّف عشرة آلاف درهم يحاسبني الله عليها أحب اليّ من ان احتاج الى الناس • وعن سعيد ابن الجهم الجيزي قال جمع عبدالرحمن بن شريح وعمرو بن الحارث الصفّ في المسجد فلما سلم الامام قال ابن شريح لعمرو بن الحارث ياابا امية ماتقول في رجل ورث مالا

(قف على قول ابن المسيب)

---

(١) السدوسي البصري ثقة مات سنة (١٥٥) هـ تقريب (٢) الخزاعي مولاهم صحابي هـ منه

حلالا فأراد ان يخرج من جميعه الى الله زهداً في الدنيا ورغبة فيما عنده قال لايفعل قال ابن شريح فقلت لعمرو سبحان الله لايفعل لايزهد في الدنيا فقال عمرو بن الحارث ما ادب الله به نبيه صلى الله عليه وسلم افضل من ذلك قال الله تبارك وتعالى « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً » ولكن يقدم بعضاً ويمسك بعضاً (قال ابو عمر) هذه الآثار كلها انما اوردناها هنا لئلا يظن ظان جاهل بما يقرأ في هذا الباب ان طلب المال من وجهه للكفاف والاستغناء عن الناس هو طلب الدنيا المكروه الممنوع منه فإنه ليس كذلك رحم الله أبا الدرداء حيث يقول من فقه الرجل المسلم استصلاحه معيشته . وقال أيضاً صلاح المعيشة من صلاح الدين وصلاح الدين من صلاح العقل . وقال الشاعر الحكيم

ألا عائذاً بالله من بطر الغنى ومن رغبة يوماً إلى غير مَرْغب

وعن علي بن أبي جَمْلة قال لما قفل الناس من القسطنطينية لقيت يحيي بن راشد أبا هشام الطويل فقال لي وجدت الدين الخير . قال ورأيت بلال بن أبي الدرداء أميراً على دمشق . وقال أبو الدرداء ليس من حبك الدنيا التماسك بما يصلحك منها . وكان يقول من فقهك عويمر اصلاحك معيشتك . وقال عمر بن الخطاب يا معشر القراء استبقوا الخيرات وابتغوا من فضل الله ولا تكونوا عيالا على الناس . ولقد أحسن منصور الفقيه في قوله وقد تنسب لغيره

أفضل من ركعتي قنوت ونيل حظٍ من السكوت ومن رجال بَنَوْا حصوناً
تصونهم داخل البيوت غدوُّ عبد إلى معاش يرجع منه بفضل قوت

وهذا مما لا خلاف فيه بين علماء المسلمين قديماً وحديثاً وقد اختلف الناس فى حدود الزهد والعبارة عنه بما يطول ذكره وأحسن ما قيل فيه قول ابن شهاب الزهد فى الدنيا أن لا يغلب الحرام صبرك ولا الحلال شكرك . وكان سفيان الثوري ومالك ابن أنس يقولان الزهد فى الدنيا قِصَر الامل . وعن ابراهيم بن الاشعث قال سألت فضيل بن عياض عن الزهد فقال الزهد القناعة وفيها الغنى قال وسألته عن الورع فقال اجتناب المحارم . والآثار عن السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من علماء المسلمين في فضل الصبر عن الدنيا والزهد فيها وفضل القناعة والرضا بالكفاف والاقتصار على ما يكفي دون التكاثر الذي يلهي ويطغي أكثر من أن يحيط بها كتاب أو يشتمل عليها باب والذين زوى الله عنهم الدنيا من الصحابة أكثر من الذين فتحها عليهم أضعافاً مضاعفة . وروينا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله عز وجل ليحمي عبده الدنيا كما يحمي أحدكم مريضه

(قف على قول ابن شهاب)

الطعام يشتهيه . وهذا والله أعلم نظرٌ منه عز وجل لذلك العبد فرب رجل كان الغنى سبب فسقه وعصيانه لربه وإتيانه كل محرميه ورب رجل كان الفقر سبب ذلك كله له وربما كان سبب كفره وتعطيل فرائضه وهما طرفان مذمومان عند العلماء . وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يدل على ذلك من قوله عليه السلام اللهم إني أعوذ بك من غنىً مبطر مطغٍ وفقرٍ منسٍ وكان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة . وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم اللهم إني أعوذ بك من الفقر والفاقة والقلة والذلة وأن أظلم أو أُظلم أو أجهل أو يجهل عليّ . وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم اللهم اني أسألك الهدى والتقى والعافية والغنى

والدليل على أن التقلل من الدنيا والاقتصاد فيها والرضا بالكفاف منها والاقتصار على ما يكفي ويغني عن الناس أفضل من الاستكثار منها والرغبة فيها وأقرب الى السلامة مارويناه بسندنا عن أسامة بن زيد (١) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قمت على باب الجنة فاذا عامة من دخلها المساكين واذا أصحاب الجدّ (٢) محبوسون الا أصحاب النار فقد أمر بهم الى النار وقمت على باب النار فاذا عامة من دخلها النساء . وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لَقِيدُ (٣) سوط أحدكم فى الجنة خير من الدنيا وما فيها . وروينا عن عبد الرحمن بن عوف (٤) انه لما حضرته الوفاة بكى بكاءً شديداً فقيل له ما يبكيك يا أبا محمد فقال كان مُصْعب بن عُمَير خيراً مني توفي ولم يترك ما يكفن فيه ولم توجد له إلا بردة كان اذا غطي بها رأسه بدت رجلاه واذا غطيت بها رجلاه بدا رأسه وبقيت بعده حتى أصبت من الدنيا وأصابت مني وما أحسبني الا سأحبس عن أصحابي بما فتح الله عليّ من ذلك وجعل يبكي حتى فاضت نفسه وفارق الدنيا رحمة الله عليه . وعن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الرزق ما يكفي وأفضل الذكر الخفي . وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً . وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أبشركم يامعشر الفقراء إن فقراء المؤمنين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم خمسمائة عام

فهذه الآثار تؤيد بعضها في فضل القناعة والرضى بالكفاف . وعن خولة بنت حكيم (٥)

---

(١) بن حارثه الكلبي الأمير الصحابي المشهور مات سنة ٥٤ هـ تقريب (٢) الجد معناه هنا الغنى لا يخاعون فيه هـ من الاصل (٣) أي قَدْر (٤) القرشي الزهري أحد العشرة أسلم قديماً ومناقبه شهيرة مات سنه ٣٢ هـ تقريب (٥) السلمية صحابية مشهورة هـ منه

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الدنيا خَضِرة حلوةٌ فمن أخذها بحقها بورك له فيها ورب متخوِّض في مال الله ورسوله له النار يوم يلقاه • وعن شقيق قال دخل معاوية على خاله أبي هاشم بن عتبة يعوده فبكى فقال له معاوية مايبكيك ياخالي أوجعٌ تجده أم حرص على الدنيا قال كلا ولكن النبي صلى الله عليه وسلم عهد اليّ فقال يا أبا هاشم انها لعلك تدركك أموال يؤتاها أقوام فانما يكفيك من المال خادم ومركب في سبيل الله وأراني قد جمعت • وعن بريدة الاسلمي (١) عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يكفي أحدكم من الدنيا خادم ومركب • وعن سعيد بن المسيب ان ابن مسعود وسعد بن مالك(٢) عادا سلمان قال فبكى فقالا له ما يبكيك قال عهدٌ عهد الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحفظه منا أحد قال ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب • أخذه أبو العتاهية فأحسن في قوله

إذا كنت في الدنيا بصيراً فإنما بلاغك منها مثل زاد المسافر

وعن ابراهيم بن سعد بن ابراهيم عن أبيه عن جده قال اتي عبد الرحمن بن عوف بطعام فقال قتل مصعب بن عمير وكان خيراً مني فلم يوجد له إلا بردة يكفّن بها وقتل حمزة أو رجل آخر قال ابراهيم أنا أشك وكان خيراً مني فلم يوجد له الا بردة يكفّن بها ما أظننا إلا قد عجلت لنا طيباتنا في حياتنا الدنيا وجعل يبكي

فإن ظن ظانّ جاهل أن الاستكثار من الدنيا ليس به بأس أو غاب عليه الجهل فظن ان ذلك افضل من طلب الكفاف منها وشبّه عليه بقول الله عز وجل « ووجدك عائلاً فأغنى » فيما عدّد الله عز وجل على النبي صلى الله عليه وسلم من نعمة عنده فإن ذلك ليس كما ظنّ وفي الآثار التي قدمنا ما يوضح لك أن الغِنى ليس ما ذهب اليه واحتسبه بل هو غنى القلب فمن وضع الله الغنى فى قلبه فقد أغناه وكان صلى الله عليه وسلم أغنى عباد الله قلباً • وقد روي عنه بذلك صلى الله عليه وسلم آثارٌ كثيرة تدل على ما قلنا منها ما رويناه بالسند عن أبي هريرة وأنس رضي الله عنهما قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العَرَض إنما الغنى غنى النفس • ولقد أحسن عثمان بن سعدان الموصلي فى نظمه معنى هذا الحديث حيث يقول

تقنع بما يكفيك واستعمل الرضا فإنك لا تدري أتصبح أم تمسي

فليس الغنى عن كثرة المال إنما يكون الغنى والفقر من قبل النفس

واخذه الخليل بن أحمد أيضاً فقال في جوابه سليمان بن حبيب بن المهلّب

---

(١) صحابي أسلم قبل بدر مات سنة ٦٣هـ تقريب (٢) هو أبو سعيد الخدري وتقدمت ترجمته

أبلغ سليمان أني عنه في سَعَةٍ ... وفي غنًى غير أني لست ذا مال
سخى بنفسي أني لا أرى احداً ... يموت هزلاً ولا يبقى على حال
الرزق عن قدَرٍ لا العجز ينقصه ... ولا يزيدك فيه جولُ محتال
والفقر في النفس لا في المال تعرفه ... كذا يكون الغنى في النفس لا المال

وقال بكر بن أبي أذينة

كم من فقير غني النفس تعرفه ... ومن غني فقير النفس مسكين

(قال ابو عمر) كان فضيل بن عياض رحمه الله يقول انما الفقر والغنى بعد العرض على الله أي ذلك هو الفقر حقاً وقال محمود الورّاق

الفقر في النفس وفيها الغنى ... وفي غنى النفس الغنى الأكبرُ
من كان ذا مال كثير ولم ... يقنع فذاك الموسر المعسر
وكل من كان قنوعاً وان ... كان مقلاً فهو المكثر

وقال أيضاً

غنى النفس يغنيها إذا كنت قانعاً ... وليس بمغنيك الكثير مع الحرص

وقال أبو حاتم اذا كان ما يكفيك لا يغنيك فليس شيء في الدنيا يغنيك • وقال أبو العناهية في هذا المعنى

إن كان لا يغنيك ما يكفيكا ... فكل ما في الارض لا يغنيكا

وقال

حسبك مما تبتغيه القوت ... ما أكثر القوت لمن يموت

وقال أبو فِراس الحمداني (١)

غنى النفس لمن يعقـ ... ـل خير من غنى المال
وفضل الناس في الأنفـ ... ـس ليس الفضل في الحال

(قف على كلام سيدنا سليمان بن داود)

وعن خيثمة قال قال سليمان بن داود عليهما السلام كل العيش جرّبناه لينه وشديده فوجدناه يكفي منه أدناه • وقال أيضاً أوتينا مما أوتي الناس وما لم يؤتوا وعُلّمنا مما علم الناس ومما لم يعلموا فلم نجد شيئاً أفضل من تقوى الله في السرّ والعلانية وكلمة العدل في الرضى والغضب والقصد في الفقر والغنى ولا يضر مع هذا مُلك • والكلام في هذا الباب وتقصّي القول والآثار فيه لا سبيل اليه لخروجنا بذلك عن تأليفنا وعما له قصدنا وإنما حملنا على أن عرّجنا على ذكرنا فيه المعنى الذي اعترضنا مما وصفنا وبالله التوفيق

---

(١) واسمه الحارث بن سعيد بن حمدان من افراد الدهر مات سنة ٣٤٧ هـ ابن خلكان

﴿ باب الخبر عن العلم أنه يقود الى الله عز وجل على كل حال ﴾

عن الربيع بن صبيح قال سمعت الحسن يقول كنا نطلب العلم للدنيا فجرّنا الى الآخرة . وعن عبد الرزاق قال سمعت معمراً يقول كان يقال من طلب العلم لغير الله يأبى عليه العلم حتى يصيره الى الله • وعن حبيب بن أبي ثابت قال طلبنا هذا الامر وليس فيه نية ثم جائت النية بعد • وعن وكيع بن الجراح يقول سمعت سفيان الثوري يقول كنا نطلب العلم للدنيا فجرّنا الى الآخرة . وعن أبي الوليد الطيالسي أنه سمع ابن عيينة منذ أكثر من ستين سنة يقول طلبنا هذا الحديث لغير الله فأعقبنا الله ما ترون . وقال الحسن لقد طلب أقوام هذا العلم ما أرادوا به الله وما عنده فما زال بهم حتى أرادوا به الله وما عنده

﴿ باب معرفة أصول العلم وحقيقته وما الذي يقع عليه اسم الفقه والعلم مطلقا ﴾

عن عبد الله بن عمرو بن العاصي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العلم ثلاثة فما سوى ذلك فهو فضلٌ آيةٌ محكمة وسنّةٌ قائمة وفريضةٌ عادلة • وعن سليمان بن محمد الخزاعي قال حدثنا هشام بن خالد أبو مروان القرشي قال حدثنا بقية عن ابن جريج عن عطاء عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فرأى جمعاً من الناس على رجل فقال ما هذا قالوا يارسول الله علّامة قال وما العلّامة قالوا أعلم الناس بأنساب العرب وأعلم الناس بعربية وأعلم الناس بشعر وأعلم الناس بما اختلف فيه العرب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا علم لا ينفع وجهل لا يضر . (قال أبو عمر) في اسناد هذا الحديث رجلان لا يحتج بهما وهما سليمان وبقية فان صح كان معناه أنه علم لا ينفع مع الجهل بالآية المحكمة والسنة القائمة والفريضة العادلة ولا ينفع في وجهٍ ما وكذلك لا يضر جهله في ذلك المعنى وشبهه وقد ينفع ويضر في بعض المعاني لان العربية والنسب عنصرا علم الادب

وعن عبد الله بن عمر قال العلم ثلاثة أشياء كتاب ناطق وسنة ماضية ولا أدرى • وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انما الأمور ثلاثة أمر تبيّن لك رشده فاتبعه وأمر تبين لك زيغه فاجتنبه وأمر اختلف فيه فكله الى عالمه . وعن كثير بن عبد الله ابن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم • وعن أبي نضرة

الغِفَاري (١) عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سألت ربي ألا تجتمع أمتي على ضلالة فأعطانيها • وفي كتاب عمر بن عبد العزيز الى عروة كتبت تسألني عن القضاء بين الناس وإن رأس القضاء اتباع مافي كتاب الله ثم القضاء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بحكم ائمة الهدى ثم استشارة ذوي العلم والرأي • وعن سفيان بن عيينة قال كان ابن شُبْرُمَة يقول

مافي القضاء شفاعة لمخاصم عند اللبيب ولا الفقيه العالم
أهونْ علي إذا قضيت بسنة أوبالكتاب برغم انف الراغم
وقضيت فيما لم أجد أثراً به بنظائر معروفة ومعالم

وعن ابن وهب قال قال لي مالك الحكم الذي يحكم به بين الناس حكمان مافي كتاب الله أو احكمته السنة فذلك الحكم الواجب لك الصواب والحكم الذي يجتهد فيه العالم رأيه فلعله يوفّق وثالث متكلف فما أحْراه ألاّ يوفّق

وقال مالك الحكمة والعلم نور يهدي به الله من يشاء وليس بكثرة المسائل • وقال ابن وهب في موضع آخر سمعت مالكاً يقول ليس الفقه بكثرة المسائل ولكن الفقه يؤتيه الله من يشاء من خلقه • قال ابن وضّاح وسئل سحنون أيسع العالم أن يقول لا أدري فيما يدري فقال أما ما في كتاب قائم أو سنة ثابتة فلا يسعه ذلك وأما ما كان من هذا الرأي فانه يسعه ذلك لأنه لا يدري أمصيب هو أم مخطئ • وذكر ابن وهب في كتاب العلم من جامعه قال سمعت مالكا يقول ان العلم ليس بكثرة الرواية ولكنه نور جعله الله في القلوب • وعن عون بن عبد الله قال قال عبد الله بن مسعود ليس العلم عَنْ كثرة الحديث (٢) انما العلم خشية الله . وعن ابي فرارة قال قال ابن عباس انما هو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فمن قال بعد ذلك شيئاً برأيه فما أدري أفي حسناته يجده ام في سيئاته • وعن المزني والربيع بن سليمان قالا قال الشافعي ليس لأحد أن يقول في شئ حلال ولا حرام الا من جهة العلم وجهة العلم ما نص في الكتاب او في السنة أو في الاجماع فإن لم يوجد في ذلك فالقياس على هذه الأصول ما في معناها (٣) (قال ابو عمر) أما الأجماع فمأخوذ من قول الله « ومن يتبع غير سبيل المؤمنين » لأن الاختلاف لا يصح معه هذا الظاهر وقول النبي صلى الله عليه وسلم

(قف على قول الشافعي)

---

(١) واسمه حُمَيْل وقيل جميل والاول أصح صحابي سكن مصر وبها توفي ه تقريب وأسد الغابة (٢) وفي رواية بكثرة الرواية (٣) هذه العبارة في أول كتاب الام للإمام الشافعي أنظر صحيفة ١٨ من رسالة الإمام الشافعي المطبوعة بمصر سنة ١٣١٥

لا تجتمع امتي على ضلالة وعندي ان إجماع الصحابة لايجوز خلافهم والله اعلم لأنه لايجوز على جميعهم جهل التأويل وفي قول الله تعالى « وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً لتكونوا شهداء على الناس » دليل على ان جماعتهم إذا اجتمعوا حجة على من خالفهم كما ان الرسول حجة على جميعهم ودلائل الاجماع من الكتاب والسنة كثير ليس كتابنا هذا موضعاً لتفصيلها وبالله التوفيق

وقال محمد بن الحسن العلم على أربعة أوجه ما كان في كتاب الله الناطق وما أشبهه وماكان في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم المأثورة وما أشبهها وما كان فيما أجمع عليه الصحابة رحمهم الله وما أشبهه وكذلك ما اختلفوا فيه لايخرج عن جميعه فاذا وقع الاختيار فيه على قول فهو علم نقيس عليه ما أشبهه وما استحسنه عامة فقهاء المسلمين وما أشبهه وكان نظيراً له (قال) ولا يخرج العلم عن هذه الوجوه الاربعة (قال أبو عمر) قول محمد بن الحسن وما أشبهه يعني ما أشبه الكتاب وكذلك قوله في السنة واجماع الصحابة يعني ما أشبه ذلك كله فهو القياس المختلف فيه في الاحكام وكذلك قول الشافعي أوكان في معنى الكتاب والسنة هو نحو قول محمد بن الحسن ومراده من ذلك القياس عليها وليس هذا موضع القول في القياس وسنفرد لذلك باباكافياً في كتابنا ان شاء الله وانكار العلماء للاستحسان أكثر من انكارهم للقياس وليس هذا موضع بيان ذلك

وعن أبي هريرة أنه قال يارسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة قال لقد ظننت ياأباهريرة انه لايسئلني عن هذا الحديث أحد أوّل منك لما رأيت من حرصك على الحديث إن أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لاإله الا الله خالصاً من قبل نفسه • وفي رواية عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا ردّ اليك ربك في الشفاعة فقال والذي نفس محمد بيده لقد ظننت أنك أول من يسئلني عن ذلك لما رأيت من حرصك على العلم وذكر الحديث (قال ابو عمر) في الخبر الأول لما رأيت من حرصك على الحديث وفي هذا لما رأيت من حرصك على العلم فسمّى الحديث علماً على الاطلاق ومثل ذلك قوله صلى الله عليه وسلم نضّر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها ثم بلغها غيره فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه فسمّى الحديث فقهاً مطلقاً وعاماً وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم لعبدالله بن عمرو بن العاصي اذ أذن له ان يكتب حديثه قيّد العلم فقال له يارسول الله وما تقييده قال الكتاب فأطلق على حديثه اسم العلم لمن تدبره وفهمه

وعن أُبي بن كعب (١) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا المنذر أيّ آية

(١) الانصاري الخزرجي سيد القرّاء ومن اعيان الصحابة يكنى أبا المنذر مات سنة ١٩

معك في كتاب الله اعظم مرتين قال قلت « الله لا إله الا هو الحي القيوم » قال فضرب في صدري وقال ليهنك بالعلم ابا المنذر وذكر تمام الحديث ٠ وعن داود بن ابي عاصم (١) ان ابا سلمة بن عبدالرحمن قال بينا انا وأبو هريرة عند ابن عباس جاءته امرأة فقالت توفي عنها زوجها وهي حامل فذكرت انها وضعت لأدنى من اربعة اشهر من يوم مات عنها زوجها فقال ابن عباس أنت لآخر الأجلين قال ابو سلمة فقلت إن عندي من هذا علماً وذكر حديث سبيعة الاسلمية (٢)٠ وعن ابن عباس ان عمر بن الخطاب حين خرج إلى الشام فأخبر ان الوباء وقع فيها واختلف عليه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء عبد الرحمن بن عوف فقال ان عندي من هذا علماً سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم به بأرض وذكر الحديث (٣) ٠ وعن عطاء ابن ابي رباح في قول الله عز وجل « فإن تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول » قال الى الله الى كتاب الله والى الرسول قال مادام حياً فاذا قبض قال سنته . وعن عبدالواحد بن سليمان قال سمعت ابن عون يقول ثلاث أحبهن لي ولإخواني هذا القرآن يتدبره الرجل ويتفكر فيه فيوشك ان يقع على علم لم يكن يعلمه وهذه السنة يتطلبها ويسئل عنها ويذر الناس الا من خير . قال احمد بن خالد هذا هو الحق الذي لاشك فيه . قال وكان ابن وضاح يعجبه هذا الخبر ويقول جيد جيد . وكان يحيي بن اكثم (٤) يقول ليس من العلوم كلها علم هو واجب على العلماء وعلى المتعلمين وعلى كافة المسلمين من علم ناسخ القرآن ومنسوخه لأن الأخذ بناسخه واجب فرضاً والعمل به واجب لازم ديانة والمنسوخ لا يعمل به ولا ينتهى اليه فالواجب على كل عالم علم ذلك لئلا يوجب على نفسه وعلى عباد الله امراً لم يوجبه الله اويضع عنهم فرضاً اوجبه الله . وعن عطاء في قوله عز وجل « اطيعوا الله واطيعوا الرسول » قال اطاعة الله ورسوله اتباع الكتاب والسنة « واولي الامر منكم » قال أولي العلم

وقيل اكثم تقريب (١) ابن عروة بن مسعود الثقفي المكي ثقة اه منه

(٢) وقد ذكر هذا الحديث البخاري في صحيحه في باب « وأولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن » واليك نص بعض طرقه ٠ حدثنا يحى بن بكير عن الليث عن يزيد أن ابن شهاب كتب اليه أن عبيد الله بن عبدالله أخبره عن أبيه أنه كتب الى ابن الأرقم أن يسأل سبيعة الاسلميه كيف أفتاها النبي صلى الله عليه وسلم فقالت أفتاني اذا وضعت أن أنكح هـ

(٣) تمة الحديث كما في البخاري . فلا تقدموا عليه واذا وقع بأرض وانتم بها فلا تخرجوا فراراً منه اه (٤) التميمي المروزي القاضي المشهور فقيه صدوق مات سنة ٢٤٢هـ تقريب

والفقه . وعن جابر بن عبد الله قال اولي الخير . وعن بقية بن الوليد قال قال لي الأوزاعي يابقية العلم ماجاء عن اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ومالم يجيء عن اصحاب محمد فليس بعلم يابقية لاتذكر احداً من اصحاب محمد نبيك صلى الله عليه وسلم الا بخير ولا احداً من امتك واذا سمعت احداً يقع في غيره فاعلم انه انما يقول انا خير منه . وعن قتادة في قوله عزوجل « ويرى الذين اوتوا العلم الذي انزل اليك من ربك هو الحق » قال اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم . وعن ابن المسيب انه سئل عن شيء فقال اختلف فيه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ارى لي معهم قولا . قال ابن وضاح هذا هو الحق (قال ابو عمر) معناه ليس له ان يأتي بقول يخالفهم به . وعن سعيد بن جبير قال مالم يعرف البدريون فليس من الدين . وعن ابن عباس في قول الله عز وجل « كنتم خير أمة اخرجت للناس » قال هم الذين هاجروا مع محمد صلى الله عليه وسلم . وعن عبدالله بن الزبير قال أنا والله لمع عثمان بالجحفة ومعه رهط من أهل الشام وفيهم حبيب بن مسلمة الفهري إذ قال عثمان وذكر له التمتع بالعمرة الى الحج أن أتموا الحج وخلصوه فى أشهر الحج فلو أخرتم هذه العمرة حتى تزوروا هذا البيت زورتين كان أفضل فإن الله قد وسع في الخير فقال له علي عمدت الى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورخصة رخص للعباد بها في كتابه تضيق عليهم فيها وتنهى عنها وكانت لذي الحاجه ولنائي الدار ثم أهل بعمرة وحجة معاً فأقبل عثمان على الناس فقال وهل نهيت عنها اني لم أنه عنها انما كان رأيا أشرت به فمن شاء أخذ به ومن شاء تركه قال فما أنسى قول رجل من أهل الشام مع حبيب بن مسلمة أنظر الى هذا كيف يخالف أمير المؤمنين والله لو أمرني لضربت عنقه قال فرفع حبيب يده فضرب بها في صدره وقال اسكت فض الله فاك فان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم بما يختلفون فيه . وعن ابن جريج قال سئل عطاء عن المستحاضة فقال تصلي وتصوم وتقرأ القرآن وتستثفر بثوب ثم تطوف فقال له سليمان بن موسى أيحل لزوجها أن يصيبها قال نعم قال سليمان أرأي أم علم قال بل سمعنا انها اذا صامت وصلت حل لزوجها أن يصيبها . وعن ابن جريج قال سألت عطاء عن رجل غريب قدم في غير أشهر الحج معتمراً ثم بدا له أن يحج في أشهر الحج أيكون متمتعاً قال لايكون متمتعاً حتى يأتي من ميقاته في أشهر الحج قلت أرأي أم علم قال بل علم . وعن ابن سيرين أنه سئل عن المتعة بالعمرة الى الحج قال كرهها عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان فان يكن علماً فهما اعلم مني وان يكن رأيا فرأيهما أفضل . وعن الاعمش قال سمعت أبا وائل شقيق بن سلمة يقول لما

كان يوم صِفّين وحكم الحكمان سمعت سهل بن حنيف(١) يقول يا أيها الناس اتهموا رأيكم فلقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أبي جندل ولو نستطيع ان نردّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم امره لرددناه وذكر الحديث . وعن طلق بن غنام(٢) قال ابطأ حفص بن غياث في قضية فقلت له فقال انما هو رأي ليس فيه كتاب ولا سنة وانما أحزّ في لحمي فما عجلتي. وعن احمد بن محمد بن هانئ ابي بكر الاثرم(٣) قال سمعت اباعبدالله يعني احمد بن حنبل وقد عاوده السائل في عشرة دنانير ومائة درهم فقال ابو عبدالله برأي استعفي منها واخبرك ان فيها اختلافا وان من الناس من قال يزكي كل نوع على حدة ومنهم من يرى ان يجمع بينهما وتلح عليّ تقول فما تقول انت فيها وما عسى ان اقول فيها انا استعفي منها كلٌّ قد اجتهد فقال له رجل ولابدّ أن نعرف مذهبك في هذه المسألة لحاجتنا اليها فغضب وقال اي شئ بدٌّ اذا هاب الرجل شيئاً ايحمل على ان يقول فيه ثم قال قال فإنما هو رأي وانما العلم ماجاء من فوق ولعلنا ان نقول القول ثم نرى بعده غيره ثم ذكر ابو عبدالله حديث عمرو بن دينار عن جابر بن زيد انه قيل له يكتبون رأيك قال تكتبون ما عسى ان ارجع عنه غدا قال ابو بكر الأثرم ولم يزل به السائل حتى جعل يجنح لقول من لا يرى الجمع بينهما وكأني رأيت مذهبه ان يزكي كل نوع منهما على حدته

وذكر اسماعيل القاضي قال قال محمد بن مسلمة على الحاكم الاجتهاد فيما يجوز فيه الرأي وليس أحد في رأي على حقيقة انه الحق وإنما حقيقته الاجتهاد . وعن معن بن عيسى قال سمعت مالك بن أنس يقول انما أنا بشر أخطئ وأصيب فانظروا في رأيي فكلما وافق الكتاب والسنة فخذوا به وكلما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه . وعن مطرّف قال سمعت مالكا يقول قال لي ابن هرمز لا تمسك على شيء مما سمعت مني من هذا الرأي فإنما أفتجرته أنا وربيعة فلا تمسك . وعن ابن أبجر قال قال لي الشعبي ما حدّثوك عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخذ به وما قالوا فيه برأيهم فبل عليه . وعن عاصم الاحول قال كان ابن سيرين اذا سئل عن شيء قال ليس عندي فيه إلا رأي أتهمه فيقال له قل فيه على ذلك برأيك فيقول لو أعلم ان رأيي يثبت لقلت فيه ولكني أخاف ان أرى اليوم رأياً وأرى غداً غيره فأحتاج ان أتبع الناس في دورهم . وعن خالد بن ابي عمران (٤) عن

(١) الانصاري الأوسي صحابي بدري استخلفه عليّ على البصرة ومات في خلافته ه تقريب

(٢) النخعي الكوفي ثقة مات سنة ٢١١ ه منه (٣) ثقة حافظ مات سنة ٢٧٣ ه منه

[٤] التجيبي قاضي افريقية فقيه صدوق مات سنة ١٢٥ وقيل أكثر ه تقريب

سالم بن عبدالله بن عمر أن رجلا سأله عن شيء فقال له سالم لم اسمع في هذا بشيء قال له الرجل إني ارضى برأيك فقال له سالم لعلي أخبرك برأيي ثم تذهب فأرى بعدك رأياً آخر غيره فلا أجدك • وعن عبدالله بن عمرو أنه كان اذا سئل عن شيء لم يبلغه فيه شيء قال ان شئتم أخبرتكم بالظن • وقد تقدم ذكر قول أبي السمح رحمه الله انه سيأتي على الناس زمان يسمّن الرجل راحلته ثم يسير عليها حتى تهزل يلتمس من يفتيه بسنة فلا يجد الا من يفتيه بالظن . وروي عن مالك رحمه الله انه كان يقول إن نظن إلا ظناً وما نحن بمستيقنين • وذكر خالد بن الحارث(١) عن عبيدالله بن الحسن العنبري قاضي البصرة ومفتيها (٢) انه قال في نفقة الولد البالغ المدرك انه لا تلزم الوالد قيل له افيعطيهم الوالد من زكاة ماله قال انما قولي لا تلزمه نفقتهم رأي ولا ادري لعله خطأ واكره ان يغرّ بزكاته فيعطيها ولده الكبار وهو يجد موضعاً لا شك فيه • وعن عطاء عن ابيه قال سئل بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء فقال اني لأستحي من ربي ان اقول في أمة محمد برأيي • قال عطاء واضعف العلم ايضاً علم النظر أن يقول الرجل رأيت فلاناً يفعل كذا ولعله قد فعله ساهياً . ومن فصل لابن المقفّع (٣) في اليتيمة قال ولعمري ان لقولهم ليس الدين خصومة اصلا يثبت وصدقوا ما الدين بخصومة ولو كان خصومة لكان موكولاً الى الناس يثبتونه بآرائهم وظنهم وكل موكول الى الناس رهينة ضياع وما ينقم على اهل البدع إلا أنهم اتخذوا الدين رأياً وليس الرأي ثقة ولا حتماولم يجاوز الرأي منزلة الشك والظن إلا قريباً ولم يبلغ ان يكون يقيناً ولا ثبتا ولستم سامعين أحداً يقول لأمر قد استيقنه وعلمه أرى انه كذا وكذا فلا أجد أحداً أشد استخفافاً بدينه ممن اتخذ رأيه ورأي الرجال ديناً مفروضاً (قال أبو عمر) الى هذا المعنى والله أعلم أشار مصعب الزبيري في قوله

(قف على قول ابن المقفع)

فأترك ما علمت لرأي غيري وليس الرأي كالعلم اليقين

وهي أبيات كثيرة أنشدها مصعب ثم ذكر ابن أبي خيثمة أنها شعره وسنذكر الابيات بتمامها في باب ما تكره فيه المناظرة والجدال من هذا الكتاب ان شاء الله

ولا أعلم بين متقدمي علماء هذه الامة وسلفها خلافاً ان الرأي ليس بعلم حقيقة • وأفضل ما روي عنهم في الرأي انهم قالوا نعم وزير العلم الرأي الحسن

(قف على أن الرأي ليس بعلم)

---

(١) ابن عُبَيْد الهجيمي البصري ثقة مات سنة ١٨٦ هـ تقريب (٢) ثقة فقيه مات سنة ١٦٨ هـ منه (٣) واسمه عبدالله الكاتب المشهور الحكيم البليغ كان مجوسياً وأسلم قتله المنصور العباسي سنة ١٤٢ وقيل أكثر هـ بن خلكان

وأما أصول العلم فالكتاب والسنة وتنقسم السنة قسمين أحدهما إجماع تنقله الكافة عن الكافة فهذا من الحجج القاطعة للأعذار اذا لم يوجد هناك خلاف ومن رد إجماعهم فقد رد نصاً من نصوص الله يجب استتابته عليه وإراقة دمه إن لم يتب لخروجه عما أجمع عليه المسلمون وسلوكه غير سبيل جميعهم • والضرب الثاني من السنة خبر الآحاد الثقات الأثبات المتصل الاسناد فهذا يوجب العمل عند جماعة علماء الامة الذين هم الحجة والقدوة ومنهم من يقول إنه يوجب العلم والعمل جميعاً وللكلام في ذلك موضع غير هذا

وعن مورّق العجلي(١) قال قال عمر بن الخطاب تعلموا الفرائض والسنة كما تتعلمون القرآن • وعن عبيدالله بن عمرو قال قال لي اسحق بن راشد كان الزهري إذا ذكر أهل العراق ضعّف علمهم فقلت له إن بالكوفة مولى لبني أسد يعني الأعمش يروي اربعة آلاف حديث قال أربعة آلاف حديث قلت نعم إن شئت حدثتك ببعض حديثه أو قال ببعض علمه قال فجيء به فجئت به فلما قرأه قال والله ان هذا لَعِلْم وما كنت أرى ان بالعراق أحداً يعلم هذا. وعن محمد قال قال شريح إنما أقتفي الأثر فما وجدت في الأثر حدثتكم به •

وعن عمر بن عبد العزيز أنه كتب الى الناس أنه لا رأي لأحد مع سنة سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم • وعن محمد بن عبد العزيز بن أبي رِزمة (٢) قال سمعت عبدان بن عثمان يقول سمعت ابن المبارك يقول ليكن الأمر الذي تعتمدون عليه هذا الأثر وخذوا من الرأي ما يفسر لكم الحديث . وعن سفيان انما الدين بالآثار . وأنشد عبدالله بن أحمد بن حنبل عن أبيه

(قف على ماكتبه عمر ابن عبدالعزيز)

دين النبي محمد أخبارُ   نعم المطية للفتى آثار
لا ترغبن عن الحديث وأهله   فالرأي ليل والحديث نهار
ولربما جهل الفتى أثر الهدى   والشمس بازغة لها أنوار

وقال بشر بن السري السقطي نظرت في العلم فاذا هو الحديث والرأي فوجدت في الحديث ذكر النبيين والمرسلين وذكر الموت وذكر ربوبية الرب وجلاله وعظمته وذكر الجنة والنار وذكر الحلال والحرام والحث على صلة الأرحام وجماع الخير ونظرت في الرأي فاذا فيه المكر والخديعة والتشاحّ واستقصاء الحق والمماكسة في الدين واستعمال الحيل والبعث على قطع الأرحام والتجرّي على الحرام • وعن محمد بن سِيرِين قال كانوا يرون أنهم على الطريق ما داموا على الأثر. وقد زدنا هذا المعنى بياناً في باب الرأي وقلت أنا

«١» البصري ثقة عابد مات بعد المائة هـ تقريب «٢» المروزي ثقة مات سنة ٢٤١ هـ منه

مقالة ذي نصح وذات فوائد　　اذا من ذوي الالباب كان استماعها
عليكم بآثار النبي فانها　　من أفضل اعمال الرشاد اتباعها

وعن أبي بكر الهذلي قال قال لي الزهري ياهذلي يعجبك الحديث قلت نعم قال أما انه يعجب ذكور الرجال ويكرهه مؤنثوهم ٠ وذكر أبو جعفر الطبري في التاريخ الكبير أنه بلغه عن المبارك الطبري أنه سمع أبا عبيدالله الوزير يقول سمعت أبا جعفر المنصور يقول للمهدي يا أبا عبدالله لا تجلس وقتاً الا ومعك من اهل العلم من يحدثك فإن محمد بن شهاب الزهري قال الحديث ذكر ولا يحبه الا ذكور الرجال وصدق أخو زهرة٠ وعن أيوب السختياني قال قلت لعثمان البتي دلني على باب من أبواب الفقه قال اسمع الإختلاف ٠وعن أبي أسامة قال سمعت سفيان الثوري يقول إنما العلم عندنا الرخصة من ثقة فأما التشديد فيحسنه كل أحد٠وروي مثله عن معمر أيضاً ٠ وعن عبد الباري بن اسحق بن أخي ذي النون عن عمه أبي الفيض ذي النون بن ابراهيم أنه سمعه يقول من اعلام البصر بالدين معرفة الأصول لتسلم من البدع والخطأ والأخذ بالأوثق من الفروع احتياطا لتأمن ٠ وعن أبي القاسم عبيد الله بن عمر بن أحمد قال ان من حق البحث والنظر الاضراب عن الكلام في فروع لم تحكم أصولها والتماس ثمرة لم تغرس شجرتها وطلب نتيجة لم تعرف مقدماتها (قال أبو عمر)ولقد أحسن القائل

(قف على قول ذي النون)

وكل علم غامض رفيع　　فإنه بالموضع المنيع
لايرتقى إليه إلا عن درج　　من دونها بحر طموح ولجج
ولا ينال ذروة الغايات　　إلا عليم بالمقدمات

وقال صالح بن عبد القدوس

لن تبلغ الفرع الذي رمته　　إلا بحث منك عن أسه

وقال الأصمعي سمعت اعرابيا يقول إذا ثبتت الأصول في القلوب نطقت الألسن بالفروع والله يعلم أن قلبي لك شاكر،ولساني لك ذاكر،وهيهات أن يظهر الود المستقيم من القلب السقيم

﴿ باب العبارة عن حدود علم الديانات وسائر العلوم المنتحلات عند جميع أهل المقالات ﴾

(قال ابو عمر) حد العلم عند العلماء المتكلمين في هذا المعنى هو ما استيقنته وتبينته وكل من استيقن شيئاً وتبينه فقد علمه وعلى هذا من لم يستيقن الشيء وقال به تقليداً

فلم يعلمه والتقليد عند جماعة العلماء غير الإتباع لأن الاتباع هو أن تتبع القائل على مابان من فضل قوله وصحة مذهبه والتقليد أن تقول بقولةٍ وانت لاتعرفها ولاوجه القول ولا معناه وتأبى من سواه أو أن يتبين لك خطأه فتتبعه مهابة خلافه وأنت قد بان لك فساد قوله وهذا محرمٌ القول به في دين الله سبحانه . والعلم عند غير أهل اللسان العربي فيما ذكروا يجوز أن يترجم باللسان العربي ويترجم معرفة ويترجم فهماً

والعلوم تنقسم قسمين ضروري ومكتسب فحد الضروري ما لايمكن العالم أن يشكك فيه نفسه ولا يدخل فيه على نفسه شبهة ويقع له العلم بذلك قبل الفكرة والنظر ويدرك ذلك من جهة الحس والعقل كالعلم باستحالة كون الشيء متحركا ساكناً أو قائماً قاعداً أومريضاً صحيحاً في حال واحدة. ومن الضروري أيضاً وجه آخر يحصل بسبب من جهة الحواس الخمس كذوق الشيء يعلم به المرارة والحلاوة ضرورة اذا سلمت الجارحة من آفة وكرؤية الشيء يعلم بها الألوان والاجسام وكذلك السمع يدرك به الأصوات . ومن الضروري أيضاً علم الناس أن في الدنيا مكة والهند ومصر والصين وبلداناً عرفوها وأمماً قد خلت

وأما العلم المكتسب فهو ماكان طريقه الاستدلال والنظر ومنه الخفي والجلي فما قرب من العلوم الضرورية كان أجلى وما بعد منها كان أخفى . والمعلومات على ضربين شاهد وغائب فالشاهد مما علم ضرورة والغائب مما علم بدلالة الشاهد

والعلوم عند جميع أهل الديانات ثلاثة علم أعلى وعلم أسفل وعلم أوسط (فالعلم الأعلى) عندهم علم الدين الذي لايجوز لأحد الكلام فيه بغير ما أنزله الله في كتبه وعلى ألسنة أنبيائه صلوات الله عليهم نصًّا (والعلم الأوسط) هو معرفة علوم الدنيا التي يكون معرفة الشيء منها بمعرفة نظيره ويستدل عليه بجنسه ونوعه كعلم الطب والهندسة (والعلم الأسفل) هو احكام الصناعات وضروب الأعمال مثل السباحة والفروسية والرمي والتزويق والخط وما أشبه ذلك من الأعمال التي هي أكثر من أن يجمعها كتاب أو يأتي عليها وصف وإنما تحصل بتدريب الجوارح فيها وهذا التقسيم في العلوم كذلك هو عند أهل الفلسفة إلا أن العلم الأعلى عندهم هو علم القياس في الامور العلوية التي ترتفع عن الطبيعة والفلك مثل الكلام في حدوث العالم وزمانه والتشبيه ونفيه وأمور لايدرك شيء منها بالمشاهدة ولا بالحواس قد أغنت عن الكلام فيها كتب الله الناطقة بالحق المنزلة بالصدق وما صح عن الأنبياء صلوات الله عليهم . ثم العلم الأوسط والأسفل عندهم على ماذكرناعن أهل الأديان الا أن العلم الأوسط ينقسم عندهم على أربعة أقسام هي كانت عندهم رؤس العلوم وهي علم الحساب والتنجيم والطب وعلم الموسيقي ومعناه تأليف اللحون وتعديل الأصوات

ووزن الأنقار واحكام صنوف الملاهي

وأما علم الحساب فالصحيح عندهم منه معرفة العدد والضرب والقسمة والتسمية وإخراج الجذور ومعرفة جمل الأعداد ومعنى الخط والدائرة والنقطة واخراج الأشكال بعضها من بعض وما شا كل ذلك والحساب علم لا يكاد يستغني عنه ذو علم من العلوم .

(قف على أن الحساب لا يستغني عنه عالم)

وأما التنجيم فثمرته وفائدته عند جميع أهل الاديان جرية الفلك ومسير الدراري ومطالع البروج ومعرفة ساعة الليل والنهار وقوس الليل من قوس النهار في كل بلد وفي كل يوم وبُعد كل بلد من خط الاستواء ومن المجرّ الشمالي والأفق الشرقي والغربي ومولد الهلال وظهوره واطلاع الكوكب للأنواء وغيرها ومغيبها واستقامتها وأخذها في الطول والعرض وكسوف الشمس والقمر ووقته ومقداره في كل بلد ومعنى سنيّ الشمس والقمر وسنيّ الكواكب

ومن أهل العلم من ينكر شيئاً مما وصفنا أنه لا يعلم أحد بالنجامة شيئاً من الغيب ولا علمه أحد قط علماً صحيحاً الا أن يكون نبيّاً خصه الله بما لا يجوز ادراكه قالوا ولا يدعي معرفة الغيب بها اليوم على القطع الا كل جاهل منقوص مفتر متخرص اذ في إقدارهم أنه لا يمكن تحديثها الا في أكثر من عمر الدنيا ما يكذبهم في كل ما يدعون معرفته بها . والمتخرصون بالنجامة كالمتخرصين بالعيافة والزجر وخطوط الكف والنظر في الكتف وفي مواضع قرض الفار وما شا كل ذلك مما لا تقبله العقول ولا يقوم عليه برهان ولا يصح من ذلك كله شيء لأن ما يدركون منه يخطؤن في مثله مع فساد أصله وفي ادراكهم الشيء وذهاب مثله أضعافاً ما يدلك على فساد ما زعموه ولا صحيح على الحقيقة الا ما جاء في اخبار الأنبياء صلوات الله عليهم • فعن أبي بصرة قال قال عمر تعلموا من النجوم ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر ثم أمسكوا (١) وعن العباس بن عبد المطلب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد طهّر الله هذه الجزيرة من الشرك إن لم تضلّهم النجوم • وعن أبي محجن قال أشهد على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال أخاف على أمتي بعدي ثلاثاً حيف الائمة وإيمان بالنجوم وتكذيب بالقدر

وأما الطب فلفهم طبائع نبات الارض وشجرها ومياهها ومعادنها وجواهرها وطعومها وروايحها ومعرفة العناصر والأركان وخواص الحيوان وطبائع الأبدان والغرائز والأعضاء والآفات العارضة وطبائع الازمان والبلدان ومنافع الحركة والسكون وضروب المداواة والرفق والسياسة فهذا هو العلم الثاني الأوسط وهو علم الأبدان والعلم الأول الأعلى علم الاديان والعلم الثالث الأسفل ما دُرّبت على عمله الجوارح كما قدمنا ذكره

---

(١) المراد أن يمسك المرء عن الاعتقاد بتأثير النجوم كما يدل عليه ما روي عن العباس الخ

واتفق أهل الاديان أن العلم الاعلى هو علم الدين واتفق أهل الاسلام أن الدين تكون معرفته على ثلاثة أقسام (اولها) معرفة خاصة الايمان والاسلام وذلك معرفة التوحيد والاخلاص ولا يوصل الى علم ذلك الا بالنبي صلى الله عليه وسلم فهو المؤدي عن الله والمبين لمراده وبما في القرآن من الامر بالاعتبار في خلق الله بالدلائل من آثار صنعته في بريته على توحيده وأزليته سبحانه والاقرار والتصديق بكل ما في القرآن وبملائكة الله وكتبه ورسله (والقسم الثاني) معرفة مخرج خبر الدين وشرائعه وذلك معرفة النبي صلى الله عليه وسلم الذي شرع الله الدين على لسانه ويده ومعرفة أصحابه الذين أدوا ذلك عنه ومعرفة الرجال الذين حملوا ذلك وطبقاتهم الى زمانك ومعرفة الخبر الذي يقطع العذر لتواتره وظهوره وقد وضع العلماء في كتب الاصول من تلخيص وجوه الاخبار ومخارجها ما يكفي الناظر فيه ويشفيه وليس هذا موضع ذكر ذلك (والقسم الثالث) معرفة السنن واجبها وآدابها وعلم الاحكام وفي ذلك يدخل خبر الخاصة العدول ومعرفته ومعرفة الفريضة من النافلة ومخارج الحقوق والتداعي ومعرفة الاجماع من الشذوذ قالوا ولا يوصل الى الفقه إلا بمعرفة ذلك وبالله التوفيق

قال أبو اسحق الحوفي العلوم ثلاثة علم دنياوي وعلم دنياوى وأخروي وعلم لا للدنيا ولا للآخرة فالعلم الذي للدنيا علم الطب والنجوم وما أشبه ذلك والعلم الذي للدنيا والآخرة علم القرآن والسنن والفقه فيهما والعلم الذي ليس للدنيا ولا للآخرة علم الشعر (١) والشغل به

﴿ باب مختصر في مطالعة كتب أهل الكتاب والرواية عنهم ﴾

عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج. وعن عمرو بن يحيى بن جعدة قال أتي النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب في كتف فقال كفى بقوم حمقا أو ضلالة أن يرغبوا عما جاءهم به نبيهم الى نبي غير نبيهم أو كتاب غير كتابهم فأنزل الله عز وجل « أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم » الآية • وعن أبي نملة الانصاري (٢) أنه قال بينا أنا جالس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءه رجل من اليهود فقال يا محمد هل تتكلم هذه الجنازة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أعلم فقال اليهودي أنا أشهد أنها تتكلم فقال رسول

---

(١) لاشك أن الشعر الذي عابه هو الشعر الذي لا ثمرة له أو قصد به سوى العلوم والحق وان كان هناك شعر له قيمة عالية وبهذا يزاح شيء كثير مما يعاب وذلك بحسب الثمرة والاستعمال

(٢) صحابي قال الواقدي اسمه عمار وقال ابن سعد عمرو وقال غيرهما عمارة شهد احدا اه تقريب

الله صلى الله عليه وسلم ماحدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا « آمنا بالله وكتبه ورسله » فإن كان حقا لم تكذبوهم وان كان باطلا لم تصدقوهم • وعن ابن عباس قال كيف تسئلوهم عن شيء وكتاب الله بين أظهركم • وعن عطاء بن يسار قال كانت يهود يحدثون أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيسبحون كأنهم يتعجبون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوهم ولا تكذبوهم « وقولوا آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل اليكم وإلهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون » وعن حريث بن ظُهَيْر قال قال عبد الله لا تسئلوا أهل الكتاب عن شيء فانهم لن يهدوكم وقد أضلوا أنفسهم فتكذبون بحق أو تصدقون بباطل. وفي رواية إن كنتم سائليهم لامحالة فانظروا ماواطأ كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه • وعن عمر بن الخطاب عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ذكره قال والذي نفس محمد بيده لو أصبح فيكم موسى فاتبعتموه وتركتموني لضللتم إنكم حظي في الأمم وأنا حظكم من النبيين • وعن ابن عباس قال كيف تسئلون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزله الله على نبيه صلى الله عليه وسلم بين أظهركم أحدث الكتب عهدا بربه غضاً لم يُشَب ألم يخبركم الله في كتابه أنهم قد غيروا كتاب الله وبدّلوه وكتبوا الكتاب بأيديهم فقالوا هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً ألا ينهاكم العلم الذي جاءكم عن مسئلتهم والله مارأينا رجلا منهم قط يسئلكم عما أنزل الله اليكم

وعن جابر أن عمر بن الخطاب أتى النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب أصابه من بعض اهل الكتاب فقال يارسول الله اني أصبت كتابا حسنا من بعض أهل الكتاب قال فغضب وقال أمتهوّكون فيها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية لا تسئلوهم عن شيء فيحدثونكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حياً ما وسعه الآن يتبعني • وقال عمر بن الخطاب لكعب ان كنت تعلم انها التوراة التي انزلها الله على موسى بن عمران فاقرأها آناء الليل والنهار

﴿ باب من يستحق أن يسمى فقيها أو عالما حقيقة لامجازاً ﴾
(ومن يجوز له الفتيا عند العلماء)

عن ابن مسعود قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعبد الله بن مسعود قلت لبيك يارسول الله قال أتدري أي الناس أفضل قلت الله ورسوله أعلم قال فإن أفضل الناس أفضلهم عملا اذا فقهوا دينهم قال ياعبد الله بن مسعود قلت لبيك يارسول الله قال أتدري أي الناس أعلم قلت الله ورسوله أعلم قال أعلم الناس ابصرهم بالحق اذا اختلف

الناس وان كان مقصراً في العمل وان كان يزحف على استه . قال ابو يوسف وهذه صفة الفقهاء . وعن ابن مسعود قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعبدالله بن مسعود قلت لبيك يارسول الله ثلاث مرات او قال أتدري أي عرى الإيمان اوثق قال قلت الله ورسوله اعلم قال الولاية في الله الحبّ فيه والبغض فيه ثم قال ياعبد الله بن مسعود قلت لبيك يارسول الله ثلاث مرات قال اتدري ايّ الناس افضل قال قلت الله ورسوله اعلم قال ان افضل الناس افضلهم عملا اذا فقهوا في دينهم ثم قال ياعبدالله بن مسعود قلت لبيك يارسول الله ثلاث مرار قال اتدري اي الناس اعلم قال قلت الله ورسوله اعلم قال اعلم الناس ابصرهم بالحق اذا اختلف الناس وان كان مقصراً في العمل . وعن ابي مرحوم المليكي قال سمعت أمّ الدرداء تقول افضل العلم المعرفة . ومن هنا اخذ الشاعر قوله والله اعلم

خيرنا افضلنا معرفة وإذا ما عُرف الله عبد

وعن حسان بن عطية قال ما زاد الله عبداً بالله علماً الا ازداد الناس منه قرباً . وكان الحسن البصري كثيراً ما يتمثل بهذا البيت

يسرّ الفتى ماكان قدّم من تقى اذا عرف الداء الذي هو قاتله

وعن مجاهد في قوله عز وجل « وما خلقت الجن والانس الاّ ليعبدون » قال الاّ ليعرفون وقال ابن جريج الا ليعلموا ما جبلتهم عليه من الشقوة والسعادة

حدثناعبدالرحمن بن يحيي ويحيي بن عبدالرحمن قالا حدثنا احمد بن سعيد قال حدثنا محمد بن زبان قال حدثنا الحرث بن مسكين قال حدثنا ابن وهب قال اخبرني عقبة عن نافع عن اسحق ابن اسيد عن أبي مالك وأبي اسحق عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا انبئكم بالفقيه كل الفقيه قالوا بلى قال من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤيسهم من روح الله ولم يؤمنهم من مكر الله ولا يدع القرآن رغبة عنه الى ما سواه ألا لا خير في عبادة ليس فيها تفقهٌ ولا علم ليس فيه تفهم ولا قراءة ليس فيها تدبر . (قال أبو عمر) لايأتي هذا الحديث مرفوعاً الا من هذا الوجه واكثرهم يوقفونه على عليّ . وقيل للقمان ايّ الناس أغنى قال من رضي بما أوتي قالوا فأيهم اعلم قال من ازداد من علم الناس الى علمه . وعن كعب ان موسى قال يارب أي عبادك أعلم قال عالم غرثان العلم قال ابن وهب يريد الذي لا يشبع من العلم . وعن عمر مولى غُفرة ان موسى قال يارب اي عبادك اعلم قال الذي يلتمس علم الناس الى علمه . وقال عبد الله بن مسعود كفى بخشية الله علماً وكفى بالإغترار بالله جهلا

حدثنا خلف بن القاسم حدثنا ابو محمد سعيد بن احمد بن جعفر الفهري حدثنا عبد الله بن ابي مريم قال حدثنا عمر بن ابي سلمة التنيسي قال حدثنا صدقة بن عبدالله عن ابراهيم بن ابي بكرعن أبان بن ابي عياش عن ابي قلابة عن شدّاد بن أوس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يفقه العبد كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله ولا يفقه العبد كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوهاً كثيرة قال ابو عمر) في سندالحديث صدقة بن عبد الله وهو يعرف بالسمين هو ضعيف عندهم مجتمع على ضعفه وهذا حديث لايصح مرفوعاً وانما الصحيح فيه انه من قول ابي الدرداء .فعن ابي قلابة عن ابي الدرداء قال ان تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً كثيرة ولن تفقه كل الفقه حتى تمقت الناس في ذات الله ثم تقبل على نفسك فتكون لها اشد مقتاً منك للناس . وعن محمدبن عبيد بن حماد بن زيد قال قلت لأيوب أرأيت قوله حتى ترى للقرآن وجوهاً كثيرة فسكت يتفكر قلت أهو ان يرى له وجوهاً فهاب الإقدام عليه قال هو هذا هو هذا . وعن أيوب قال قال إياسُ بن معاوية (١) انه لتأتيني القضية أعرف لها وجهين فأيهما أخذت به عرفت اني قضيت بالحق . وعن قتادة قال من لم يعرف الاختلاف لم يشم الفقه بأنفه . وعن يزيد بن زُرَيع (٢) قال سمعت سعيد بن أبي عروبة (٣) يقول من لم يسمع الاختلاف فلا تعدّه عالماً .وقال محمد بن عيسى سمعت هشام بن عبيد الله الرازي يقول من لم يعرف اختلاف القراء فليس بقارئ ومن لم يعرف اختلاف الفقهاء فليس بفقيه. وعن عطاء قال لاينبغي لأحد أن يفتي الناس حتى يكون عالماً باختلاف الناس فإن لم يكن كذلك ردّ من العلم ما هو أوثق من الذي في يديه

وكان ابو أيوب السختياني يقول أجسر الناس على الفتيا أقلّهم علماً باختلاف العلماء وأمسك الناس عن الفتيا أعلمهم باختلاف العلماء قال وقال ابن عيينة العالم الذي يعطي كل شيءٍ حقه . وعن الحارث بن يعقوب قال إن الفقيه كل الفقيه من فقه في القرآن وعرف مكيدة الشيطان . وعن ابن القاسم قال سئل مالك قيل له لمن تجوز الفتوى فقال لاتجوز الفتوى إلا لمن علم ما اختلف الناس فيه قيل له اختلاف أهل الرأي قال لا إختلاف أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الناسخ والمنسوخ من القرآن ومن حديث الرسول عليه السلام وكذا يفتي . وقال عبد الملك بن حبيب سمعت ابن الماجشون يقول

قف على قول ابن عيينة

---

(١) المزني البصري القاضي المشهور بالذكاء مات سنة ١٢٢هـ منه (٢) ثقة ثبت مات سنة ١٨٢ هـ تقريب (٣) البصري ثقة لكنه كثير التدليس مات سنة ١٥٦ هـ منه

كانوا يقولون لا يكون إماماً في الفقه من لم يكن اماماً في القرآن والآثار ولا يكون اماماً في الآثار من لم يكن اماماً في الفقه . قال وقال لي ابن الماجشون كانوا يقولون لا يكون فقيهاً في الحادث من لم يكن عالماً بالماضي . وعن علي بن الحسين بن شقيق قال سمعت عبد الله بن المبارك يسئل متى يسع الرجل أن يفتي قال اذا كان عالماً بالأثر بصيراً بالرأي . وعن محمد بن المنكدر «١» قال ما كنا ندعو الرواية الا رواية الشعر وما كنا نقول هذا يروي أحاديث الحكمة الا عالم . وقال عبدالرحمن بن مهدي لا يكون اماماً في الحديث من تتبع شواذ الحديث أو حدّث بكل ما يسمع أو حدّث عن كل أحد . وقال يحي بن سلام لا ينبغي لمن لا يعرف الاختلاف أن يفتي ولا يجوز لمن لا يعلم الاقاويل أن يقول هذا أحب اليّ . وعن عباس الدوري (٢) قال سمعت قبيصة بن عقبة (٣) يقول لا يفلح من لا يعرف اختلاف الناس

(قف على ما قاله ابن الماجشون)

وعن النضر بن شميل «٤» قال سمعت الخليل بن احمد يقول الرجال أربعة فرجل يدري ويدري أنه يدري فذلك عالم فاتّبعوه وسلوه ورجل لا يدري ويدري أنه لا يدري فذلك جاهل فعلموه ورجل يدري ولا يدري أنه يدري فذلك غافل فنبهوه ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري فذلك مائق فاحذروه . وعن عبد الرحمن بن مهدي قال لا يكون اماماً في العلم من أخذ بالشاذ من العلم ولا يكون اماماً في العلم من روى عن كل أحد ولا يكون اماماً في العلم من روى كل ما سمع . وروى مالك بن أنس عن سعيد بن المسيب بلغه عنه أنه كان يقول ليس من عالم ولا شريف ولا ذي فضل الا وفيه عيب ولكن من كان فضله اكثر من نقصه ذهب نقصه لفضله كما انه من غلب عليه نقصانه ذهب فضله . وقال غيره لا يسلم العالم من الخطأ فمن اخطأ قليلا واصاب كثيراً فهو عالم ومن اصاب قليلا واخطأ كثيراً فهو جاهل . وقال مالك بن انس رحمه الله لا يؤخذ العلم عن اربعة سفيه معلن السفه وصاحب هوىً يدعو اليه ورجل معروف بالكذب في احاديث الناس وان كان لا يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجل له فضل وصلاح لا يعرف ما يحدث به . وقد ذكرناهذا الخبر عن مالك من طرق في كتاب التمهيد فأغنى عن ذكره هنا وأشرنا إليه في هذا الباب لأنه منه . وعن ابي حيان التيمي «٥» قال العلماء ثلاثة عالم بالله وبأمر الله

(قف على قول مالك)

---

(١) التيمي المدني ثقة فاضل مات سنة ١٣٠ هـ منه (٢) البغدادي ثقة حافظ مات سنة ٢٧١ هـ تقريب (٣) السُّوائي الكوفي صدوق مات سنة ٢١٥ هـ منه (٤) المازني النحوي ثقة ثبت مات سنة ٢٠٤هـ منه (٥) واسمه يحي بن سعيد ثقة عابد مات سنة ١٤٥ هـ منه

وعالم بالله وليس بعالم بأمر الله وعالم بأمر الله وليس بعالم بالله فأما العالم بالله وبأمره فذلك الخائف لله العالم بسنته وحدوده وفرائضه واما العالم بالله وليس بعالم بأمر الله فذلك الخائف لله وليس بعالم بسنته ولاحدوده ولا فرائضه واما العالم بأمر الله وليس بعالم بالله فذلك العالم بسنته وحدوده وفرائضه وليس بخائف له. وعن عطاء في قوله «انما يخشى الله من عباده العلماء» قال من خشي الله فهو عالم. وروي عن ابن مسعود انه كان يقرأ «انما يخشى الله من عباده العلماء به» وكذلك في مصحفه. وعن ابي قلابة قال العلماء ثلاثة رجل عاش بعلمه ولم يعش الناس معه به ورجل عاش الناس بعلمه ولم يعش هو به ورجل عاش بعلمه وعاش الناس به معه. وعن مجاهد قال الفقيه من خاف الله. وعن سليمان ابن موسى قال يجلس الى العالم ثلاثة رجل يأخذ كل ماسمع ورجل لايحفظ شيئاً وهو جليس العالم ورجل ينتقي وهو خيرهم قال واذا كان علم الرجل حجازياً وخلقه عراقياً وطاعته شامية يعني أنه الرجل. وعنه قال يجلس الى العالم ثلاثة رجل يكتب كل مايسمع فذلك كحاطب ليل ثم ذكر مثله الا انه قال اذا كان فقه الرجل حجازيا وأدبه عراقياً فقد كمل. الى ههنا انتهى حديثه ولم يقل وطاعته شامية

﴿ باب ما يلزم العالم اذا سئل عما لايدريه من وجوه العلم ﴾

عن ابن عمر قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أيّ البقاع خير قال لاأدري فقال أي البقاع شر قال لاأدري قال سل ربك فأتاه جبريل صلى الله عليه وسلم فقال ياجبريل اي البقاع خير قال لاأدري قال أي البقاع شر قال لا أدري فقال سل ربك فانتفض جبريل انتفاضة كاد يصعق منها محمد صلى الله عليه وسلم وقال ما أسأله عن شيءٍ فقال الله جل وعزّ لجبريل سئلك محمد اي البقاع خير فقلت لا أدري وسألك أي البقاع شر فقلت لا أدري فأخبره ان خير البقاع المساجد وان شر البقاع الاسواق

وعن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أحب البلاد الى الله مساجدها وابغض البلاد إلى الله اسواقها. وعنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما ادري اعزير نبي ام لا وما أدري أتبّع ملعون أم لا. وعن عبد الرزاق عن معمر عن ابن أبي ذئب عن المقبُري عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أدري تبّع لعينٌ أم لا وما أدري ذوالقرنين نبي أم لا وما أدري الحدود كفارات لأهلها أم لا. زعم الدارقطني أنه انفرد عبد الرزاق بهذا الاسناد (قال أبو عمر) حديث عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم فيه أن الحدود كفارة وهو أثبت وأصحّ إسناداً من حديث أبي هريرة

هذا . فمن عبادة قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تبايعوني على أن لاتشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولاتزنوا فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به فهو كفارة له ومن أصاب من ذلك شيئا فستره الله عليه فهو إلى الله ان شاء الله عذبه وان شاء غفرله . وعن ابن سيرين قال لم يكن أحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم أهيب لما يعلم من أبي بكر وعمر وإن أبا بكر نزلت به قضية فلم يجد في كتاب الله منها أصلا ولا في السنة أثراً فاجتهد رأيه ثم قال هذا رأيي فأن يكن صوابا فمن الله وإن يكن خطأً فمني واستغفر الله . وعن مسروق عن عبد الله مسعود أنه سمعه يقول أيها الناس من علم منكم شيئا فليقل ومن لم يعلم فليقل لما لايعلم ألله أعلم فإن من علم المرء أن يقول لما لايعلم ألله أعلم وقد قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم «قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين» إنَّ قريشا لمّا أبطئوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاسلام وذكر الحديث . وسئل الشعبي عن مسألة فقال هي زَبَّاءُ هَلْبَاءُ (١) ذات وَبَر لا أُحسنها ولوألقيت على بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لأعضلت به وإنما نحن فى العُنُوق «٢» واسنا في النوق فقال له أصحابه قد استحيينا لك مما رأينا منك فقال لكن الملائكة المقربين لم تستحي حين قالت «لا علم لنا إلا ماعلّمتنا»

وعن ابن مسعود قال إن من العلم أن تقول لما لا تعلم ألله أعلم قال الله تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم «قل ماأسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين» وعن أبي بكر الصديق انه قال أيّ سماء تظلني وأي أرض تقلّني إذا قلت في كتاب الله بغير علم . وعن علي بن أبي طالب أنه قال أي أرض تقلني وأي سماء تظلني إذا قلت في كتاب الله مالا أعلم وعن نافع عن ابن عمر أنه سئل عما لايعلم فقال لاأدري فلما ولّى الرجل قال نعمّا قال عبد الله ابن عمر سئل عما لايعلم فقال لاعلم لي به . وقال ابن وهب وسمعت مالكا يحدث عن عبد الله بن يزيد بن هرمز قال إني لأحب أن يكون من بقايا العالم بعده لاأدري ليأخذ به من بعده . وعن مجاهد قال سئل ابن عمر عن فريضة من الصلب فقال لا أدري فقيل له مايمنعك أن تجيبه فقال سئل ابن عمر عما لايدري فقال لاأدري . وعن أيوب قال تكاثر الناس على القاسم ابن محمد[٣] يوماً بمنى فجعلوا يسألونه فيقول لاأدري ثم قال إنا والله مانعلم كل مايسألونا عنه ولو

---

(١) قال في القاموس الزّبّاء من الدواهي الشديدة وهُلْبة هَلْباء داهية دهياء هـ

(٢) جمع عَناق وهي الانثى من المعز وهذه الجملة مَثلٌ يُضرب فى الضيق بعد السعة هـ منه

(٣) بن ابي بكر الصديق التيمي ثقة إمام وأحد فقهاء المدينة مات سنة ١٠٦هـ تقريب

علمنا ما كتمنا كم ولاحلّ لنا أن نكتمكم • وعن عبد الملك بن ابي سليمان قال سئل سعيد بن جبير عن شيء فقال لاأعلم ثم قال ويلٌ للذي يقول لما لا يعلم إني أعلم • وذكر الشعبي عن علي رضي الله عنه أنه خرج عليهم وهو يقول ماأبردها على الكبد فقيل له وما ذلك قال أن تقول للشيء لاتعامه الله أعلم • وعن يحيي بن سعيد عن القاسم قال ياأهل العراق إنا والله لانعلم كثيراً مما تسئلونا عنه ولئن يعيش المرء جاهلا لايعلمماافترض عايه خير له من أن يقول على الله ورسوله مالايعلم • وعن ابن عون قال كنت عند القاسم بن محمد إذ جاءه رجل فسأله عن شيء فقال القاسم لاأحسنه فجعل الرجل يقول اني دُفعت اليك لاأعرف غيرك فقال القاسم لاتنظر الى طول لحيتي وكثرة الناس حولي والله ماأحسنه ففال شيخ من قريش جالس الى جنبه يابن أخي الزمها فوالله مارأيتك في مجلس أنبل منك اليوم ففال القاسم والله لأن تقطع لساني أحب الي من أن أتكلم بما لا علم لي به

(قف على قول القاسم بن محمد)

وعن ابن وهب قال سمعت مالكا يقول سأل عبد الله بن نافع أيوب السختياني عن شيء فلم يجبه فقال لا أراك فهمت ماسألتك عنه قال بلى قال فلم لا تجيبني قال لاأعلمه • وعن أحمد بن سنان قال سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول كنا عند مالك بن أنس فجاءه رجل فقال ياأبا عبدالله جئتك من مسيرة ستة أشهر حماني أهل بلدي مسئلة أسألك عنها قال فسل فسأله الرجل عن المسألة فقال لا أحسنها قال فبهت الرجل كأنه قد جاء الى من يعلم كل شيء فقال أي شيء أقول لاهل بلدي اذا رجعت اليهم قال تقول لهم قال مالك لا أحسن هذه المسألة • وذكر ابن وهب أيضاً في كتاب المجالس قال سمعت مالكاً يقول ينبغي للعالم أن يألف فيما أشكل عليه قول لا أدري فإنه عسى أن يهيأ له خير • قال ابن وهب وكنت أسمعه كثيراً ما يقول لا أدري • وقال في موضع آخر لو كتبنا عن مالك لا أدري لملأنا الألواح قال ابن وهب وسمعت مالكا وذكر قول القاسم بن محمد لأن يعيش المرء جاهلا خير من أن يقول على الله ما لا يعلم ثم قال هذا أبو بكر الصديق وقد خصه الله بما خصه به من الفضل يقول لا أدري (قال ابن وهب) وحدثني مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم امام المسلمين وسيد العالمين يسئل عن الشيء فلا يجيب حتى يأتيه الوحي • وذكر عبد الرحمن بن مهدي عن مالك بعض هذا وفي روايته هذه الملائكة قد قالت « لا علم لنا » وعن عبد الرزاق قال قال مالك كان ابن عباس يقول اذا أخطأ العالم لا أدري أصيبت مقاتله . وعن مالك بن أنس يقول سمعت ابن عجلان يقول اذا أغفل العالم لا أدري أصيبت مقاتله . وعن عقبة بن مسلم قال صحبت ابن عمر أربعة وثلاثين شهراً فكان كثيراً ما يسئل فيقول لا أدري ثم يلتفت إليّ فيقول أتدري ما يريد هؤلاء

يريدون أن يجعلوا ظهورنا جسراً الى جهنم • وقال أبو الدرداء قول الرجل فيما لا يعلم لا أعلم نصف العلم وقال الراجز

فان جهلتَ ما سئلت عنهُ ولم يكن عندك علم منـه
فلا تقل فيـه بغـير فهم إن الخطا مزرٍ بأهل العلم
وقل اذا أعياك ذاك الأمر مالي بما تسئل عنه خُبْرُ
فذاك شطر العلم عند العاما كذاك مازالت تقول الحكما

وقال غيره

إذا ما قتلتَ الأمر علماً فقل به وإياك والأمر الذي أنت جاهله

وعن أبي الذيال قال تعلّم لا أدري ولا تعلم أدري فإنك ان قلت لا ادري علّموك حتى تدري وإن قلت أدري سألوك حتى لا تدري • وعن ابن مسعود قال إن من يفتي الناس في كل ما يستفتونه لمجنون قال الأعمش فـذكرت ذلك للحكم بن عتيبة فقال لو سمعت هذا منك قبل اليوم ماكنت أفتي في كل ما أفتي • وعن نعيم بن حماد قال كان ابن عيينة يقول أجسر الناس على الفتيا أقلهم علماً • وقد أفردنا بابا في تدافع الفتوى وذم من سارع اليها يأتي في موضعه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى

﴿باب اجتهاد الرأي على الاصول عند عدم النصوص في حين نزول النازلة﴾

عن معاذ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعثه الى اليمن قال له كيف تصنع إن عرض لك قضاء قال أقضي بما في كتاب الله قال فإن لم يكن في كتاب الله قال فبسـنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فإن لم يكن في سنة رسول الله قال اجتهد رأيي لا آلو قال فضرب بيده في صدري وقال الحمد لله الذي وفّق رسول رسول الله لما يرضاه رسول الله • وعن شُرَيح ان عمر كتب إليه إذا أتاك أمر فاقض فيه بما في كتاب الله فإن أتاك ما ليس في كتاب الله فاقض بما سن فيـه رسول الله فإن أتاك ما ليس في كتاب الله ولم يسن فيه رسول الله فاقض بما اجتمع عليه الناس فإن أتاك ما ليس في كتاب الله ولم يسنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتكلم فيه أحد فأيّ الامرين شئت فخذ به هكذا قال وفي رواية فإن شئت أن تجتهد رأيك فتقدّم وإن شئت ان تتأخر فتأخر وما أرى التأخير إلا خيراً لك • وعن عبد الرحمن بن يزيد قال أكثر الناس يوماً على عبدالله يسألونه فقال يا أيها الناس انه قد أتى علينا زمان ولسنا نقضي ولسنا هنالك فمن ابتُلي بقضاء بعد اليوم فليقض بما في كتاب الله فان أتاه ما ليس في كتاب الله ولم يقل فيه نبيّه فليقض بما قضى به الصالحون فان أتاه أمر لم يقض به الصالحون وليس في كتاب الله ولم يقض فيـه نبيه

فليجتهد رأيه ولا يقول اني أرى وأخاف فإن الحلال بيّن والحرام بيّن وبين ذلك أمور مشتبهات فدعوا ما يريبكم لما لا يريبكم (قال ابو عمر) هذا يوضح لك ان الاجتهاد لا يكون الا على أصول يضاف اليها التحليل والتحريم وأنه لا يجتهد الا عالم بها ومن أشكل عليه شيء لزمه الوقوف ولم يجز له أن يحيل على الله قولاً في دينه لا نظير له من أصل ولا هو في معنى أصل وهو الذي لا خلاف فيه بين أئمة الامصار قديماً وحديثاً فتدبره • وعن الشعبي قال لما بعث عمر شريحاً على قضاء الكوفة قال له انظر ما تبيّن لك في كتاب الله فلا تسأل عنه أحداً وما لم يتبين لك في كتاب الله فاتبع فيه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما لم يتبين لك في السنة فاجتهد رأيك • وعن عبدالله بن مسعود قال من عرض له قضاء فليقض بما في كتاب الله فان جاء ما ليس في كتاب الله فليقض بما قضى به نبيه صلى الله عليه وسلم فان جاءه أمر ليس في كتاب الله ولم يقض به نبيه صلى الله عليه وسلم فليقض بما قضى به الصالحون فان جاءه أمر ليس في كتاب الله ولم يقض به نبيه صلى الله عليه وسلم ولم يقض به الصالحون فليجتهد رأيه فليقرّ ولا يستحي • وهذا أوضح بياناً فيما ذكرنا لقوله فان لم يحسن ومن لا علم له بالأصول فمعلوم انه لا يحسن .
وعن عبدالله بن أبي يزيد قال سمعت ابن عباس اذا سئل عن شيء فان كان في كتاب الله قال به فان لم يكن في كتاب الله وكان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال به فان لم يكن في كتاب الله ولا عن رسول الله وكان عن أبي بكر وعمر قال به فان لم يكن في كتاب الله ولا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن أبي بكر وعمر اجتهد رأيه •
وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كنا اذا أتانا الثبْت عن علي لم نعدل به. وعن مسروق قال سألت أبيّ بن كعب عن شيء فقال أكان هذا قلت لا قال فأجمّنا حتى يكون فاذا كان اجتهدنا لك رأينا. وروينا عن ابن عباس انه ارسل الى زيد بن ثابت أفي كتاب الله ثلث ما بقي فقال زيد انما اقول برأيي وتقول برأيك • وعن ابن عمر انه سئل عن شيء فعله ارأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل هذا أو شيء رأيته قال بل شيء رأيته • وعن ابي هريرة أنه كان إذا قال في شيء برأيه قال هذه من كَيْسي • وعن ابن مسعود أنه قال في غير ما مسئلة أقول فيها برأيي • وعن ابي الدرداء أنه كان يقول إياكم وفراسة العلماء إحذروا أن يشهدوا عليكم شهادة تكبكم على وجوهكم في النار فوالله إنه الحق يقذفه الله في قلوبهم ويجعله على أبصارهم • وقد روي مرفوعا إياكم وفراسة العلماء فانهم ينظرون بنور الله

وعن محمد بن عبد السلام الخشني عن ابراهيم بن ابي الفياض البرقي عن سليمان بن بديع الاسكندراني عن مالك بن انس عن يحيي بن سعيد الانصاري عن سعيد بن المسيب

عن علي ابن أبي طالب قال قلت يارسول الله الأمر ينزل بنا لم ينزل فيه قرآن ولم تمض منك فيه سنة قال اجمعوا له العالمين او قال العابدين من المؤمنين فاجعلوه شورى بينكم ولا تقضوا فيه برأي واحد قال الخشني كتبت عن الرياشي هذا الحديث • وعن موسى ابن الحسن بن موسى الكوفي عن ابراهيم البرقي عن سليمان بن بديع عن مالك بن أنس عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب عن علي بن أبي طالب قال قلت يارسول الله الامر ينزل بعدك لم ينزل به القرآن ولم نسمع منك فيه شيئا قال اجمعوا له العابدين من المؤمنين واجعلوه شورى بينكم ولا تقضوا فيه برأي واحد (قال ابو عمر) هذا حديث لا يعرف من حديث مالك الا بهذا الاسناد ولا اصل له في حديث مالك عندهم ولا في حديث غيره وابراهيم البرقي وسليمان بن بديع ليسا بالقويين ولا ممن يحتج به ولا يعول عليه .

وعن عمر انه قال لعلي وزيد لولا رأيكما اجتمع رأيي ورأي ابي بكر كيف يكون ابني ولا اكون اباه يعني الجد • وعن عمر انه لقي رجلا فقال ماصنعت فقال قضى عليٌّ وزيد بكذا فقال لو كنت انا لقضيت بكذا قال فما يمنعك والامر اليك قال لو كنت اردك الى كتاب الله اوالى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لفعلت ولكني اردك الى رأي والرأي مشترك فلم ينقض ما قال علي وزيد وهذا كثير لا يحصى • وعن عبيدة قال قال علي اجتمع رأيي ورأي عمر على عتق امهات الاولاد ثم رأيت بعدُ ان أرقّهن فقلت له ان رأيك ورأي عمر في الجماعة أحب الى من رأيك وحده في الفرقة • وقال ابن وهب عن ابن لهيعة ان عمر بن عبدالعزيز استعمل عروة بن محمد السعدي من بني سعد بن بكر وكان من صالحي عمال عمر بن عبد العزيز على اليمن وانه كتب الى عمر يسئله عن شيء من امر القضاء فكتب اليه عمر لعمري ما انا بالنشيط على الفتيا ماوجدت منها بدًّا وما جعلتك الا لتكفيني وقد حملتك ذلك فاقض فيه برأيك • وقال عبدالله بن مسعود ماراه المؤمنون(١) حسناً فهو عند الله حسن وما رآه المؤمنون قبيحا فهو عندالله قبيح.وعن الجديدي ان ابا سامة بن عبدالرحمن قال للحسن ارأيت ما تفتي به الناس أشيءٌ سمعته ام برأيك فقال الحسن لا والله ما كل ما نفتي به الناس سمعناه ولكن رأينا لهم خير من رأيهم لأنفسهم.وعن عبد الله بن

(قف على حرص السلف في اجتماع الكلمة)

---

(١) قال الله تعالى « انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وَجِلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً وعلى ربهم يتوكلون » وقال « قد افلح المؤمنون الذينهم في صلاتهم خاشعون والذينهم عن اللغو معرضون والذينهم للزكوة فاعلون والذينهم لفروجهم حافظون » الى آخر الآيات الواردة بذلك فهؤلاء هم المؤمنون الذين يعنيهم ابن مسعود وكلامه فيهم

الحارث الجُمَحي قال كان ربيعة في صحن المسجد جالساً فجاز ابن شهاب داخلاً من باب دار مروان بحذاء المقصورة يريد ان يسلّم على النبي صلى الله عليه وسلم فعرض له ربيعة فلقيَه فقال له يا ابا بكر الا تسخر بهذه المسائل فقال وما اصنع بالمسائل فقال اذا سئلت عن مسئلة فكيف تصنع قال أحدّث فيها بما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم فإن لم يكن عن النبي صلى الله عليه وسلم فمن اصحابه رضي الله عنهم فإن لم يكن عن اصحابه اجتهدت رأيي ثم قال ماتقول في مسئلة كذا وكذا فقال حدثني فلان عن فلان عن النبي صلى الله عليه وسلم كذا وكذ فقال ربيعة طلبت العلم غلاما ثم سكنتَ به اداما قال لي علي بن يحيي واداما ضيعة لابن شهاب على نحو ثمان ليال

(قف على قول محمد بن الحسن) وقال محمد بن الحسن من كان عالماً بالكتاب والسنة وبقول اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما استحسن فقهاء المسلمين وسعه ان يجتهد رأيه فيما ابتلي به ويقضي به ويمضيه في صلاته وصيامه وحجه وجميع ماامر الله به ونهى عنه فاذا اجتهد ونظر وقاس على ماشبه ولم يألُ وسِعه العمل بذلك وان اخطأ الذي ينبغي ان يقول به

(قف على قول الشافعي) وقال الشافعي لايقيس الا من جمع آلات القياس وهي العلم بالأحكام من كتاب الله فرضه وأدبه وناسخه ومنسوخه وعامه وخاصه وارشاده وندبه ويستدل على ما احتمل التأويل منه بسنن الرسول صلى الله عليه وسلم وباجماع المسلمين فاذا لم تكن سنة ولا اجماع فالقياس على كتاب الله فان لم يكن فالقياس على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن لم يكن فالقياس على قول عامة السلف الذين لا يعلم لهم مخالفاً ولا يجوز القول في شيء من العلم الا من هذه الأوجه أو من القياس عليها ولا يكون لأحد أن يقيس حتى يكون عالماً بما مضى قبله من السنن وأقاويل السلف وإجماع الناس واختلافهم ولسان العرب ويكون صحيح العقل حتى يفرّق بين المشتبه ولا يعجل بالقول ولا يمتنع من الإستماع ممن خالفه لأن له في ذلك تنبيهاً على غفلة ربما كانت منه أو تنبيهاً على فضل ما اعتقد من الصواب وعليه بلوغ غاية جهده والإنصاف من نفسه حتى يعرف من أين قال مايقوله (قال) فإذا قاس من له القياس واختلفوا وسع كلا أن يقول بمبلغ اجتهاده ولم يسعه اتباع غيره فيما أدّاه اليه اجتهاده • والاختلاف على وجهين فما كان منصوصاً لم يحلّ فيه الاختلاف وما كان يحتمل التأويل أو يدرك قياساً فذهب المتأوِّل أو القائس إلى معنى يحتمل وخالفه غيره لم أقل انه يضيق عليه ضيق الاختلاف في المنصوص (قال أبو عمر) قد أتى الشافعي في هذا الباب بما فيه كفاية وشفاء وهذا باب يتسع فيه القول جداً وقد ذكرنا منه كفاية وقد جاء عن الصحابة رضي الله عنهم من اجتهاد الرأي والقول بالقياس على الاصول عند عدمها مايطول ذكره وسترى منه مايكفي

في كتابنا هذا ان شاء الله

وممن حُفظ عنه أنه قال وأفتى مجتهداً برأيه وقائساً على الاصول فيما لم يجد فيه نصاً من التابعين فمن أهل المدينة • سعيد بن المسيب • وسليمان بن يسار • والقاسم بن محمد • وسالم بن عبد الله بن عمر • وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة • وأبو سلمة بن عبد الرحمن • وخارجة بن زيد • وأبو بكر بن عبد الرحمن • وعروة بن الزبير . وأبان بن عثمان • وابن شهاب • وأبو الزناد • وربيعة • ومالك • وأصحابه . وعبد العزيز بن أبي سلمة • وابن أبي ذئب

ومن أهل مكة واليمن . عطاء • ومجاهد • وطاوس . وعكرمة . وعمرو بن دينار . وابن جريج . ويحيى بن أبي كثير . ومعمر بن راشد . وسعيد بن سالم . وابن عيينة . ومسلم ابن خالد . والشافعي

ومن أهل الكوفة . علقمة والأسود . وعبيدة . وشريح القاضي . ومسروق . ثم الشعبي . وابراهيم النخعي وسعيد بن جبير . والحارث العكلي . والحكم ابن عتيبة . وحماد ابن أبي سليمان . وأبو حنيفة وأصحابه . والثوري . والحسن بن صالح . وابن المبارك . وسائر فقهاء الكوفيين

ومن أهل البصرة الحسن وابن سيرين وقد جاء عنهما وعن الشعبي ذمّ القياس ومعناه عندنا قياس على غير أصل لئلا يتناقض ماجاء عنهم . وجابر بن زيد أبو الشعثاء . وإياس بن معاوية . وعثمان البتّي . وعبيد الله بن الحسن • وسوّار القاضي

ومن أهل الشام مكحول . وسليمان بن موسى . والأوزاعي • وسعيد بن عبد العزيز . ويزيد بن جابر

ومن أهل مصر يزيد بن أبي حبيب . وعمرو بن الحارث . والليث بن سعد . وعبد الله بن وهب . وسائر أصحاب مالك . ابن القاسم • وأشهب • وابن عبد الحكم • ثم أصبغ • وأصحاب الشافعي • المزني • والبويطي • وحرملة • والربيع

ومن أهل بغداد وغيرهم من الفقهاء أبو ثور • واسحق بن راهويه • وأبو عُبيد القاسم بن سلاّم • وأبو جعفر الطبري • واختلف فيه عن أحمد بن حنبل وقد جاء عنه منصوصاً إباحة اجتهاد الرأي والقياس على الأصول في النازلة تنزل وعلى ذلك كان العلماء قديماً وحديثاً عندما ينزل بهم أمرٌ ولم يزالوا على اجازة القياس حتى حدث ابراهيم بن سيار النظّام (١) وقوم من المعتزلة سلكوا طريقه في نفي القياس والاجتهاد في الاحكام وخالفوا ما مضى عليه السلف فممن تابع النظام على ذلك جعفر بن حرب • وجعفر بن مبشر • ومحمد بن عبد الله

(١) البصري توفي سنة ٢٢١ وهو من أئمة المعتزلة وكان عظيم الذكاء فصيحاً هسرح العيون

الاسكافي وهؤلاء معتزلة أئمة في الاعتزال عند منتحليه واتَّبعهم من أهل السنة على نفي القياس في الاحكام داود بن علي بن خلف الاصبهاني(١) ولكنه أثبت الدليل وهو نوع واحد من القياس سنذكره ان شاء الله

وداود غير مخالف للجماعة والسنة في الاعتقاد والحكم بأخبار الآحاد . وذكر أبو القاسم عبيد الله بن عمر في كتاب القياس من كتبه في الاصول فقال ما علمت أحداً من البصريين ولا غيرهم ممن له نباهة سبق ابراهيم بن النظام الى القول بنفي القياس والاجتهاد ولم يلتفت اليه الجمهور وقد خالفه في ذلك أبو الهذيل وقمعه فيه وردَّه عليه هو وأصحابه (قال) وكان بشر بن المعتمر شيخ البغداديين ورئيسهم من أشد الناس نصرة للقياس واجتهاد الرأي في الاحكام هو وأصحابه وكان هو وأبو الهذيل كأنهما ينطقان في ذلك بلسان واحد (قال أبو عمر) بشر بن المعتمر وأبو الهذيل من رؤساء المعتزلة وأهل الكلام واما بشر ابن غياث المريسي فمن أصحاب أبي حنيفة المغرقين في القياس الناصرين له الدائنين به ولكنه مبتدع أيضاً قائل بالمخلوق • وسائر أهل السنة وأهل العلم على ما ذكرت لك الا أن منهم من لا يرى القول بذلك الا عند نزول النازلة ومنهم من أجاز الجواب فيها لمن يأتي بعدُ وهم اكثر أئمة الفتوى وبالله التوفيق

وعن أبي عثمان الطنبذي رضيع عبد الملك بن مروان قال سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أفتى بغير علم كان اثمه على من أفتاه ومن أشار على أخيه بأمر يعلم الرشد في غيره فقد خانه (قال أبو عمر) اسم أبي عثمان الطنبذي مسلم ابن يسار وعن ابن عباس من أفتى بفتيا وهو يعمى عنها كان إثمها عليه . وعن ابن مسعود قال لا يقولنَّ أحدكم إني أرى وإني أخاف دع ما يريبك الى ما لا يريبك

﴿باب نكتة يستدل بها على استعمال عموم الخطاب في السنن والكتاب وعلى اباحة ترك ظاهر العموم للاعتبار بالأصول﴾

عن أبي هريرة قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابيّ بن كعب وهو يصلي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابي فالتفت اليه ولم يجبه وصلى فخفف ثم انصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابي ما منعك ان تجيبني إذ دعوتك فقال يا رسول الله كنت اصلي قال افلم تجد فيما اوحي اليّ « أن استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم » قال بلى يا رسول الله ولا أعود ان شاء

---

(١) إمام جليل ومن كلامه • خير الكلام ما دخل الأذن بغير إذن مات سنة ٢٧٠ ﻫ ابن خلكان

الله • وعن ابي سعيد بن المعلَّى قال كنت اصلي فمرّ بي النبي صلى الله عليه وسلم ثم ذكر نحو هذه القصة المروية في ابيّ • وروي عن ابن مسعود انه جاء يوم الجمعة والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب فسمعه يقول اجلسوا فجلس بباب المسجد فرآه النبي صلى الله عليه وسلم فقال له تعالَ ياعبدالله بن مسعود • ذكره ابو داود في كتاب الجمعة من السنن • وسمع عبدُ الله بن رواحة وهو بالطريق رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول اجلسوا فجلس في الطريق فمرّ به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما شأنك فقال سمعتك تقول اجلسوا فجلست فقال له النبي صلى الله عليه وسلم زادك الله طاعة • ويدخل في هذا الباب قول عثمان بن مظعون للبيد بن ربيعة حين سمعه ينشد في المسجد الحرام • الا كل شيءٍ ماخلا الله باطل • فقال عثمان صدقت فقال لبيد • وكل نعيم لا محالة زائل . فقال كذبت وإنما صدَّقه في الاولى لانه عموم لا يلحقه خصوص وكذبه في الثانية لان نعيم الجنة دائم لا يزول وكان لبيد حينئذ كافراً وهذا الباب كثير جداً لا سبيل الى تقصّيه لكثرته

وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب لا يصلين احدٌ العصر إلا في بني قريظة فأدركهم وقت العصر في الطريق فقال بعضهم لا نصلي حتى نأتيها وقال بعضهم بل نصلي ولم يُرد منا ذلك فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يعنّف واحدة من الطائفتين (قال أبو عمر) هذه سبيل الاجتهاد على الاصول عند جماعة الفقهاء ولذلك لا يردّون ما اجتهد فيه القاضي وقضى به إذا لم يردّ إلا الى اجتهاد مثله وأما من أخطأ منصوصاً من كتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم بنقل الكافة أو بنقل العدول فقوله وفعله عندهم مردود اذا ثبت الاصل فافهم وبالله التوفيق

﴿ باب مختصر في إثبات المقايسة في الفقه ﴾

قد تقدم ذكر اجتهاد الرأي وذكرنا في ذلك الباب حديث معاذ وغيره وهو الحجة في اثبات القياس عند جميع الفقهاء القائلين به وهم الجمهور قال الله تبارك وتعالى « فجزاءٌ مثل ما قتل من النَّعم » وهذا تمثيل الشيء بعدله ومثله وشبهه ونظيره وهو نفس القياس عند الفقهاء • وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال له رجل في حديث أبي ذرّ وغيره يارسول الله أيقضي أحدنا شهوته ويؤجر قال أرأيت لو وضعها في حرام أكان يأثم قال نعم قال فكذلك يؤجر أفتجزون بالشر ولا تجزون بالخير

ومن هذا الباب حديث أبي هريرة أن رجلا من فزارة جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن امرأتي ولدت غلاماً أسود • الحديث لانه بيّن له فيه أن الحمر من الابل

قد نتج الأورق إذا نزعه عرق (١) فكذلك المرأة البيضاء تلد الاسود إذا نزعه عرق . وقال صلى الله عليه وسلم لعمر حين سأله عن قُبلة الصائم امرأته أرأيت لو تمضمض بماء ومجّه وهو صائم فقال عمر لا بأس قال فكذلك هــذا ٠ وفي حديث الخثعمية في الحج عن أبيها أرأيت لو كان على أبيك دَين فقضيتِه أ كان ذلك ينفعه قالت نعم قال فدين الله أحق ٠ وقال صلى الله عليه وسلم محرّم الحلال كمستحل الحرام. وقال يحرم من الرضاع مايحرم من النسب٠ وفي كتاب عمر الى أبي موسى واعرف الاشباه والامثال وقس الأمور ٠ وقايس زيد بن ثابت عليّ بن أبي طالب في المكاتب وقايسه أيضاً في الجدّ واتفقا في أنه لايحجب الاخوة فقاسه عليّ وشبهه بسيل انشعبت منه شعبة ثم انشعب من الشعبة شعبتان وقاسه زيد على شجرة انشعبت منها غصن وانشعب من الغصن غصنان لأن قولهما في الجد واحد في أنه يشارك الاخوة ولا يحجبهم ٠ وقاس ابن عباس الاضراس بالاصابع وقال عقلهما سواء اعتبرها بها ٠ وقال الشعبي إنا نأخذ في زكاة البقر فيما زاد على الأربعين بالمقاييس ٠ وقال ابراهيم النخعي ما كل شيءٌ نسئل عنــه نحفظه ولكنا نعرف الشيءَ بالشيءِ ونقيس الشيءَ بالشيءِ ٠ وفي رواية أخرى عنه قيل له أ كل ماتفتي به الناس سمعته قال لا ولكن بعضه سمعت وقست مالم أسمع على ماسمعت ٠ وعنه أيضاً أنه قال إني لأسمع الحديث فأقيس عليه مائة شيءٌ

وقال المزني الفقهاء من عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومنا وهلم جرّا استعملوا المقاييس في الفقه في جميع الاحكام في امر دينهم (قال) وأجمعوا أن نظير الحق حق ونظير الباطل باطل (قال) فلايجوز لأحد انكار القياس لأنه التشبيه بالامور والتمثيل عليها

(قال أبو عمر) ومن القياس المجمع عليه صيد ما عدا الجوارح قياساً على الكلاب لقوله «وما علّمتم من الجوارح مكلّبين» وقال جلّ وعز «والذين يرمون المحصنات» فدخل في ذلك

---

(١) ذكر هذا الحديث البخاري في صحيحه في باب اذا عرّض بنفي الولد (قال) حدثنا يحيي بن قزعة حدثنا مالك عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله وُلِدَ لي غلام أسود فقال هل لك من إبل قال نعم قال ما ألوانها قال حُمْرٌ قال هل فيها من أورق قال نعم قال فأنّى ذلك قال لعله نزعه عرق قال فلعل ابنك هــذا نزعه ه وفي المدوّنة رواية سحنون عن ابن القاسم في باب اللعان مثل هذا الحديث عن يونس عن ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة إلاّ أن فيه بدل فأنّى ذلك فأنّي ترى ذلك جاءها قال يا رسول الله عرقٌ نزعها . الى آخر الحديث ٠

المحصنون قياساً. وكذلك قوله في الإماء «فإذا أُحصنّ» فدخل في ذلك العبيد قياساً عند الجمهور إلا من شذّ ممن لا يكاد يعدّ خلافاً • وقال في جزاء الصيد المقتول في الحرم «ومن قتله منكم متعمداً» فدخل فيه قتل الخطأ قياساً عند الجمهور الا من شذ لأنه أتلف مالا يملك قياساً على مال غيره اذا أتلفه عمداً أو خطأ • وقال «يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسّوهن فما لكم عليهنّ من عدّة تعتدّونها» فدخل في ذلك الكتابيات قياساً فكل من تزوج كتابية وطلقها قبل المسيس لم يكن عليها عدة والخطاب قد ورد بالمؤمنات • وقال في الشهادة في المداينات «فإن لم يكونا رجلين فرجلٌ وامرأتان» فدخل في معنى قوله «اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى» قياساً على الدّين المواريث والودايع والغصوب وسائر الاموال وأجمعوا على توريث البنتين الثلثين قياساً على الاختين وهذا كثير جداً يطول الكتاب بذكره • وقال فيمن أعسر بما بقي عليه من الربا «وإن كان ذو عُسْرة فنظِرَة الى ميسرة» فدخل في ذلك كل معسر بدين حلال وثبت ذلك قياساً والله أعلم

ومن هذا الباب توريث الذكر ضعفي ميراث الأنثى منفرداً وانما ورد النص في اجتماعهما بقوله «يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين» ومن هذا الباب أيضاً قياس التظاهر بالبنت على التظاهر بالأم وقياس الرقبة في الظهار على الرقبة في القتل بشرط الإيمان وقياس تحريم الاختين وسائر القرابات من الإماء على الحرائر في الجمع بينهن في التسرّي والنكاح وهذا لو تقصّيناه لطال به الكتاب والله الموفق للصواب • وقال أبو محمد اليزيدي في القياس

(قف على أبيات جليلة)

ما جهول لعالم بمدان لا ولا العيّ كائن كالبيان
فاذا ما عميت فاسأل تخبّر ان بعض الأخبار مثل العيان
ثم قس بعض ماسمعت ببعض وائتِ فيما تقول بالبرهان
لا تكن كالحمار تحمل أسفا راً كما قد قرأت في القرآن
إنّ هذا القياس في كل أمر عند أهل العقول كالميزان
لا يجوز القياس في الدين الا لفقيه لدينه صوّان
ليس يغني عن جاهل قول مفتِ عن فلان وقوله عن فلان
إن أتاه مسترشداً أفتاه بحديثين فيهما معنيان
إنّ من يحمل الحديث ولا يعـ ـرف فيه التأويل كالصيدلاني
حين يلقى لديه كل دواءٍ وهو بالطب جاهل غير وان
حكّم الله في الجزاء ذوَيْ عَدْ ل من الصّيد بالذي يريان
لم يوقّت ولم يسمّ ولكن قال فيه فليحكم العدلان

ولنا في النبي صلى عليه الله والصالحون كل أوان
اسوة في مقاله لمعاذ إقض بالرأي ان أتى الخصمان
وكتاب الفاروق يرحمه الله الى الأشعريّ في تبيان
قس اذا أشكلت عليك أمور ثم قل بالصواب للرحمن

(وقال أبو عمر) القياس والتشبيه والتمثيل من لغة العرب الفصيحة التي نزل بها القرآن ألا ترى الى قوله تعالى «كأنهن الياقوت والمرجان» وقوله «كأن لم تغن بالأمس» وقوله عز وجل «مثل نوره» يعني في قلب المؤمن «كمشكوة فيها مصباح» وقوله عز وجل «كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار» . وقوله «فسقناه الى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور» وقوله «وأحيينا به بلدةً ميتاً كذلك الخروج» وما كان مثله من ضربه عز وجلّ الأمثال للاعتبار وحكمه للنظير بحكم النظير ومثله كثير والمعنى في ذلك كله وما كان مثله الاشتباه في بعض المعاني وهو الوجه الذي جرى عليه الحكم لأن الاشتباه لو وقع من جميع الجهات كان ذلك الشيء بعينه ولم يوجد تغاير أبداً فإن النشور ليس كإحياء الأرض بعد موتها الا من جهة واحدة وهي التي جرى اليها الحكم والمراد وكذلك الجزاء بالمثل من النعم لا يشبه الصيد من كل جهة وكذلك قول الله في الكفار «كأنهم حمر مستنفرة فرّت من قسورة» و«إن هم الا كالأنعام» وقع التشبيه من جهة عمى القلوب والجهل ومثل هذا كثير وقال ابن شبرمة

أحكم بما في كتاب الله مقتدياً وبالنظائر فاحكم والمقاييس

وأنشد أبو عبيدة معمر بن المثنى لقسّ بن ساعدة وأنشدها غيره للأقيشر الأسدي

يا أيها السائل عما مضى من علم هذا الزمن الذاهب
ان كنت تبغي العلم أو نحوه في شاهد يخبر عن غائب
فاعتبر الشيء بأشباهه واعتبر الصاحب بالصاحب

(وقال منصور)

تأنّ في الأمر اذا رمته تبين الرشد من الغيّ
لا تتبعن كل نار ترى فالنار قد توقد للكي
وقس على الشيء بأشكاله يدلك الشيء على الشي

وقال غيره اذا أعيا الفقيه وجود نص تعلّق لا محالة بالقياس

ولأبي الفتح البستي أنت عين الجور نصاً وقيا ساً وبيان الحق نص وقياس

﴿ باب في خطأ المجتهدين من المفتين والحكام ﴾

عن ابن بريدة(١) عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القضاة ثلاثة قاضيان في النار وقاض في الجنة قاض قضى بغير الحق وهو لا يعلم فأهلك حقوق الناس فذلك في النار وقاض قضى بالحق وهو يعلم فذلك في الجنة . وعن خلف بن خليفة (٢) قال قال أبو هاشم الرماني لولا حديث ابن بريدة لقلت ان القاضي اذا اجتهد فليس عليه سبيل ولكن قال ابن بريدة عن أبيه قال النبي صلى الله عليه وسلم القضاة ثلاثة قاض في الجنة واثنان في النار قاض عرف الحق فقضى به فذلك في الجنة وقاض قضى بالجهل فذلك في النار وقاض عرف الحق وجار في الحكم فهو في النار • وعن حكيم بن جبير (٣) عن ابن بريدة قال أراد يزيد بن المهلب أن يستعمله على قضاء خراسان فقال ابن بريدة لقد حدثني أبي عن النبي صلى الله عليه وسلم في القضاء حديثاً لا أقضي بعده قال القضاة ثلاثة اثنان في النار وواحد في الجنة قاض علم الحق فقضى به فهو من أهل الجنة وقاض علم الحق فجار متعمداً فهو من أهل النار وقاض قضى بغير الحق واستحيا أن يقول لا أعلم فهو في النار

وعن قتادة قال سمعت ابا العالية قال قال علي القضاة ثلاثة قاضيان في النار وقاض في الجنة فأما اللذان في النار فرجل جار متعمداً فهو في النار ورجل اجتهد فأخطأ فهو في النار وأما الذي في الجنة فرجل اجتهد فأصاب الحق فهو في الجنة قال قتادة فقلت لأبي العالية ماذنب هذا الذي اجتهد فأخطأ قال ذنبه ألّا يكون قاضياً اذا لم يعلم • وعن عبدالله بن موهب (٤) ان عثمان بن عفان (٥) قال لابن عمر اذهب فأفت بين الناس قال أو تعافيني ياأمير المؤمنين قال فما تكره من ذلك وكان ابوك يقضي قال اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان قاضياً فقضى بالعدل فبالحرا (٦) ان ينقلب منه كفافا فما أرجو بعد ذلك • وعن الحسن بن أبي الحسن قال والله لولا ماذكره الله من امر هذين الرجلين يعني داود

---

(١) هو عبد الله ابن بُرَيْدة بن الحُصَيْب الأسلمي ثقة مات سنة ١٠٥ وقيل أكثر ه تقريب

(٢) بن صاعد الاشجعي مولاهم الكوفي صدوق اختلط في آخر عمره مات سنة (١٨١) ه منه

(٣) الاسدي الكوفي ضعيف رمي بالتشيع ه منه (٤) الشامي قاضي فلسطين لعمر بن عبد العزيز ثقة ه منه (٥) بن ابي العاص الأموي أمير المؤمنين وأحد السابقين الاولين والخلفاء الاربعة والعشرة المبشرة استشهد سنة ٣٥ ه منه (٦) قال في القاموس والحرا الخليق ومنه بالحرا ان يكون ذاك وإنه لحرًى بكذا وحريٌ كغني وحر والاولى لاتثنى ولا تجمع اه

وسليمان لرأيت ان القضاة قد هلكوا فإنه أثنى على هذا بعلمه وعذر هذا باجتهاده

حدثني عبدالوارث قال حدثنا قاسم قال حدثنا المطلب بن شعيب قال حدثنا عبدالله بن صالح قال حدثنا الليث بن سعد عن ابن الهادي عن محمد بن ابراهيم عن بشر بن سعيد عن أبي قيس مولى عمرو بن العاصي انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا حكم الحاكم واجتهد وأصاب فله أجران وان حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر • فحدثت بهذا الحديث أبابكر بن محمد بن عمرو بن حزم فقال هكذا حدثني ابوبكر بن عبدالرحمن عن ابي هريرة ورواه الداروردي عن يزيد بن عبدالله بن الهادي فحدثت بهذا الحديث ابابكر بن محمد بن عمرو بن حزم فقال هكذا حدثني ابو سلمة عن ابي هريرة فجعل مكان ابي بكر بن عبدالرحمن أبا سلمة والقول قول الليث والله اعلم كذلك ذكره الشافعي وابو المصعب وغيرهما عن الداروردي • وروى عبد الرزاق عن معمر عن سفيان الثوري عن يحيي ابن سعيد عن ابي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن ابي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران واذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر • قال البخاري لم يرو هذا الحديث عن معمر غير عبد الرزاق وأخشى ان يكون وهم فيه يعني في اسناده (قال ابو عمر) اختلف الفقهاء في تأويل هذا الحديث فقال قوم لايؤجر من اخطأ لان الخطأ لايؤجر احد عليه وحسبه ان يرفع عنه المأثم وردُّوا هذا الحديث بحديث بُرَيدة المذكور في هذا الباب وبقوله تجاوز الله لأمتي عن خطأها ونسيانها وبقول الله « ليس عليكم جُناح فيما أخطأتم به » ونحو هذا . وقال آخرون يؤجر في الخطأ أجراً واحداً على ظاهر حديث عمرو بن العاصي لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فرق بين أجر المخطئ والمصيب فدل أن المخطئ يؤجر وهذا نص ليس لأحد أن يرده . وقال الشافعي ومن قال بقوله يؤجر ولكنه لايؤجر على الخطأ لأن الخطأ في الدين لم يؤمر به أحد وإنما يؤجر لارادته الحق الذي أخطأه (قال المزني) فقد أثبت الشافعي في قوله هذا أن المجتهد المخطئ أحدث في الدين مالم يؤمر به ولم يكلفه وإنما أجر في نيته لافي خطأه (قال أبو عمر) لم نجد لمالك في هذا الباب شيئاً منصوصاً إلا أن ابن وهب ذكر عنه في كتاب العلم من جامعه قال سمعت مالكا يقول من سعادة المرء أن يوفق للصواب والخير ومن شقاوة المرء أن لايزال يخطئ وفي هذا دليل أن المخطئ عنده وان اجتهد فليس بمرضي الحال والله أعلم . وذكر اسحق بن اسمعيل القاضي في المبسوط قال قال محمد بن مسلمة انما على الحاكم الاجتهاد فيما يجوز فيه الرأي فاذا اجتهد وأراد الصواب بجهد نفسه فقد أدّى ماعليه

(قف على قول الشافعي) .

أخطأ أو أصاب قال وليس أحد في رأي على حقيقة أنه الحق وانما حقيقته الاجتهاد فان اجتهد وأخطأ في عقوبة انسان فمات لم تكن عليه كفارة ولا دية لانه قد عمل بالذي أمر به قال وليس يجوز لمن لا يعلم الكتاب والسنة ولا مامضى عليه أولو الامر أن يجتهد رأيه فيكون اجتهاده مخالفاً للقرآن والسنة والامر المجتمع عليه. هذا كله قول محمد بن مسلمة على ماذكره عنه اسمعيل القاضي

وذكر عبيد الله بن عمر بن أحمد الشافعي البغدادي في كتابه في القياس جُمَلاً مما ذكر الشافعي رحمه الله في كتابه الرسالة البغدادية وفي الرسالة المصرية وفي كتاب جماع العلم وفي كتاب اختلاف الحديث في القياس وفي الاجتهاد وقال في هذا من قول الشافعي دليل على ترك تخطئة المجتهدين بعضهم لبعض اذ كل واحد منهم قد أدى ما كُلِّف باجتهاده اذا كان ممن اجتمعت فيه آلة القياس وكان ممن له أن يجتهد ويقيس قال وقد اختلف أصحابنا في ذلك فذكر مذهب المزني (١) قال وقد خالفه غيره من أصحابنا قال ولا أعلم خلافاً بين الحذاق من شيوخ المالكيين ونظارهم من البغداديين مثل اسمعيل بن اسحق القاضي وابن بكير (٢) وأبي العباس الطيالسي ومن دونهم مثل شيخنا عمر بن محمد بن أبي الفرج المالكي وأبي الطيب محمد بن محمد بن اسحق بن راهويه وأبي الحسن بن المنتاب وغيرهم من الشيوخ البغداديين والمصريين المالكيين كل يحكي أن مذهب مالك رحمه الله في اجتهاد المجتهدين والقائسين اذا اختلفوا فيما يجوز فيه التأويل من نوازل الاحكام أن الحق من ذلك عند الله واحد من أقوالهم واختلافهم الا أن كل مجتهد اذا اجتهد كما أمر وبالغ ولم يألُ وكان من أهل الصناعة ومعه آلة الاجتهاد فقد أدى ماعليه وليس عليه غير ذلك وهو مأجور على قصده الصواب وان كان الحق عند الله من ذلك واحدا قال وهذا القول هو الذي عليه عمل أكثر أصحاب الشافعي قال وهو المشهور من قول أبي حنيفة فيما حكاه محمد ابن الحسن وأبو يوسف وفيما حكاه الحذاق من أصحابهم مثل عيسى بن أبان ومحمد ابن شجاع البلخي ومن تأخر عنهم مثل أبي سعيد البرذعي ويحيى بن سعيد الجرجاني وشيخنا ابي الحسن الكرخي وابي بكر البخاري المعروف بجدّ الجسم وغيرهم ممن رأينا وشاهدنا وبالله التوفيق (قال أبو عمر) قد اختلف أصحاب مالك فيما وصفنا واختلف فيه

---

(١) هو اسماعيل بن يحيى المزني من أصحاب الامام الشافعي إمام زاهد مجتهد مات سنة ٢٦٤ بمصر منه ابن خلكان (٢) اسمه يحيى بن عبد الله المخزومي مولاهم المصري ثقة في سماعه من الليث وتُكلِّم في سماعه من غيره مات سنة ٢٣١ هـ تقريب

قول الشافعي ولذلك اختلف فيه اصحابه والذي اقول به ان المجتهد المخطئ لايأثم اذا قصد الحق وكان ممن له الاجتهاد وارجو ان يكون له فى قصده الصواب واراد به له اجر واحد اذا صحت نيته فى ذلك

وعن مسعود بن الحكم (١) قال أتي عمر فى زوج وام واخوة لام واخوة لاب وام فأعطى الزوج النصف واعطى الام السدس واعطى الثلث الباقي للاخوة للام دون بني الاب والام فلما كان من قابل أتي فيها فأعطى الزوج النصف والام السدس وشرّك بين بني الام وبني الاب والام فى الثلث وقال ان لم يزدهم الاب قرباً لم يزدهم بعداً فقام اليه رجل فقال ياامير المؤمنين شهدتك عام اوّل قضيت فيها بكذا وكذا فقال عمر تلك على ماقضينا وهذه على ماقضينا

﴿ باب نفي الالتباس فى الفرق بين الدليل والقياس وذكر من ذم القياس على غير أصل وما يردّه من القياس أصل ﴾

(قال ابو عمر) لاخلاف بين فقهاء الامصار وسائر اهل السنة وهم أهل الفقه والحديث فى نفي القياس في التوحيد وإثباته فى الاحكام الا داود بن علي بن خلف الاصبهاني ثم البغدادي ومن قال بقوله فإنهم نفوا القياس فى التوحيد والاحكام جميعاً

واما اهل البدع فعلى قولين فى هذا الباب سوى القولين المذكورين منهم من اثبت القياس فى التوحيد والاحكام جميعاً ومنهم من اثبته فى التوحيد ونفاه في الاحكام

واما داود بن علي ومن قال بقوله فانهم اثبتوا الدليل والاستدلال في الاحكام واوجبوا الحكم بأخبار الآحاد العدول كقول سائر فقهاء المسلمين في الجملة والدليل عند داود ومن تابعه نحو قول الله جل وعز « وأشهدوا ذوي عدل منكم » لو قال قائل فيه دليل على شهادة الفساق كان مستدلاً مصيبا وكذلك قوله « إن جاءكم فاسق بنبأ » كان فيه دليل على قبول خبر العدل ونحو قول الله جل وعز « اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعَوْا الى ذكر الله » دليل على ان كل مانع من السعي الى الجمعة واجب تركه لأن الأمر بالشيء يقتضي النهي عن جميع اضداده ونحو قول النبي صلى الله عليه وسلم (من باع نخلا قد أبّرت فثمرتها للبائع الا ان يشترط المبتاع) دليل على انها اذا بيعت ولم تؤبر فثمرتها للمبتاع ومثل هذا النحو حيث كان من الكتاب والسنة

وقال سائر العلماء في هذا الاستدلال قولان احدهما انه نوع من انواع القياس وضرب

---

(١) بن الربيع الانصاري المدني يروي عن بعض الصحابة ه تقريب

منه على مارتب الشافعي وغيره من مراتب القياس وضروبه وأنه يدخله مايدخل القياس من العلل والقول الآخر انه هو النص بعينه وفحوى خطابه

(قال أبو عمر) القياس الذي لانختلف فيه أنه قياس هو تشبيه الشيء بغيره اذا اشتبه والحكم للنظير بحكم نظيره اذا كان في معناه والحكم للفرع بحكم أصله اذا قامت فيه العلة التي من أجلها وقع الحكم ومثال القياس أن السنة المجتمع عليها وردت بتحريم البر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والذهب بالذهب والورق بالورق والملح بالملح الا مثلاً بمثل ويداً بيد فقال قائلون من الفقهاء القائسين حكم الزبيب والسُّلت والدُّخن والارز كحكم البر والشعير والتمر وكذلك الحِمَّص والفول وكل مايكال ويؤكل ويدَّخر ويكون قوتاوإداماً وفاكهةمدّخرة لان هذه العلة فى البر والشعير والتمر والملح موجودة وهذا قول مالك وأصحابه ومن تابعهم

وقال آخرون العلة في البر وما ذكر معه في الحديث من الذهب والورق والتمر والشعير أن ذلك كله موزون أو مكيل فكل مكيل او موزون فلا يجوز فيه الا مايجوز في السنة من النسأ والتفاضل هذا قول الكوفيين ومن تابعهم. وقال آخرون العلة في البر انه ماكول وكل مأكول فلا يجوز الا مثلا بمثل يداً بيد سواء كان مدّخراً او غير مدخر وسواءكان يكال او يوزن اولا يكال او لايوزن هذا قول الشافعي ومن ذهب مذهبه وقال بقوله وقال الشافعي الذهب والورق لا يشبههما غيرهما من الموزونات لانهما قيم المتلفات وأثمان المبيعات فليستا كغيرهما من المذكورات معهما لانهما يجوز ان يسلما في كل شيء سواهما والى هذا مال اصحاب مالك في تعليل الذهب والورق خاصة

وقال داود البر بالبر والشعير بالشعير والذهب بالذهب والورق بالورق والتمر بالتمر والملح بالملح هذه الستة الاصناف لايجوز شيء منها بجنسه إلا مثلاً بمثل يداً بيد ولا يجوز شيء منها بجنسه ولا بغير جنسه منها نسيئة وما عدا ذلك كله فبيعه جائز نسيئة ويداً بيد متفاضلا وغير متفاضل لعموم قوله عز وجل « وأحلَّ الله البيع وحرَّم الربا » فكل بيع حلال الا ماحرّمه الله في كتابه أوعلى لسان رسوله ولم يحكم بشيء بما في معناه ولم يعتبر المعاني والعلل وما أعلم أحداً سبقه الى هذا القول إلا طائفة من أهل البصرة مبتدعة ابراهيم بن سيار النظام ومن سلك سبيله

وأما فقهاء الامصار فكل واحد منهم سلف من الصحابة والتابعين وقد ذكرنا حجة كل واحد منهم وما اعتلَّ به من جهة الأثر والنظر في كتاب التمهيد فأغنى عن ذكره ههنا . وأما داود فلم يقس على شيء من المذكورات الست فى الحديث غيرها وردَّ العلماء

عليه هـذا القول وحكموا لكل شيء مذكور بمـا في معناه وردوا على داود ما أصّل بضروب من القول وألزموه صنوفا من الالتزامات يطول ذكرها لاسبيل الى الاتيان بها فى كتابنا هذا وحجج الفريقين كثيرة جداً من جهة النظر قد أفردوا لها كتباً

واحتج من ذهب مذهب داود من جهة الاثر بمـا حدّثناه عبدالوارث بن سفيان قال حدثنا قاسم بن اصبغ قال حدثنا عُبَيْد بن عبد الواحد بن شريك قال حدثنا نعيم بن حماد قال حدثنا عيسى بن يونس عن جريج بن عثمان الرحبي قال اخبرنا عبدالرحمن بن جبير بن نفير عن ابيه عن عوف بن مالك الاشجعي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة أعظمها على أمتي فتنة قوم يقيسون الدين برأيهم يحرمون ما احل الله ويحلون ماحرم الله (قال ابو عمر) هذا عند اهل العلم بالحديث حديث غير صحيح حملوا فيه على نعيم بن حماد وقال أحمد بن حنبل ويحيي بن معين حديث عوف بن مالك هذا لا أصل له

واما ماروي عن السلف في ذم القياس فهو عندنا قياس على غير اصل او قياس يردُّ به اصل فعن الحسن قال اول من قاس ابليس وانمـا عبدت الشمس والقمر بالمقاييس. وعن عامر قال مسروق لا اقيس شيئاً بشيء قلتُ لِمَ قال اخشى ان تزلّ رجلي. وعن مسروق قال لا اقيس شيئاً بشيء فتزلّ قدمي بعـد ثبوتها. وعن الشعبي قال اياكم والقياس وانكم ان اخذتم به احللتم الحرام وحرّمتم الحلال ولأن اتغنى غنية احب الي من ان اقول في شيء برأيي . وعنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتهلك أمتي حتى تقع فى المقاييس فاذا وقعت في المقاييس فقد هلكت . وقد ذكرنا من هـذا المعنى زيادة فى باب ذم الرأي من هـذا الكتاب لأنه معنى منه وبالله التوفيق . فاحتج من نفي القياس بهذه الآثار ومثلها وقالوا في حديث معاذ ان معناه ان يجتهد رأيه على الكتاب والسنة وتكلم داود في اسناد حديث معاذ وردّه ودفعه من أجل انه عن اصحاب معاذ ولم يُسمَّوا (قال ابو عمر) وحديث معاذ صحيح مشهور رواه الأئمة العدول وهو اصل في الاجتهاد والقياس على الاصول وسائر الفقهاء قالوا في هذه الآثار وما كان مثلها في ذم القياس انه القياس على غير اصل والقول في دين الله بالظن ألا ترى الى قول من قال منهم اوّل من قاس ابليس لأن ابليس رد أصل العلم بالرأي الفاسـد والقياس لايجوز عند احد ممن قال به الا في رد الفروع الى اصولها لا في رد الأصول بالرأي والظن واذا صح النص من الكتاب والأثر بطل القياس « وما كان لمؤمن ولا مؤمنـة اذا قضى الله ورسوله امراً ان تكون لهم الخِيَرة » الآية وأيّ اصل اقوى من امر الله تعالى لإبليس بالسجود وهو العالم بما خلق منه آدم وما خلق منه ابليس ثم امره بالسجود له فأبى واستكبر لعلّة ليست بمانعة من ان يأمره الله بما يشاء فهذا ومثله لايحل ولايجوز

(قف على قول الشعبى)

واما القياس على الاصول والحكم للشيء بحكم نظيره فهذا مالا يختلف فيه احد من السلف بل كل من روي عنه ذم القياس قد وجد له القياس الصحيح منصوصاً لايدفع هذا الا جاهل او متجاهل مخالف للسلف في الاحكام . وقال مسروق الورّاق

كنا من الدين قبل اليوم في سعة   حتى ابتلينا بأصحاب المقاييس
قاموا من السوق اذ قلّت مكاسبهم   فاستعملوا الرأي عند الفقر والبوس
اما العُريب فقوم لاعطاء لهم   وفي للموالي علامات المفاليس

فلقيه ابو حنيفة فقال هجوتنا نحن نرضيك فبعث اليه بدراهم فقال

اذا ما أهل مصر بادهونا   بآبدة من الفتيا لطيفه
أتيناهم بمقياس صحيح   صليب من طراز ابي حنيفه
اذا سمع الفقيه به وعاه   واثبته بحبر في صحيفه

(قال ابو عمر) اتصلت هذه الابيات ببعض اهل الحديث والنظر من اهل ذلك الزمن فقال

اذا ذو الرأي خاصم عن قياس   وجاء ببدعة منه سخيفه
اتيناهم بقول الله فيها   وآثار مبرزة شريفه

وقد رويت في ذم الرأي والقياس آثار كثيرة وسنفرد لها باباً في كتابنا هذا ان شاء الله

(باب جامع في بيان مايلزم الناظر في اختلاف العلماء)

(قال ابو عمر) اختلف الفقهاء في هذا الباب على قولين احدهما ان اختلاف العلماء من الصحابة ومن بعدهم من الائمة رحمة وتوسعة وجائز لمن نظر في اختلاف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأخذ بقول من شاء منهم وكذلك الناظر في اقاويل غيرهم من الأئمة مالم يعلم أنه خطأ فاذا بان له أنه خطأ لخلافه نصّ الكتاب او نص السنة أو اجماع العلماء لم يسعه اتباعه فاذا لم يَبِن له ذلك من هذه الوجوه جاز له استعمال قوله وان لم يعلم صوابه من خطأه وصار في حيز العامة التي يجوز لها أن تقلد العالم اذا سألته عن شيء وان لم تعلم وجهه. هذا قول يروى معناه عن عمر بن عبد العزيز والقاسم بن محمد وعن سفيان الثوري ان صح عنه وقال به قوم ومن حجتهم على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم أصحابي كالنجوم فبأيهم اقتديتم اهتديتم وهذا مذهب ضعيف عند جماعة من أهل العلم وقد رفضه أكثر الفقهاء وأهل النظر ونحن نبين الحجة عليه في هذا الباب ان شاء الله على ماشرطناه من التقريب والاختصار ولاحول ولا قوّة الا بالله. على أن جماعة من أهل الحديث متقدمين ومتأخرين يميلون اليه وقد نظم أبو مزاحم الخاقاني ذلك في شعر له وهو

أعوذ بعزة الله السلام · وقدرته من البدع العظام · أبين مذهبي فيمن أراه
إماماً في الحلال وفي الحرام · كما بينت في القراء قولي · فلاح القول معتاباً امامي
ولاأعدو ذوي الآثار منهم · فهم قصدي وهم بدر التمام · اقول الآن في الفقهاء قولا
على الإنصاف جد به اهتمامي · أرى بعد الصحابة تابعيهم · لذي فتياهم بهم ائتمامي
علامت اذا عزمت على اقتدائي · بهم اني مصيب في اعتزامي · وبعد التابعين أئمة لي
سأذكر بعضهم عند انتظام · فسفيان العراق ومالك في · حجازهم وأوزاعي شآم
الا وابن المبارك قدوة لي · نعم والشافعي اخو الكرام · وممن ارتضي فأبو عبيد
وارضى بابن حنبل الامام · فآخذ من مقالهم اختياري · وما انا بالمباهي والمسامي
وأخذي باختلافهم مباح · لتوسيع الآله على الانام · ولست مخالفاً ان صح لي عن
رسول الله قول بالكلام · اذا خالفت قول رسول ربي · خشيت عقاب رب ذي انتقام
وما قال الرسول فلا خلاف · له يارب أبلغه سلامي

(قال أبو عمر) قد يحتمل قوله (فآخذ من مقالهم اختياري) وجهين أحدهما أن يكون مذهبه في ذلك كمذهب القاسم بن محمد ومن تابعه من العلماء أن الاختلاف سعة ورحمة والوجه الآخر أن يكون أراد آخذ من مقالهم اختياري أي أصير من أقاويلهم الى ماقام عليه الدليل فإذا بان لي صحته اخترته وهذا أولى من أن يضاف الى احد الاخذ بما اراده في دين الله بغير برهان ونحن نبين هذا ان شاء الله • فعن القاسم بن محمد بن ابي بكر قال لقد نفع الله باختلاف اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في اعمالهم لايعمل العامل بعمل رجل منهم الا رأى انه في سعة ورأى أن خيراً منه قد عمله • وفي رواية عنه لقد اوسع الله على الناس باختلاف اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم اي ذلك اخذت به لم يكن في نفسك منه شيء • وعن رجاء بن جميل قال اجتمع عمر بن عبد العزيز والقاسم ابن محمد فجعلا يتذاكران الحديث قال فجعل عمر يجيء بالشيء مخالفاً فيه القاسم قال وجعل ذلك يشق على القاسم حتى تبين فيه فقال له عمر لاتفعل فما يسرني ان لي باختلافهم حمر النعم . وعن عبد الرحمن بن القاسم عن ابيه قال لقد أعجبني قول عمر بن عبد العزيز ما احب ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يختلفوا لانه لو كان قولا واحداً كان الناس في ضيق وانهم أئمة يقتدى بهم فلو اخذ رجل بقول احدهم كان في سعة (قال ابوعمر) هذا فيما كان طريقه الاجتهاد . وعن اسامة بن زيد قال سألت القاسم بن محمد عن القراءة خلف الامام فيما لم يجهر فيه فقال ان قرأت فلك في رجال من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة واذا لم تقرأ فلك في رجال من اصحاب رسول الله

(قف على كلام عمر بن عبد العزيز)

صلى الله عليه وسلم أسوة . وعن يحيى بن سعيد قال مابرح اولو الفتوى يفتون فيحل هذا ويحرم هـذا فلا يرى المحرّم ان المحل هلك لتحليله ولا يري المحـلّ ان المحرم هلك لتحريمه (قال ابو عمر) فهذا مذهب القاسم بن محمد ومن تابعـه وقال به قوم واما مالك والشافعي ومن سلك سبيلهما من اصحابهما وهو قول الليث بن سعد والاوزاعي وأبوثور وجمـاعة اهل النظر أن الاختلاف اذا تدافع فهو خطأ وصواب والواجب عنداختلاف العلماء طلب الدليـل من الكتاب والسنة والاجماع والقياس على الاصول على الصواب منها وذلك لايعدم فان استوت الأدلة وجب الميل مع الأشبه بما ذكرنا بالكتاب والسنة فاذا لم يبن ذلك وجب التوقف ولم يجـز القطع الا بيقـين فان اضطُر احـد الى استعمال شيء من ذلك في خاصة نفسه جاز له مايجوز للعامـة من التقليد واستعمل عنـد افراط التشابه والتشاكل وقيام الأدلة على كل قول بما يعضده قوله صلى الله عليه وسـلم ألبرُّ ما اطمأنت اليه النفس والاثم ماحاك في الصدر فدع مايريبك الى مالايريبك • هذا حال من لاينعم النظر وهو حال العامة التي يجوز لها التقليد فيما نزل بها وافتاها بذلك علماؤها

(قف على ما يلزم عند الاختلاف)

واما المُفتون فغير جائز عند احد ممن ذكرنا قوله لأن يفتي ولا يقضي حتى يتبيَّن له وجه مايفتي به من الكتاب او السنة او الاجماع او ماكان في معنى هذه الاوجه • فعن الشعبي قال اجتمعنا عند ابن هبيرة في جماعة من قراء اهل الكوفة والبصرة فجعل يسألهم حتى انتهى الى محمد بن سيرين فجعل يسأله فيقول له قال فلان كذا وقال فلان كذا وقال فلان كذا فقال ابن هبيرة قد اخبرتني عن غير واحد فبأيّ قول آخذ قال اختر لنفسك فقال ابن هبيرة قد سمع الشيخ عاماً لو اعين برأي وذكر تمام الخبر

(قف على ما يلزم اهل الفتيا)

وعن اشهب قال سئل مالك عن اختلاف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال خطأ وصواب فانظر في ذلك. وعن يحيى بن ابراهيم بن مزين عن اصبغ قال قال ابن القاسم سمعت مالكا والليث يقولان في اختلاف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس كما قال ناسٌ فيه توسعة ليس كذلك انما هو خطأ وصواب قال يحيى وبلغني أن الليث بن سـعد قال اذا جاء الاختلاف اخذنا فيه بالاحوط. وعن ابن القاسم عن مالك انه قال في اختلاف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مخطيء ومصيب فعليك بالاجتهاد. وعن ابن وهب قال قال لي مالك ياعبدالله أدّ ما سمعتَ وحسبك ولا تحمل لأحد على ظهرك واعلم انما هو خطأ وصواب فانظر لنفسك فانه كان يقال اخسر الناس من باع آخرته بدنياه واخسر منه من باع آخرته بدنيا غيره

(قف على قول مالك)

وذكر اسمعيل بن اسحق في كتابه المبسوط عن أبي ثابت قال سمعت ابن القاسم يقول سمعت مالكا والليث ابن سعيد يقولان فى اختلاف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

(قف على التحقيق في اختلاف الصحابة)

وذلك ان ناساً يقولون فيه توسعة فقالا ليس كذلك انما هو خطأ وصواب قال اسمعيل القاضي إنما التوسعة في اختلاف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم توسعة في اجتهاد الرأي فأما أن تكون توسعة لأن يقول الانسان بقول واحد منهم من غير ان يكون الحق عنده فيه فلا ولكن اختلافهم يدل على انهم اجتهدوا فاختلفوا (قال أبو عمر) كلام اسمعيل هذا حسن جداً • وفي سماع أشهب سئل مالك عمن أخذ بحديث حدثه ثقة عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أتراه من ذلك في سعة فقال لا والله حتى يصيب الحق وما الحق الا واحد وقولان مختلفان يكونان صواباً جميعاً ما الحق والصواب الا واحد. وعن أبي خالد الخاصي قال قلت لسحنون تقرأ لي كتاب القسمة قال على ان لا أقول فيه إلا بخمس.

وعن اسمعيل بن يحيى المزني قال قال الشافعي في اختلاف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصيرمنها الى ما وافق الكتاب أو السنة أو الاجماع أو كان أصح في القياس وقال في قول الواحد منهم اذا لم يحفظ له مخالفاً منهم صرت اليه وأخذت به إن لم أجد كتاباً ولا سنة ولا إجماعاً ولا دليلاً منها هذا إذا وجدت معه القياس قال وقلما يوجد ذلك (قال المزني) فقد بيّن أنه قبل قوله بحجة ففي هذا مع اجتماعهم على أن العلماء في كل قرن ينكر بعضهم على بعض فيما اختلفوا فيه قضاء بيّن على أن لا يقال إلا بحجة وأن الحق في وجه واحد والله أعلم. (قال أبو عمر) وقد ذكر الشافعي في كتاب أدب القضاة أن القاضي والمفتي لا يجوز له أن يقضي ويفتي حتى يكون عالماً بالكتاب وبما قال أهل التأويل في تأويله وعالماً بالسنن والآثار وعالماً باختلاف العلماء حسن النظر صحيح الأَوَدِ (١) وَرِعاً مشاوراً فيما اشتبه عليه وهذا كله مذهب مالك • وسائر فقهاء المسلمين في كل مصر يشترطون أن القاضي والمفتي لا يجوز أن يكون إلا في هذه الصفات • واختلف قول أبي حنيفة في هذا الباب فمرة قال أما أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فآخذ بقول من شئت منهم ولا أخرج عن قول جميعهم وإنما يلزمني النظر في أقاويل من بعدهم من التابعين ومن دونهم (قال أبو عمر) جعل للصحابة في ذلك ما لم يجعل لغيرهم وأظنه مال الى ظاهر حديث أصحابي كالنجوم والله أعلم. والى نحو هذا كان أحمد بن حنبل يذهب فعن محمد بن عبد الرحمن الصيرفي قال قلت لأحمد بن حنبل إذا اختلف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسئلة هل يجوز لنا ان ننظر في أقوالهم لنعلم

(قف على ما قاله الشافعي)

«١» آده الأمر بلغ منه المجهود والأَوَد أيضاً العوج وفي حديث نادبة عمر رضي الله عنه واعمراه أقام الأود وشفى العمد هـ من القاموس ولسان العرب

مع من الصواب منهم فتتبعه فقال لي لايجوز النظر بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت كيف الوجه في ذلك قال تقلد أيهم أحببت (قال أبو عمر) لم ير النظر فيما اختلفوا فيه خوفاً من التطرّق الى النظر فيما شجر بينهم وحارب فيه بعضهم بعضاً . وقد روى السمتي عن أبي حنيفة أنه قال في قولين للصحابة أحد القولين خطأ والمأثم فيه موضوع . ورُوي عن أبي حنيفة رضي الله عنه أنه حكم في طَسْت تمر ثم غرمه للمقضي عليه فلو كان لا يشك أن الذي قضى به هو الحق لما تأثّم عن الحق الذي ليس عليه غيره ولكنه خاف أن يكون قضى عليه بقضاء أغفل فيه فضمن من حيث لا يعلم فتورع فاستحل ذلك بغرمه له لأن المال اذا استهلك عمداً أو خطأ وجب ضمانه وقد جاء عنه في غير موضع في مثل هذا قد مضى القضاء

(قف على أدلة اجتماع الكلمة)

وقد ذكر المزني رحمه الله في هذا حججاً أنا أذكرها هنا ان شاء الله (قال المزني) قال الله تبارك وتعالى « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً » فذم الاختلاف وقال « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا » الآية وقال « فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خيرٌ وأحسن تأويلا » وعن مجاهد وعطاء وغيرهما في تأويل ذلك قال الى الكتاب والسنة (قال المزني) فذمّ الله الاختلاف وأمر عنده بالرجوع الى الكتاب والسنة فلو كان الاختلاف من دينه ما ذمّه ولو كان التنازع من حكمه ما أمرهم بالرجوع عنده الى الكتاب والسنة (قال) ورُوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إحذروا زَلّة العالم . وعن عمر ومعاذ وسلمان مثل ذلك في التخويف من زَلّة العالم (قال) وقد اختلف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخطّأ بعضهم بعضاً ونظر بعضهم في أقاويل بعض وتعقّبها ولو كان قولهم كله صواباً عندهم لما فعلوا ذلك . وقد جاء عن ابن مسعود في غير مسئلة انه قال أقول فيها برأيي فإن يك صواباً فمن الله وإن يك خطأً فمني واستغفر الله . وغضب عمر بن الخطاب من اختلاف ابيّ بن كعب وابن مسعود في الصلاة في الثوب الواحد إذ قال أبيّ إن الصلاة في الثوب الواحد حسن جميل وقال ابن مسعود إنما كان ذلك والثياب قليلة فخرج عمر مغضباً فقال اختلف رجلان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن ينظر اليه ويؤخذ عنه وقد صدق أبيّ ولم يألُ ابن مسعود ولكني لا أسمع أحداً يختلف فيه بعد مقامي هذا إلا فعلت به كذا وكذا . وعن عمر في المرأة التي غاب عنها زوجها وبلغه انه يُتحدث عندها فبعث اليها من يعظها ويذكّرها ويوعدها إن عادت فمخضت فولدت غلاماً فصوّتَ ثم مات فشاور أصحابه في ذلك فقالوا والله ما نرى عليك شيئاً ما أردت بهذا الا الخير وعليٌّ حاضر فقال

(قف على غضب عمر من الاختلاف)

ما ترى يا أبا حسن فقال قد قال هؤلاء فإن يك هذا جهد رأيهم فقد قضوا ما عليهم وإن كانوا قاربوك فقد غشوك أما الإثم فأرجو ان يضعه الله عنك بنيتك وما يعلم منك وأما الغلام فقد والله غرمتَ فقال له أنت والله صدقتني أقسمت عليك لا تجلس حتى تقسمها على بني أبيك يريد بقوله (بني أبيك) أي بني عدي بن كعب رَهْط عمر رضي الله عنه

وعن أبي العالية في قوله « شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والذي أوحينا اليك وما وصّينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » قال إقامة الدين الاخلاص «ولا تتفرقوا فيه » يقول لا تتعادوا عليه وكونوا عليه إخواناً قال ثم ذكر بني اسرائيل وحذّرهم أن يأخذوا بسنتهم فقال « وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم » فقال أبو العالية بغياً على الدنيا وملكها وزخرفها وزينتها وسلطانها « وإن الذين اورثوا الكتاب من بعدهم لفي شكٍ منه مريب» قال من هذا الاخلاص

(قف على تفسير آيات إقامة الدين)

﴿ باب ذكر الدليل في أقاويل السلف على أن الاختلاف خطأ وصواب يلزم طالب الحجة عنده وذكر بعض ما خطأ فيه بعضهم بعضاً وأنكره بعضهم على بعض عند اختلافهم وذكر معنى قوله صلى الله عليه وسلم اصحابي كالنجوم ﴾

عن سعيد بن جُبَير قال قلت لابن عباس إن نَوْفاً البِكَالي(١) يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس موسى بني اسرائيل فقال كذب حدثني ابيّ بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث بطوله (قال أبو عمر) قد ردّ أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه قول الصحابة في الردّة وقال والله لو منعوني عِقَالاً (٢) أو قال عَناقاً مما أعطوه رسول الله صلى الله عليه وسلم لجاهدتهم عليه . وقطع عمر ابن الخطاب اختلاف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في التكبير على الجنائز وردّهم الى أربع . وسمع سلمان بن ربيعة(٣) وزيد بن صوحان الضبّي(٤) ابنَ معبد مُهلاً بالحج والعمرة معاً فقال احدهما لصاحبه هذا أضلُّ من

---

(١) ابن فَضالة شامي مستور وإنما كذّب ابن عباس ما رواه عن أهل الكتاب. مات بعد التسعين هـ تقريب (٢) أي زكاة عام من الأبل والغنم والعناق زكاة عامين هـ قاموس (٣) الباهلي أبو عبد الله سلمان الخيل يقال له صحبة ولاّه عمر قضاء الكوفة وغزا أرمينية في زمن عثمان فاستشهد هـ تقريب (٤) الذي في اسد الغابة هو العبدي لا الضبّي وقال الكلبي إنّ له صحبة قتل يوم الجمل هـ باختصار

بعير أهله فأخبر بذلك عمر فقال لو لم يقولا شيئاً هُديتَ لسنة نبيك. وردّت عائشة قول أبي هريرة تقطع المرأة الصلاة وقالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي وأنا معترضة بينه وبين القبلة. وردّت قول ابن عمر الميت يعذّب ببكاء أهله عليه وقالت وهِمَ أبو عبد الرحمن أو أخطأ أو نسي. وكذلك قالت له في عُمَرِ رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ زعم ابن عمر أنه اعتمر أربع عُمَرٍ فقالت عائشة هذا وهم منه على أنه قد شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عُمَرَه كلها ما اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ثلاثاً. وانكر ابن مسعود على أبي هريرة قوله من غسّل ميتاً فليغتسل ومن حمله فليتوضأ وقال فيه قولاً شديداً وقال يا أيها الناس لا تنجسوا من موتاكم. وقيل لابن مسعود إن سلمان بن ربيعة وأبا موسى الاشعري قالا في بنت وبنت ابن واخت إن المال بين البنت والأخت يقسم نصفين ولا شيء لبنت الابن وقالا للسائل وائت ابن مسعود فإنه سيتابعنا فقال ابن مسعود لقد ضللتُ إذاً وما أنا من المهتدين بل أقضي فيها بقضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم للبنت النصف ولابنة الإبن السدس تكملة الثلثين وما بقي فللأخت. وأنكر جماعة أزواج النبي صلى الله عليه وسلم على عائشة رضاع الكبير ولم تأخذ واحدة منهن بقولها في ذلك. وأنكر ذلك أيضاً ابن مسعود على أبي موسى الاشعري وقال إنما الرضاعة ما أنبت اللحم والدم فرجع أبو موسى الى قوله. وانكر ابن مسعود على عليّ أنه أحرق المرتدين بعد قتلهم (وقيل قبل قتلهم والأوّل أصح) واحتج ابن مسعود بقوله صلى الله عليه وسلم من بدّل دينه فأضربوا عنقه فبلغ ذلك علياً فأعجبه قوله

(قال أبو عمر) لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقل فاضربوا عنقه ثم احرقوه. ورُفع الى علي بن أبي طالب أن شُرَيْحًا قضى في رجل وجد آبقاً فأخذه ثم أبق منه أنه يضمن العبد فقال علي أخطأ شريح وأساء القضاء بل يحلف بالله لأبق منه وهو لا يعلم وليس عليه شيء. وعن عمر في الجارية النَّوبية التي جاءت حاملاً الى عمر فقال امعلي وعبد الرحمن ما تقولان فقالا أقضاء غير قضاء الله تلتمس قد أقرّت بالزنا فحُدّها وعثمان ساكت فقال عمر لعثمان ما تقول فقال أراها تستهلّ به وإنما الحدّ على من علمه فقال عمر القول ما قلتَ ما الحد إلا على من علمه. وقيل لابن عباس إن علياً يقول لا تؤكل ذبائح نصارى العرب لأنهم لم يتمسكوا من النصرانيــة إلا بشرب الخمر فقال ابن عباس تؤكل ذبائحهم لأن الله يقول «ومن يتولهم منكم فإنه منهم» وعن ابن عمر في الذي توالى عليه رمضانان بَدَنتان مقلّدتان فأخبر ابن عباس بقوله فقال وما للبُدْن وهذا يطعم ستين مسكيناً فقال ابن عمر صدق ابن عباس إمضِ لما أمرك به. وقال عليّ رضي الله عنــه المكاتب يعتق اذا

عجز يعتق منه بقدر ما أدّى فقال زيد هو عبد ما بقي عليه درهم وقال عبد الله بن مسعود اذا أدّى الثلث فهو غريم. وعن عمر بن الخطاب اذا أدّى الشطر فلا رِقّ عليه وقال شريح اذا أدّى قيمته فهو غريم. وعن ابن مسعود أيضاً مثله. وقال زيد وابن عمر وعثمان وعائشة وام سلمة هو عبدٌ ما بقي عليه درهم. وروى وكيع عن اسمعيل بن عبد الملك قال سألت سعيد بن جبير عن ابنة وابني عم أحدهما أخ لأم فقال للابنة النصف وما بقي فلابن العم الذي ليس بأخ لأم قال وسألت عطاء فقال أخطأ سعيد بن جبير للابنة النصف ومابقي بينهما نصفان قال يحي بن آدم والقول عندنا قول عطاء لإن الابنة والاخت لا تحجب العصبة ولم تزده الأم الا قرباً. وعن اسمعيل بن أبي خالد قال قلت للشعبي ان ابراهيم قال في الرجل يكون له الدين على الرجل الى أجل فيضع له بعضاً ويعجل له بعضاً انه لا بأس به وكرهه الحكم فقال الشعبي أصاب الحكم وأخطأ ابراهيم. وقيل لسعيد بن جبير إن الشعبي يقول العمرة تطوع فقال أخطأ الشعبي. وذكر لسعيد بن المسيّب قول شريح في المكاتب فقال أخطأ شريح. وعن شعبة قال قال قتادة قلت لابن المسيب إن شريحاً قال يُبدأ بالمكاتبة قبل الدين أو يشرك بينهما (شكّ شعبة) قال ابن المسيب أخطأ شريح وان كان قاضياً قال زيد بن ثابت يبدأ بالدين. وعن مغيرة قال ما رأيت الشعبي وحماداً تماريا في شيء إلا غلبه حمّاد إلاّ هذا سئل عن القوم يشتركون في قتل الصيد وهم حُرُم فقال حماد عليهم جزاء واحد وقال الشعبي على كل واحد منهم جزاء ثم قال الشعبي أرأيت لو قتلوا رجلاً ألم يكن على كل واحد منهم كفارة فظهر عليه الشعبي. وقال عبد الرزاق عن الثوري في رجل قال لرجل بعني نصف دارك مما يلي داري قال هذا بيع مردود لانه لا يدري أين ينتهي بيعه ولو قال أبيعك نصف الدار أو ربع الدار جاز قال عبد الرزاق فذكرت ذلك لمعمر فقال هذا قول سواء كله لا بأس به. وعن قتادة أن إياس بن معاوية أجاز شهادة رجل وامرأتين في الطلاق قال قتادة فسئل الحسن عن ذلك فقال لا تجوز شهادة النساء في الطلاق قال فكتب الى عمر بن عبد العزيز بقول الحسن وقضاء إياس فكتب عمر أصاب الحسن وأخطأ إياس (قال أبو عمر) هذا كثير في كتب العلماء وكذلك اختلاف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين ومَن بعدهم من المخالفين وما ردّ فيه بعضهم على بعض لا يكاد يحيط به كتاب فضلاً عن أن يجمع في باب وفيما ذكرنا منه دليل على ما عنه سكتنا وفي رجوع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضهم الى بعض وردّ بعضهم على بعض دليل واضح على ان اختلافهم عندهم خطأ وصواب ولولا ذلك كان يقول كل واحد منهم جائز ما قلتَ أنت وجائز ما قلت

أنا وكلانا نجم يهتدى به فلا علينا شيءٌ من اختلافنا . (قال أبو عمر) والصواب مما اختلف فيه وتدافع وجه واحد ولو كان الصواب في وجهين متدافعين ما خطأ السلف بعضهم بعضاً في اجتهادهم وقضاءهم وفتواهم والنظر يأبى أن يكون الشيء وضده صواباً ولقد أحسن القائل

اثبات ضدين معاً في حال أقبح ما يأتي من المحال

ومن تدبر رجوع عمر الى قول معاذ في المرأة الحامل وقوله لولا معاذ هلك عمر علم صحة ما قلنا . وكذلك رجع عثمان في مثلها الى قول علي وروي أنه رجع في مثلها الى قول ابن عباس وروي أن عمر إنما رجع فيها الى قول علي وليس كذلك إنما رجع عمر الى قول معاذ في التي أراد رجمها حاملا فقال له معاذ ليس لك على ما في بطنها سبيل ورجع الى قول علي في التي وضعت لستة أشهر . وروى قتادة عن ابن أبي حرب ابن أبي الاسود عن أبيه أنه رفع الى عمر امرأة ولدت لستة اشهر فهم عمر برجمها فقال له علي ليس ذلك لك قال الله تبارك وتعالى « والوالداتُ يرضعن أولادهنَّ حولين كاملين » وقال « وحمله وفصاله ثلاثون شهراً » لا رجم عليها فخلى عمر عنها فولدت مرةً أخرى لذلك الحد . ذكره عفان عن يزيد ابن زريع عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة ورجع عثمان عن حجبه الأخ بالجد الى قول علي ورجع عمر وابن مسعود عن مقاسمة الجد الى السدس الى قول زيد في المقاسمة الى الثلث ورجع علي عن موافقته عمر في عتق أمهات الاولاد وقال له عبيدة السلماني رأيك مع عمر أحب الي من رأيك وحدك وتمادى علي على ذلك فأرقهن . ورجع ابن عمر الى قول ابن عباس فيمن توالى عليه رمضانان . وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه رُدّوا الجهالات الى السنة . وفي كتاب عمر الى أبي موسى الاشعري لا يمنعنك قضاء قضيته بالامس راجعت فيه نفسك وهديت فيه لرشدك أن ترجع فيه الى الحق فإن الحق قديم والرجوع الى الحق أولى من التمادي في الباطل

(قف على ما كتبه عمر)

وروي عن مطرف بن الشخير أنه قال لو كانت الاهواء كلها واحداً لقال القائل لعل الحق فيه فلما تشعبت وتفرقت عرف كل ذي عقل أن الحق لا يتفرق . وعن مجاهد « ولا يزالون مختلفين » قال أهل الباطل « إلّا من رحم ربك » قال أهل الحق ليس بينهم اختلاف . وقال أشهب سمعت مالكا يقول ما الحق الا واحد قولان مختلفان لا يكونان صوابا جميعاً ما الحق والصواب الا واحد قال أشهب وبه يقول الليث

(قف على أن الحق لا تفرق فيه)

(قال أبو عمر) الاختلاف ليس بحجة عند أحد علمته من فقهاء الامة إلا من لا بصَرَ له ولا معرفة عنده ولا حجة في قوله (قال المزني) يقال لمن جوّز الاختلاف وزعم

ان العالِمَين إذا اجتهدا في الحادثة فقال احدهما حلال والآخر حرام فقد أدّى كل واحد منهما جهده وما كلّف وهو في اجتهاده مصيبٌ الحقّ أ بأصل قلتَ هذا ام بقياس فإن قال بأصل قيل له كيف يكون اصلا والكتاب اصل ينفي الخلاف وإن قال بقياس قيل كيف تكون الاصول تنفي الخلاف ويجوز لك ان تقيس عليها جواز الخلاف هذا ما لا يجوّزه عاقل فضلا عن عالم ويقال له أليس اذا ثبت حديثان مختلفان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في معنى واحد احلّه احدهما وحرّمه الآخر وفي كتاب الله او في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم دليل على اثبات احدهما ونفي الآخر أليس يثبت الذي يثبته الدليل ويُبطل الآخر ويبطل الحكم به فإن خفي الدليل على احدهما وأشكل الامر فيهما وجب الوقوف فإذا قال نعم (ولا بد من نعم وإلا خالف جماعة العلماء) قيل فلِمَ لا تصنع هذا برأي العالمين المختلفين فتُثبت منهما ما يثبته الدليل وتُبطل ما أبطله الدليل (قال أبو عمر) ما ألزمه المزني عندي لازم فلذلك ذكرته وأضفته الى قائله لانه يقال من بركة العلم أن تضيف الشيء الى قائله وهذا باب يتسع فيه القول

وقد جمع الفقهاء من أهل النظر في هذا وطوّلوا وفيما لوّحنا مقنع ونصاب كاف لمن فهمه وأنصف نفسه ولم يخادعها بتقليد الرجال • وعن ابن وضاح قال سمعت سحنون يقول قال ابن القاسم من صلى خلف أهل الاهواء يعيد في الوقت قلت لسحنون ماتقول أنت قال أقول ان الإعادة ضعيفة قلت له ان اصبغ بن الفرج يقول يعيد أبداً في الوقت وبعده اذا صلى خلف أحد من أهل الاهواء والبدع فقال سحنون لقدجاء من رأى الإعادة عليهم في الوقت وبعده ببدعة أشد من بدعة صاحب البدعة

(قال أبو عمر) لاصحابنا من ردِّ بعضهم لقول بعض بدليل وبغير دليل شيءٌ لايكاد يحصى كثرة ولو تقصّيته لقام منه كتاب كبير أكبر من كتابنا هذا ولكني رأيت القصد الى مايلزم أولى وأوجب فاقتصرنا على الحجة عندنا وبالله عصمتنا وتوفيقنا وهو نعم المولى ونعم المستعان

(قال المزني) رحمه الله في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (أصحابي كالنجوم) قال إن صح هذا الخبر فمعناه فيما نقلوا عنه وشهدوا به عليه فكلهم ثقة مؤتمن على ماجاء به لايجوز عندي غير هذا وأما ماقالوا فيه برأيهم فلو كان عند أنفسهم كذلك ماخطّأ بعضهم بعضاً ولا أنكر بعضهم على بعض ولا رجع منهم أحدٌ إلى قول صاحبه فتدبر . وعن محمد ابن أيوب الرقي قال قال انا أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار سألتهم عما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم مما في أيدي العامة يروونه عن النبي صلى الله عليه

وسلم أنه قال إنما مثل أصحابي كمثل النجوم أو أصحابي كالنجوم فبأيها اقتدوا اهتدوا قالوا هذا الكلام لا يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم رواه عبد الرحيم بن زيد العمي عن أبيه عن سعيد بن المسيب عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم. وربما رواه عبد الرحيم عن أبيه عن ابن عمر وإنما أتى ضعف هذا الحديث من قبل عبد الرحيم بن زيد لأن أهل العلم قد سكتوا عن الرواية لحديثه والكلام أيضاً منكر عن النبي صلى الله عليه وسلم. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم بإسناد صحيح عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين بعدي فعضوا عليها بالنواجذ. وهذا الكلام يعارض حديث عبد الرحيم لو ثبت فكيف ولم يثبت والنبي صلى الله عليه وسلم لا يبيح الاختلاف بعده من أصحابه والله أعلم هذا آخر كلام البزار (قال أبو عمر) قد روى أبو شهاب الحناط عن حمزة الجزري عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أصحابي مثل النجوم فأيهم أخذتم بقوله اهتديتم. وهذا اسناد لا يصح ولا يرويه عن نافع من يحتج به وليس كلام البزار بصحيح على كل حال لأن الاقتداء بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منفردين انما هو لمن جهل ما يسئل عنه ومن كانت هذه حاله فالتقليد لازم له ولم يأمر أصحابه أن يقتدي بعضهم ببعض إذا تأولوا تأويلا سائغا جائزاً ممكنا في الاصول وانما كل واحد منهم نجم جائز أن يقتدي به العامي الجاهل بمعني ما يحتاج اليه من دينه وكذلك سائر العلماء مع العامة والله أعلم. وقد روي في هذا الحديث اسناد غير ما ذكر البزار عن سلام بن سليم قال حدثنا الحارث بن غصين عن الاعمش عن ابي سفيان عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم (قال أبو عمر) هذا إسناد لا تقوم به حجة لأن الحارث بن غصين مجهول. وعن الحكم بن عتيبة قال ليس أحد من خلق الله إلا يؤخذ من قوله ويترك الا النبي صلى الله عليه وسلم. وعن ابن أبي عمر قال حدثنا سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال ليس أحد من خلق الله الا وهو يؤخذ من قوله ويترك الا النبي صلى الله عليه وسلم. وعن عبد الله ابن وهب قال سمعت سفيان يحدث عن عبد الكريم عن مجاهد انه قال ليس أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو يؤخذ من قوله ويترك. وعن يونس بن عبد الأعلى قال حدثنا ابن عيينة عن عبد الكريم عن مجاهد مثله. وعن الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني قال حدثنا سفيان بن عيينة عن عبد الكريم عن مجاهد مثله أيضاً

(قال أبو عمر) وافق الحسن الزعفراني ويونس بن عبد الاعلى ابن وهب في اسناد هذا الحديث وخالفهم ابن أبي عمر وكلا الحديثين صحيح ان شاء الله وجائز أن يكون عند ابن عيينة هذا

الحديث عن عبد الكريم الجزري(١) وابن أبي نجيح(٢) جميعاً عن مجاهد ، وعن خالد بن الحارث قال قال سليمان التيمي لو أخذتَ برخصة كل عالم اجتمع فيك الشر كله . وفي رواية عنه إن أخذت برخصة كل عالم اجتمع فيك الشر كله (قال أبو عمر) هذا اجماع لا أعلم فيه خلافاً

﴿ باب ما يكره فيه المناظرة والجدال والمراء ﴾

(قال أبو عمر) الآثار كلها في هذا الباب المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم إنما وردت في النهي عن الجدال والمراء في القرآن وروى سعيد بن المسيّب وأبو سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال المِراءُ في القرآن كفر . ولا يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم فيه غير هذا بوجه من الوجوه والمعنى أن يتمارى اثنان في آية يجحدها أحدهما ويدفعها أو يصير فيها الى الشك فذلك هو المراء الذي هو الكفر وأما التنازع في أحكام القرآن ومعانيه فقد تنازع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في كثير من ذلك وهذا يبين لك أن المراء الذي هو كفر هو الجحود والشك كما قال عز وجل « ولا يزال الذين كفروا في مِرْيَةٍ منه » ونهى السلف رحمهم الله عن الجدال في الله جل ثناؤه في صفاته وأسمائه . وأما الفقه فأجمعوا على الجدال فيه والتناظر لأنه علم يحتاج فيه الى ردّ الفروع الى الأصول للحاجة الى ذلك وليس الاعتقادات كذلك لان الله جلّ وعز لا يوصف عند الجماعة أهل السنة الا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم أو أجمعت الامة عليه وليس كمثله شيء فيدرك بقياس أو بإنعام نظر وقد نهينا عن التفكر في الله وأمرنا بالتفكر في خلقه الدال عليه والكلام في ذلك موضع غير هذا والدين قد وصل الى العذراء في خِدْرها (٣) والحمد لله . وعن يحيى بن سعيد قال قال عمر بن عبد العزيز من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقّل . وعن المغيرة عن ابراهيم قالوا كانوا يكرهون التلوّن في الدين . وعن عبد الرحمن بن عمرو الاوزاعي أن عمر بن عبد العزيز قال اذا رأيت قوماً يتناجون في دينهم دون العامة فاعلم

(قف على كلام عمر بن عبد العزيز)

---

(١) الحضرمي مولى بني أمية ثقة متقن مات سنة ١٢٧ هـ تقريب (٢) هو عبد الله ابن يسار الثقفي مولاهم ثقة رُمي بالقدَر وربما دلّس مات سنة ١٣١ وقيل بعدها هـ منه

(٣) هذا مايقوله أبو عمر رحمه الله في عصره ولو كان في عصرنا هذا الذي غشيته سحب الجهالات والضلالات فماذا يقول فعلى أهل العلم أن يتعظوا بهذا ويعملوا على ارشاد الناس الى الهدْي القويم والصراط المستقيم وليحذروا أن يدخلوا في عموم قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا لاتخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون »

(قف على كلام حذيفة والاوزاعي)

أنهم على تأسيس ضلالة • وعن خالد بن سعيد قال دخل أبو مسعود على حذيفة قال إعهد الي قال أولم يأتك اليقين قال بلى قال فان الضلالة حق الضلالة أن تعرف ما كنت تنكر وتنكر ما كنت تعرف واياك والتلوّن في دين الله فان دين الله واحد • وقال الاوزاعي بلغني أن الله اذا أراد بقوم شراً ألزمهم الجدل ومنعهم العمل • وعن الفزاري قال سئل عمر بن عبد العزيز عن قتال أهل صِفّين قال تلك دماء كفّ الله عنها يدي لا أريد أن ألطخ بها لساني • وعن العوام بن حوشب (١) عن ابراهيم التيمي في قوله تعالى «فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء» قال الخصومات بالجدال في الدين قال وقال معاوية بن عمرو اياكم وهذه الخصومات فإنها تحبط الاعمال • وعن أبي يعلى منذر بن يعلى الثوري (٢) عن ابن الحنفية (٣) قال لا تنقضي الدنيا حتى تكون خصوماتهم في ربهم • وقال ابن عباس لا يزال أمر هذه الامة مقارباً حتى يتكلموا في الولدان والقدر • وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تقوم الساعة حتى تكون خصومات الناس في ربهم) قال عبد الملك بن محمد الرَّقاشي (٤) فذكرت ذلك لعلي ابن المديني فقال ليس هذا بشيء انما أراد حديث محمد بن الحنفية لا تقوم الساعة حتى تكون خصوماتهم في ربهم • وقال الهيثم بن جميل قلت لمالك بن أنس يا أبا عبد الله الرجل يكون عالما بالسنة أيجادل عنها قال لا ولكن يخبر بالسنة فان قبلت منه والا سكت • وعن أحمد بن زهير قال قال لي مُصعَب بن عبد الله ناظرني اسحق بن أبي اسرائيل فقال لا أقول كذا ولا أقول غيره يعني في القرآن فناظرته فقال لم أقف على الشك ولكني أقول كما قال أسكت كما سكت القوم قال فأنشدته هذا الشعر فأعجبه وكتبه وهو شعر قيل منذ أكثر من عشرين سنة

(قف على ابيات جيلة جدا)

أأقعد بعدما رجفت عظامي ... وكان الموت أقربَ ما يليني

أجادل كل معترض خصيم ... وأجعل دينه غَرضاً لديني

فأترك ماعلمتُ لرأي غيري ... وليس الرأي كالعلم اليقيني

وما أنا والخصومة وهي لَبْسٌ ... تَصرَّف في الشمال وفي اليمين

وقد سُنّت لنا سُننٌ قوام ... يلحن بكل فجّ (٥) أو وَجين

---

(١) الشيباني ثقة ثَبتٌ فاضل مات سنة ١٤٨ هـ تقريب (٢) الكوفي ثقة فاضل هـ منه (٣) هو محمد بن علي بن أبي طالب كان كثير العلم والورع شديد القوة مات سنة ٨١ وقيل أكثر هـ ابن خلكان (٤) البصري صدوق يخطئ مات سنة ٢٧٦ هـ تقريب (٥) الفج الطريق الواسع بين جبلين كالفجاج بالضم • والوجين شط الوادي هـ قاموس

وكان الحق ليس له خفاء ... أغر كغرة الفلق المبين
وما عوض لنا منهاج جهم ... بمنهاج ابن آمنة الأمين
فأما ما علمت فقد كفاني ... وأما ما جهلت فجنبوني
فلست مكفراً أحداً يصلي ... وما أحرمكم أن تكفروني
وكنا إخوة نرمي جميعاً ... فنرمي كل مرتاب ظنين
فما برح التكلف ان رمينا ... بشأن واحد فرق الشؤون
فأوشك أن يخر عماد بيت ... وينقطع القرين عن القرين

(قال أبو عمر) كان مصعب بن عبد الله الزبيري شاعرا محسنا ذكر له ابن أخيه الزبير بن بكار أشعارا حسانا يرثي بها أباه عبد الله بن مصعب بن ثابت وهذا الشعر عندهم له لاشك فيه والله أعلم

[قف على كلام الامام مالك]

وعن مصعب بن عبد الله الزبيري قال كان مالك بن أنس يقول الكلام في الدين أكرهه ولم يزل أهل بلدنا يكرهونه وينهون عنه نحو الكلام في رأي جهم والقدر وما أشبه ذلك ولا أحب الكلام الا فيما تحته عمل فأما الكلام في دين الله وفي الله عز وجل فالسكوت أحب الي لأني رأيت أهل بلدنا ينهون عن الكلام فى الدين إلا فيما تحته عمل (قال أبو عمر) قد بيّن مالك رحمه الله أن الكلام فيما تحته عمل هو المباح عنده وعند أهل بلده يعني العلماء منهم رضي الله عنهم وأخبر أن الكلام في الدين نحو القول في صفات الله وأسمائه وضرب مثلا فقال نحو قول جهم والقدر والذي قاله مالك (رحمه الله) عليه جماعة الفقهاء والعلماء قديماً وحديثاً من أهل الحديث والفتوى وإنما خالف ذلك أهل البدع المعتزلة وسائر الفرق وأما الجماعة فعلى ماقال مالك رحمه الله إلا أن يضطر أحد الى الكلام فلا يسعه السكوت اذا طمع برد الباطل وصرف صاحبه عن مذهبه أو خشي ضلال عامة أو نحو هذا. قال ابن عيينة سمعت من جابر الجعفي (١) كلاماً خشيت أن يقع علي وعليه البيت . وقال يونس بن عبد الأعلى سمعت الشافعي يوم ناظره حفص الفرد قال لي يا أبا موسى لأن يلقى الله عز وجل العبد بكل ذنب ماخلا الشرك خير من أن يلقاه بشيء من الكلام لقد سمعت من حفص كلاماً لا أقدر أن أحكيه . وعن الشافعي لو علم الناس ما في الكلام من الاهواء لفروا منه كما يفر من الأسد . وقال اذا سمعت الرجل يقول الاسم غير المسمى أو الاسم المسمى فاشهد عليه انه من أهل الكلام ولا دين له . وعنه قال حكمي في

(١) الكوفي ضعيف رافضي مات سنة ١٢٧ هـ تقريب

أهل الكلام أن يضربوا بالجريد ويطاف بهم في القبائل هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ في الكلام • وقال أحمد بن حنبل لايفلح صاحب كلام أبداً ولا تكاد ترى أحداً نظر في الكلام إلا وفي قلبه دَغَل (١) • وقال مالك أرأيت إن جاءه من هو أجدل منه أيدع دينه كل يوم لدين جديد • وعن الحسن بن زياد اللؤلؤي وقال له رجل في زُفر ابن الهُذَيل(٢) أكان ينظر في الكلام فقال سبحان الله ماأحمقك ماأدركت مشيختنا زفر وأبا يوسف وأبا حنيفة ومن جالسنا وأخذنا عنه يهمهم غير الفقه والاقتداء بمن تقدمهم • وروينا أن طاوسا ووهب بن منبه التقيا فقال طاوس لوهب ياأبا عبد الله بلغني عنك أمر عظيم فقال ماهو قال تقول إن الله حمل قوم لوط بعضهم على بعض قال أعوذ بالله ثم سكتا قال فقلت هل اختصما قال لا (قال أبو عمر) اجمع أهل الفقه والآثار في جميع الأمصار أن أهل الكلام أهل بدع وزيغ ولا يعدون عند الجميع في جميع الامصار في طبقات العلماء وإنما العلماء أهل الأثر والتفقه فيه ويتفاضلون فيه بالإتقان والميز والفهم

(قف على قول ابى عمر)

وعن أبي عبدالله محمد بن أحمد بن اسحق بن خُويز منداد المصري المالكي فى كتاب الإجارات من كتابه في الخلاف قال مالك لاتجوز الإجارات فى شيء من كتب الاهواء والبدع والتنجيم وذكر كتباً ثم قال وكتب أهل الاهواء والبدع عند أصحابنا هي كتب أصحاب الكلام من المعتزلة وغيرهم وتفسخ الاجارة فى ذلك قال وكذلك كتب القضاء بالنجوم وعزايم الجن وما أشبه ذلك وقال في كتاب الشهادات في تأويل قول مالك لاتجوز شهادة أهل البدع وأهل الاهواء (قال) أهل الاهواء عند مالك وسائر أصحابنا هم أهل الكلام فكل متكلم فهو من أهل الاهواء والبدع أشعريا كان أوغير أشعري ولا تقبل له شهادة في الإسلام أبداً ويهجر ويؤدب على بدعته فان تمادي عليها استتيب منها (قال أبو عمر) ليس فى الاعتقاد كله في صفات الله وأسمائه الا ماجاء منصوصاً في كتاب الله أوصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أجمعت عليه الأمة وما جاء من أخبار الآحاد في ذلك كله أو نحوه يسلم له ولا يناظر فيه • وعن الأوزاعي قال كان مكحول والزهري يقولان أمرّوا هذه الاحاديث كما جائت • وقد رَوَينا عن مالك بن أنس والأوزاعي وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة ومعمر بن راشد(٣) فى الاحاديث في الصفات

---

(١) الدَّغَل محركةً دَخَلٌ في الأمر مفسدٌ ه (٢) العَنبري الفقيه الحنفي جمع بين العلم والعبادة مات سنة ١٥٨ ه ابن خلكان [٣] الازدي مولاهم البصري ثقة ثبت وفي روايته عن ثابت والأعمش وهشام بن عروة شيءٌ مات سنة ١٥٤ه تقريب

أنهم كلهم قالوا أمرّوها كما جاءت (قال أبو عمر) نحو حديث التنزُّل وحديث إن الله خلق آدم على صورته وأنه يُدخل قَدَمَهُ في جهنم وأنه يضع السموات على أصبع وأن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلّبها كيف شاء وان ربكم ليس بأعور وما كان مثل هذه الاحاديث وقد شرحنا القول في هذا الباب من جهة النظر والأثر وبسطناه في كتاب التمهيد عند ذكر حديث التنزل فمن أراد الوقوف عليه تأمّله هناك على اني أقول لاخير في شيء من مذاهب أهل الكلام كلهم وبالله التوفيق. وعن هشام قال كان الحسن يقول لاتجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم ولا تسمعوا منهم . وعن جعفر عن رجل من فقهاء أهل المدينة قال إن الله تبارك وتعالى علِمَ علماً علّمه العباد وعلِمَ علماً لم يعلّمه العباد فمن تطلّب العلم الذي لم يعلمه العباد لم يزدد منه إلا بُعداً قال والقدر منه . وعن سعيد بن جبير قال مالم يعرفه البدريون فليس من الدين: وقال جعفر بن محمد الناظر في القـدر كالناظر في عين الشمس كلما ازداد نظراً ازداد حيرة

(قف على قول جعفر وسعيد بن جبير)

(قال أبو عمر) ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من نقل الثقاة وجاء عن الصحابة وصح عنهم فهو علم يُدان به وما أحـدث بعدهم ولم يكن له أصل فيما جاء عنهم فبدعة وضلالة وما جاء في أسماء الله وصفاته عنهم سلّم له ولم يُناظَر فيه كما لم يُناظِروا (قال أبو عمر) رواها السّلف وسكتوا عنها وهم كانوا أعمق الناس علماً وأوسعهم فهماً وأقلهم تكلفاً ولم يكن سكوتهم عن عِيٍّ فمن لم يسعه ما وسعهم فقد خاب وخسر . وعن عبد ربه قال كان الحسن في مجلس فذكر أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقال إنهم كانوا أبرّ هـذه الأمة قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلّفاً قوماً اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم فتشبّهوا بأخلاقهم وطرائقهم فإنهم ورب الكعبة على الهَدْي المستقيم . وعن ابراهيم قال لم يُدّخر لكم شيءٌ خبيءٌ من القوم لفضل عندكم . وعن حذيفة أنه كان يقول اتقوا الله يا معشر القرّاء وخذوا طريق من كان قبلكم فلعمري لئن اتبعتموه فلقد سبقتم سـبقاً بعيداً ولئن تركتموه يميناً وشمالا لقد ضللتم ضلالاً بعيدا . وعن قتادة قال قال ابن مسعود من كان منكم متأسّياً فليتأسَّ بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فإنهم كانوا أبرّ هذه الأمة قلوباً وأعمقها علماً وأقلّها تكلفاً وأقومها هدياً وأحسنها حالاً قوماً اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم وإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم فإنهم كانوا على الهدي المستقيم . وعن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماضلّ قوم بعد هُدىً إلا لُقّنوا الجدل ثم قرأ « ما ضربوه لكَ إلا جَدَلاً بلْ هم قومٌ خَصِمون »

(قف على كلام الحسن)

(قال أبو عمر) تناظر القوم وتجادلوا في الفقه ونهوا عن الجدال في الاعتقاد لأنه يؤول إلى الانسلاخ من الدين ألا ترى مناظرة بشر في قوله عز وجـل « ما يكون

من نجوى ثلاثةٍ إلا هو رابعهم» حين قال هو بذاته في كل مكان فقال له خصمه فهو في قلنسوتك وفي حشك (١) وفي جوف حمار تعالى الله عما يقولون حكى ذلك وكيع رحمه الله وأنا والله أكره أن أحكي كلامهم قبحهم الله فمن هذا وشبهه نهى العلماء

وأما الفقه فلا يوصل إليه ولا ينال أبداً دون تناظر فيه وتفهم له . وذكر ابن وهب في جامعه قال سمعت سليمان بن بلال[٢] يقول سمعت ربيعة يسئل لم قدمت البقرة وآل عمران وقد نزل قبلهما بضع وثمانون سورة وإنما أنزلتا بالمدينة فقال ربيعة قد قدمتا وألف القرآن على علم ممن ألفه وقد اجتمعوا على العلم بذلك فهذا مما ينتهى اليه ولا يسئل عنه . وعن عبد الرحمن بن أبي الزناد (٣) عن أبيه قال وأيم الله إن كنا لنلتقط السنن من أهل الفقه والثقة ونتعلمها شبيهاً بتعلمنا آي القرآن وما برح من أدركنا من أهل الفقه والفضل من خيار أولية الناس يعيبون أهل الجدل والتنقيب والأخذ بالرأي وينهون عن لقاءهم ومجالستهم ويحذرون مقاربتهم أشد التحذير ويخبرون أنهم أهل ضلال وتحريف لتأويل كتاب الله وسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم وما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كره المسائل وناحية التنقيب والبحث وزجر عن ذلك وحذره المسلمين في غير موطن حتى كان من قوله كراهية لذلك (ذروني ما تركتكم فإنما هلك الذين من قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بشيء فخذوا منه ما استطعتم) ولقد أحسن القائل

قد نقر الناس حتى أحدثوا بدعاً ... في الدين بالرأي لم تبعث بها الرسل
حتى استخف بدين الله أكثرهم ... وفي الذي حملوا من دينه شغل

وعن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ألا هلك المتنطعون ثلاثاً. وعن زكريا بن يحي قال سمعت الاصمعي يقول قال عبد الله بن حسن المراء يفسد الصداقة القديمة ويحل العقدة الوثيقة وأقل ما فيه أن تكون المغالبة والمغالبة أمتن أسباب القطيعة . وعن جعفر بن عون (٤) قال سمعت مِسْعَراً يقول يخاطب ابنه كداما

إني منحتك يا كدام نصيحتي ... فاسمع لقول أبٍ عليك شفيقِ
أما المزاحة والمراء فدعهما ... خلقان لا أرضاهما لصديق

---

(١) الحُشّ مثلث الحاء المخرج والبُستان ه قاموس [٢] التيمي مولاهم ثقة مات سنة ١٦٢ ه تقريب (٣) عبد الله بن ذكوان المدني مولى قريش صدوق تغير حفظه لما قدم بغداد مات سنة ١٧٤ ه تقريب (٤) المخزومي صدوق مات سنة ٢٠٦ وقيل أكثر ه منه

إني بلوتهما فلم أحمدهما لمجاور جاراً ولا لرفيق
والجهل يُزري بالفتى في قومه وعروقه في الناس أيّ عروق

وقد رويت هذه الأبيات لمسعر بن كدام (١) من وجوه فاقتصرت منها على ماحضرني ذكره

﴿ باب إثبات المناظرة والمجادلة واقامة الحجة ﴾

قال الله جلّ وعزّ « وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيّهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين » وقال « ليَهلكَ من هلك عن بيّنةٍ ويَحْيَى من حَيّ عن بيّنة » والبيّنة ما بان به الحق وقال « قل هل عندكم من سلطان بهذا » قال المفسرون من حُجةٍ قالوا والسلطان الحجة وقال الله جل وعز « قل فلله الحجة البالغة » وقال « يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها »

وعن انس بن مالك في قوله « اليوم نختم على أفواههم » قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فضحك حتى بدت نواجذه وقال هل تدرون ممّ ضحكت وذكر شيئاً ثم قال في مجادلة العبد ربه يوم القيامة قال يقول يارب ألم تجرني من الظلم قال بلى قال فإني لا أجيز عليّ اليوم شاهداً إلا من نفسي قال « كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً » كذا قال فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقي فتنطق بأعماله ثم يخلّى بينه وبين الكلام فيقول بعداً لكنّ فعنكنّ كنت اناضل • وقال تعالى « انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون » وقال « ألم تر إلى الذي حاجّ ابراهيم في ربه أن آتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأتِ بها من المغرب فبهت الذي كفر » يقول فانقطع وخصم ولحقه البهت عند أخذ الحجة له ووصف الله جلّ وعز خصومة ابراهيم صلى الله عليه وسلم قومه وردّه عليهم وعلى أبيه في عبادة الأوثان « اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون » الى قوله « أفٍّ لكم ولِمَا تعبدون من دون الله » الآيات كلها ونحو هذا في سورة الظُّلة « إذ قال لابيه وقومه ماتعبدون قالوا نعبد أصناماً فنظلّ لها عاكفين قال هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون » فحادوا عن جواب سؤاله هذا إذ انقطعوا وعجزوا عن الحجة فقالوا « بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون » وهذا ليس بجواب عن هذا السؤال ولكنه حيدةٌ وهربٌ عما لزمهم وهو ضرب من الانقطاع وقال جل وعز « وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجاتٍ مَنْ نشاء » قالوا بالعلم والحجة وقال في قصة نوح « قالوا يانوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا » الآيات

---

(١) الهلالي الكوفي ثقة ثبت فاضل مات سنة ١٥٣ هـ تقريب

الى قوله وأنا بريء مما تُجرمون » وقال في قصة موسى صلى الله عليه وسلم « قال فمن ربكما يا موسى » الآيات الى قوله «تارة أخرى » وكذلك قول فرعون « وما ربّ العالمين » الى قوله « أوَلو جئتك بشيءٍ مبين » يعني والله أعلم بحجة واضحة أدحض بها حجتك وقال جل وعز « قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيدهُ قل الله يَبدأُ الخلق ثم يعيده فأنّى تؤفكون » الى قوله «أفمن يهدي الى الحق أحقّ أن يُتَّبع أمن لا يَهدّي إلا أن يُهدى فما لكم كيف تحكمون » فهذا كله تعليم من الله للسؤال والجواب والمجادلة

وجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الكتاب وباهلهم بعد الحجة قال الله عز وجل « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب » الآية ثم قال « فمن حاجّك فيه من بعد ماجاءك من العلم » الآية وقال صلى الله عليه وسلم إنكم تختصمون اليّ ولعلّ بعضكم أن يكونْ ألحن بحجته من بعض ، الحديث

(قف على مجادلة عمر لليهود)

وجادل عمر بن الخطاب اليهود في جبريل وميكائيل فقال جماعة من المفسرين كان لعمر أرض بأعلى المدينة فكان يأتيها وكان طريقه على موضع مدارسة اليهود وكان كلما مرّ دخل عليهم فسمع منهم وأنه دخل عليهم ذات يوم فقالوا ياعمر ما من أصحاب محمد أحد أحب إلينا منك إنهم يمرون بنا فيؤذوننا وتمرّ بنا فلا تؤذينا وإنا لنطمع فيك فقال لهم عمر أيّ يمين فيكم أعظم قالوا الرحمن قال فبالرحمن الذي أنزل التوراة على موسى بطُورِ سَيْناء أتجدون محمداً عندكم نبياً فسكتوا قال تكلّموا ما شأنكم والله ما سألتكم وأنا شاكّ في شيءٍ من ديني فنظر بعضهم لبعض فقام رجل منهم فقال أخبروا الرجل أو لأخبرنّه قالوا نعم انا نجده مكتوباً عندنا ولكن صاحبه من الملائكة الذي يأتيه بالوحي هو جبريل وجبريل عدوّنا وهو صاحب كل عذاب وقتال وخسف ولو أنه كان وليه ميكائيل لآمنا به فإن ميكائيل صاحب كل رحمة وكل غيث قال لهم فأنشدكم بالرحمن الذي أنزل التوراة على موسي بطور سيناء أين ميكائيل واين جبريل من الله قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره قال عمر فأشهد أن الذي هو عدو للذي عن يمينه هو عدو للذي عن يساره والذي هو عدو للذي عن يساره هو عدوّ للذي عن يمينه وأنه من كان عدوًّا لهما فإنه عدوّ لله ثم رجع عمر ليخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه «قل من كان عدوًّا لجبريل فإنه نزّله على قلبك بإذن الله مصدّقاً لما بين يديه وهدًى وبشرى للمؤمنين من كان عدوًّا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدوٌّ للكافرين » الآيات فقال عمر والذي بعثك بالحق لقد جئت وما أريد إلا أن أخبرك فهذا مما صدّق الله فيه قول عمر واحتجاجه وهو باب من الاحتجاج لطيف مسلوك عند

أهل النظر وتركنا إسناد هذا الخبر وسائر ما أوردناه من الاخبار في هذا الباب والباب الذي قبله وبعده لشهرتهما في التفاسير والمصنفات

وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن آدم احتج مع موسى قال صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى • وقال جل وعز « هـذان خصمان اختصموا في ربهم » فأثنى على المؤمنين أهـل الحق وذم أهل الكفر والباطل • قال المفسرون نزلت هـذه الآية في حمزة بن عبد المطلب وعُبيدة بن الحارث وعلي بن أبي طالب وعُتبةَ وشَيْبة ابني ربيعة والوليد بن عُتبةَ • وعن قيس بن عُبَاد[١] قال سمعت أبا ذر يقسم لنزلت هذه الآيات « هذان خصمان اختصموا في ربهم » الى قوله « العزيز الحميد » في هؤلاء الرهط الستة يوم بدر في علي بن ابي طالب وحمزة بن عبد المطلب[٢] وعبيدة بن الحارث بن المطلب[٣] وعُتبة بن ربيعـة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة

وتجادل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم السَّقيفة وتدافعوا وتقرروا وتناظروا حتى صار الحق في أهله وتناظروا بعد مبايعة ابي بكر في اهل الردة وفي فصول يطول ذكرها واحتجوا على أبي بكر بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت ان أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فإذا قالوها حقنوا دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله فقال أبو بكر من حقها الزكاة والله لأقاتلن من فرّق بين الصـلاة والزكاة ولو منعوني عَناقاً ويروى عِقالا لقاتلتهم عليه فبان لعمر وغيره من الصحابة الذين خالفوا أبا بكر في ذلك أن الحق معه فتابعوه • وكذلك يجب على من خالف صاحبه وناظره أن ينصرف اليه اذا بان له الحق في قوله • وقوله صلى الله عليه وسلم إلا بحقها مثل قوله جل وعز « ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلاّ بالحق » وعن طارق بن شهاب قال لمـا جمع أبو بكر أهل الردة قال اختاروا مني حرباً مجلية أو سِلْمًا مخزية قالوا أما الحرب المجلية فقد عرفنـاها فما السلم المخزية قال تَدُون قتلانا ولا نَدِي قتلاكم فقام عمر بن الخطاب فقال قتلانا قتلوا في سبيل الله لايودون قال وننزع عنكم الحلقة والكراع يعني السلاح والخيل قاله ابن

---

(١) الضُّبَعي البصري ثقة مخضرم مات بعد الثمانين ووهم من عدّه في الصحابة هـ تقريب

(٢) عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخوه من الرضاعة أرضعتهما ثويبة مولاة أبي لهب • وسيدنا حمزة سيد الشهداء أسلم في السنة الثانية من البعثة واستشهد في غزوة احد سنة ثلاث من الهجرة هـ من اسد الغابة باختصار (٣) القرشي من المسلمين السابقين شهد بدراً وجرح بها ثم توفي في عودته منها هـ منه

ماهان قال وتلزمون أذناب الابل حتى يُريَ الله خليفة رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ماشاء. وعن زرّ بن حُبَيْش قال قلت لحذيفة صلّى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت المقدس فقال أنت تقول صلى فيه يا أصلع قلت نعم بيني وبينك القرآن قال حذيفة هات من احتج بالقرآن فقد أفلح فقرأت عليه « سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى » فقال حذيفة أين تجده صلّى فيه وذكر الحديث

(قف على مناظرة ابن عبــاس للحرورية)

وناظر علي رضي الله عنه الخوارج حتى انصرفوا. وناظرهم ابن عباس أيضاً بما لا مدفع فيه من الحجة من نحو كلام علي ولولا شهرة ذلك وخشية طول الكتاب لاجتلبت ذلك على وجهه : فعن ابن عباس قال لما اجتمعت الحَرورية يخرجون على عليٍّ قال جعل يأتيه الرجل فيقول ياأمير المؤمنين القوم خارجون عليك قال دعوهم حتى يخرجوا فلما كان ذات يوم قلت ياأمير المؤمنين أبردْ بالصلاة فلا تَفُتْني حتى آتي القوم قال فدخلت عليهم وهم قائلون فاذاهم مسهّمةٌ (١) وجوههم من السهر قد أثر السجود في جباههم كأن في أيديهم ثَفِن(٢) الأبل عليهم قمصٌ مرحضة(٣) فقالوا ماجاء بك يا ابن عباس وما هذه الحُلّة عليك قال قلت ماتعيبون من هذه فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن ما يكون من ثياب اليمنية قال ثم قرأت هذه الآية « قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيّبات من الرزق » فقالوا ماجاء بك فقال جئتكم من عند أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس فيكم منهم أحد ومن عند ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليهم نزل القرآن وهم أعلم بتأويله جئت لأبلغكم عنهم وأبلغهم عنكم فقال بعضهم لاتخاصموا قريشاً فإن الله يقول « بل هم قوم خَصِمون » فقال بعضهم بلى فلنكلمنّه قال فكلمني منهم رجلان أو ثلاثة قال قلت ماذا نقمتم عليه قالوا ثلاثاً فقلت ماهنّ قالوا حكّم الرجال في أمر الله وقال الله « إن الحكم إلا لله » قال قلت هذه واحدة وماذا أيضاً قال فإنه قاتل ولم يَسْبِ ولم يغنم فلئن كانوا مؤمنين ما حلّ قتالهم ولئن كانوا كافرين لقد حلّ قتالهم وسِبَاؤهم قال قلت وماذا أيضاً قالوا ومحا نفسه من أمير المؤمنين فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين قال قلت أرأيتكم إن أتيتكم من كتاب الله وسنة رسوله ماينقض قولكم هذا أترجعون قالوا وما لنا لانرجع قال قلت أما قولكم حكّم الرجال في أمر الله فإن الله قال في كتابه « يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا

---

(١) متغيّرة ه لسان العرب (٢) جمع ثَفِنَة وهي من البعير والناقة الركبةُ وما يقع على الارض من أعضائه إذا استناخ وغلُظ كالركبتين وغيرهما ه منه (٣) مغسولة ه منه

الصيد وأنتم حُرُمٌ ومن قتله منكم متعمداً فجزاءٌ مثل ما قتل من النَّعم يحكم به ذوا عدل منكم » وقال في المرأة وزوجها « وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها » فصيّر الله ذلك الى حكم الرجال فنشدتكم الله أتعلمون حكم الرجال في دماء المسلمين وإصلاح ذات بينهم أفضل أو في دَمِ أرنب ثمن ربع درهم وفي بضع امرأة قالوا بلى هذا أفضل قال أخرجت من هذه قالوا نعم قال فأما قولكم قاتل فلم يَسب ولم يغنم أفتسبوا أمكم عائشة فإن قلتم نسبيها فنستحل منها ما نستحل من غيرها فقد كفرتم وان قلتم ليست بأمنا فقد كفرتم فأنتم تردّدون بين ضلالتين أخرجت من هذه قالوا بلى قال وأما قولكم محا نفسه من إمرة المؤمنين فأنا آتيكم بمن ترضون إن نبي الله يوم الحُدَيبية حين صالح أبا سفيان وسهيل بن عمرو قال رسول الله اكتب يا علي هذا ما صالح عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو سفيان وسهيل بن عمرو ما نعلم إنك رسول الله ولو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم إنك تعلم اني رسولك أمحُ يا علي واكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله وأبو سفيان وسهيل بن عمرو قال فرجع منهم ألفان وبقي بقيتهم فخرجوا فقتلوا أجمعين

وعن أبي البَختري(١) والشعبي وأصحاب علي أنه لما ظهر على البصرة يوم الجمل جعل لهم ما في عسكر القوم من السلاح ولم يجعل لهم غير ذلك فقالوا كيف تحل لنا دماؤهم ولا تحل لنا أموالهم ولا نساؤهم قال هاتوا أسهامكم فاقرعوا على عائشة فقالوا نستغفر الله فخصمهم علي وعرّفهم أنها اذا لم تحلّ لم تحل بنوها

(قف على مجادلة عمر ابن عبد العزيز للحرورية)

وعن هشام بن يحيي الغسّاني عن أبيه قال خرجت عليَّ الحَرورية بالموصل فكتبتُ إلى عمر بن عبد العزيز بمخرجهم فكتب إليّ يأمرني بالكف عنهم وأن أدعو رجالاً منهم فأحملهم على مراكب من البريد حتى يقدموا على عمر فيجادلهم فإن يكونوا على الحق اتبعهم وان يكن عمر على الحق اتبعوه وأمرني أن أرتهن منهم رجالا وأن أعطيهم رهناً يكون في أيديهم حتى تنقضي الأمور وأجّلهم في سيرهم ومقامهم ثلاثة أشهر فلما قدموا على عمر أمر بنزولهم ثم أدخلهم عليه فجادلهم حتى اذا لم يجد لهم حجة رجعت طائفة منهم ونزعوا عن رأيهم وأجابوا عمر وقالت طائفة أخرى لسنا نجيبك حتى تكفّر أهل بيتك وتلعنهم وتبرأ منهم فقال عمر إنه لا يسعكم فيما خرجتم له الا الصدق أعلموني

---

(١) هو سعيد بن فيروز الطائي مولاهم الكوفي ثقة ثبت فيه تشيع قليل مات سنة ٨٣ هـ تقريب

هـل تبرأتم من فرعون أولعنتموه أوذكرتموه في شيء من أموركم قالوا لا قال فكيف وسعكم تركه ولم يصف الله عبداً بأخبث من صفته إياه ولا يسعني ترك أهل بيتي ومنهم المحسن والمسيء والمخطيء والمصيب وذكر الحديث • وعن محمد بن سليم أحـد بني ربيعة ابن حنظلة بن عدي قال بعثني وعونَ بن عبد الله عمرُ بن عبد العزيز الى خوارج خرجت بالجزيرة فذكر الخبر في مناظرة عمر للخوارج وفيه قالوا خالفت أهل بيتك وسميتهم الظلمة فإما أن يكونوا على الحق أو يكونوا على الباطل فإن زعمت أنك على الحق وهم على الباطل فالعنهم وتبرأ منهم فإن فعلت فنحن منك وأنت منا وإن لم تفعل فلست منا ولسنا منك فقال عمر إني قد علمت أنكم لم تتركوا الأهـل والعشائر وتعرضتم للقتل والقتال إلا وأنتم ترون أنكم مصيبون ولكنكم أخطأتم وضللتم وتركتم الحق أخبروني عن الدين أواحد أو اثنان قالوا لا بل واحد قال فيسعكم في دينكم شيء يعجزعني قالوا لا قال أخبروني عن أبي بكر وعمر ما حالهما عندكم قالوا أفضل أسلافنا أبو بكر وعمر قال ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما توفي ارتدت العرب فقاتلهم أبو بكر فقتل الرجال وسبى الذرية والنساء قالوا بلى قال عمر بن عبـد العزيز فلما توفي أبو بكر قام عمر ردّ النساء والذراري على عشائرهم قالوا بلى قال عمر فهـل تبرأ عمر من ابي بكر ولعنه بخلافه اياه قالوا لا قال فتتولونهما على اختلاف سيرتهما قالوا نعم قال عمر فما تقولون في بلال بن مرداس قالوا من خير أسلافنا بلال بن مرداس قال أفلستم قد علمتم انه لم يزل كافاً عن الدماء والأموال وقد لطخ اصحابه ايديهم في الدماء والاموال فهل تبرأت احدى الطائفتين من الأخرى أو لعنت احداهما الأخرى قالوا لا قال فتتولونهما جميعاً على اختلاف سيرتهما قالوا نعم قال عمر فأخبروني عن عبـد الله بن وهب الراسبي حين خرج من البصرة هو وأصحابه يريدون اصحابكم بالكوفة فمروا بعبد الله بن خباب فقتلوه وبقروا بطن جاريته ثم عدوا على قوم من بني قطيعة فقتلوا الرجال وأخـذوا الاموال وغلوا الاطفال في المراجـل وتأولوا قول الله « انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفارا » ثم قدموا على أصحابهم من أهل الكوفة وهم كافون عن الفروج والدماء والأموال فهل تبرأت إحـدى الطائفتين من الأخرى أولعنت إحديهما الأخرى قالوا لا قال عمر فتتولونهما على اختلاف سيرتهما قالوا نعم قال عمر فهؤلاء الذين اختلفوا بينهم في السيرة والاحكام لم يتبرأ بعضهم من بعض على اختلاف سـيرتهم ووسعهم ووسعكم ذلك ولا يسعني حين خالفت أهل بيتي في الاحكام والسيرة حتى ألعنهم وأتبرأ منهم أخبروني عن اللعن أفرض على العباد قالوا نعم قال عمر لأحدهما متى عهدك بلعن فرعون قال مالي

بذلك عهد منذ زمان فقال عمر هـذا رأس من رؤس الكفر ليس لك عهد بامنه منذ زمان وأنا لا يسعني أن ألعن من خالفهم من أهل بيتي وذكر تمـام الخبر

(قال أبو عمر) هذا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وهو ممن جاء عنه التغليظ في النهي عن الجدال في الدين وهو القائل من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقل فلما اضطر وعرف الفَلَج في قوله ورجا أن يهدي الله به لزمه البيان فبين وجادل وكان أحد الراسخين في العلم رحمه الله قال بعض العلماء كل مجادل عالم وليس كل عالم مجادلا يعني أنه ليس كل عالم يتأتى له الحجة ويحضره الجواب ويسرع اليه الفهم بمَقْطع الحجة ومن كانت هذه خصاله فهو أرفع العلماء وأنفعهم مجالسة ومذاكرة «والله يُؤتي فضـله من يشاء والله ذو الفضـل العظيم» (قال) أبو ابراهيم المزني رحمه الله لبعض مخالفيه في الفقه من أين قلتم كذا وكذا ولم قلتم كذا وكذا فقال له الرجل قد علمت يا أبا ابراهيم انا لسنا لِمِّية فقال المزني ان لم تكونوا لمية فأنتم إذن في عميّة • وعن العباس بن عبد العظيم العنبري قال كنت عند أحمد بن حنبل وجاءه علي بن المديني راكب على دابة قال فتناظرا في الشهادة وارتفعت أصواتهـما حتى خفت أن يقع بينهما جفاء وكان أحمد يرى الشـهادة وعلي يأبى ويدفع فلما أراد علي الانصراف قام أحمد فأخذ بركابه وسمعت أحمد في ذلك المجلس يقول لا نظر بين أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فيما شجر بينهم ونَـكِلُ أمرهم الى الله والحجة في ذلك حـديث حاطب (قال أبو عمر) كان أحمد بن حنبل رحمـه الله يرى الشهادة بالجنة لمن شهد بدراً والحُدَيْبِيَة أو لمن جاء فيه أثرٌ مرفوع على ماكان منهم من سفك دماء بعضهم بعضاً وكان عليّ بن المديني يأبى ذلك ولا يصحّح في ذلك أثراً

(قف على تنـاظر الصحـابة والعلماء)

وأما تناظر العلماء وتجادلهم في مسائل الأحكام من الصحابة والتابعين ومن بعدهم فأكثر من أن يحصى وسنذكر منها شيئاً يستدل به • قال زيد بن ثابت لعلي في المكاتب أكنت راجمه لو زنى قال لا قال فكنت تجيز شهادته قال لا قال فهو عبد ما بقي عليه درهم •

وقد ذكر معمر عن قتادة ان علياً قال في المكاتب يورث بقدر ما أدى ويجلد الحد بقدر ما أدّى ويعتق بقدر ما أدّى ويكون دينه بقدر ما أدّى • واحتج زيد أيضاً على من خالفه من الصحابة إذ خاصموه في ذلك بأن المكاتبين كانوا يدخلون على أمهات المؤمنين ما بقي على أحد من كتابتهم شيءٌ وبقول زيد يقـول فقهاء الأمصار • وناظر عبدالله بن عمر أباه في المـال الذي أعطاه إياه أبو موسى الاشعري هو وأخاه وقال عبدالله لو تلف المال ضمناه فلنا ربحه بالضمان • وقال سليمان بن يسار في الحامـل تلد ولداً ويبقى في بطنها ولد آخر إن لزوجها عليها الرجعة وقال عكرمة لا رجعة له عليها لأنها قد وضعت فقال له سليمان

أيحل لها ان تتزوج قال لا قال خُصم العبد . وقال ابن عباس ليتق الله زيد أيجعل ولد الولد بمنزلة الولد ولا يجعل أب الأب بمنزلة الأب ان شاء باهلته عند الحجر الأسود . وعن ابن عباس من شاء باهلته أن الظهار ليس من الأمة انما قال الله من نسائهم . وقيل لمجاهد في هذه المسألة أليس الله جل وعز يقول «والذين يُظَاهِرُون من نسائهم» أفليس الأمة من النساء فقال مجاهد قد قال الله «واستشهدوا شهيدين من رجالكم» أفليس العبد من الرجال أفتجوز شهادته . يقول كما ان العبد من الرجال غير المراد بالشهادة فكذلك الأمة من النساء غير المراد بالظهار وهذا عين القياس . وناظر أبو هريرة عبدالله بن سلام في الساعة التي في يوم الجمعة على حسب ما ذكره مالك في موطأه . وناظر سعيد بن المسيب ربيعة في أصابع المرأة . وناظر عمر بن الخطاب أبا عبيدة في حديث الطاعون أرأيت لو كانت لك إبل هبطت بها وادياً الحديث . وهذا أكثر من أن يحصى

(قف على ان الاحتجاج بالعلم سائغ)

وفي قول الله جل وعز «فلِمَ تحاجون فيما ليس لكم به علم» دليل على ان الاحتجاج بالعلم مباح سائغ لمن تدبر . ومن مليح الاحتجاج والكر على الخصم ما روى حماد بن سَلَمة عن الأزرق بن قيس أن الأحنف بن قيس كان يكره الصلاة في المقصورة فقال له رجل يا أبا بحر لم لا تصلي في المقصورة فقال الأحنف وأنت لم تصل فيها قال لا ترك قال الأحنف فلذلك لا أصلي فيها وهذا ضرب من الاحتجاج والزام الخصم بديع

وقال المزني لا تعدو المناظرة احدى ثلاث إما تثبيت لما في يديه أو انتقال عن خطأ كان عليه أو ارتياب فلا يقدم من الدين على شك قال وكيف ينكر المناظرة من لم ينظر فيما به يردها قال وحق المناظرة أن يراد بها الله عز وجل وأن يقبل منها ما تبين . وقالوا لا تصح المناظرة ويظهر الحق بين المتناظرين حتى يكونا متقاربين أو مستويين في مرتبة واحدة من الدين والفهم والعقل والانصاف وإلا فهو مراء ومكابرة . وقال سليمان بن عمران سمعت أسد بن الفرات يقول بلغني أن قوما كانوا يتناظرون بالعراق في العلم فقال قائل من هؤلاء فقيل له قوم يقتسمون ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم

(قف على كلام عمر بن عبد العزيز)

وذكر ابن مزين قال حدثنا عيسى عن ابن القاسم عن مالك قال قال عمر بن عبد العزيز رأيت مُلاحاة الرجال نافيحاً لألبابهم قال مالك وقال عمر بن عبد العزيز ما رأيت أحداً لاحى الرجال إلا أخذ بجوامع الكلم قال يحيى بن مزين يريد بالملاحاة ههنا المخاوضة والمراجعة على وجه التعليم والتفهم والمدارسة والله أعلم

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام ما ناظرت قط رجلا مفننا في العلوم إلا غلبته ولا ناظرني رجل ذو فن واحد من العلم إلا غلبني فيه . وعن محمد بن عبد الله بن الحكم قال

لو رأيتَ الشافعي يناظر لظننت أنه سبع يأكلك • وعنه قال الشافعي علّم الناس الحجج

﴿ باب فساد التقليد ونفيه والفرق بين التقليد والاتباع ﴾

قد ذمّ الله تبارك وتعالى التقليد في غير موضع من كتابه فقال « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله » • وروي عن حذيفة وغيره قالوا لم يعبدوهم من دون الله ولكن أحلّوا لهم وحرّموا عليهم فاتبعوهم • وقال عدي بن حاتم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب فقال لي يا عدي ألقِ هذا الوثن من عنقك وانتهيت اليه وهو يقرأ سورة براءة حتى أتى على هذه الآية « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله » قال قلت يا رسول الله انا لم نتخذهم أرباباً قال بلى أليس يحلّون لكم ما حرم الله عليكم فتحلّونه ويحرّمون عليكم ما أحل لكم فتحرمونه فقلت بلى فقال تلك عبادتهم • وعن أبي البختري في قوله عز وجل « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله » قال أما انهم لو أمروهم ان يعبدوهم من دون الله ما أطاعوهم ولكنهم أمروهم فجعلوا حلال الله حرامه وحرامه حلاله فأطاعوهم فكانت تلك الربوبية • وعنه قال قيل لحذيفة في قوله « اتخذوا احبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله » أكانوا يعبدونهم فقال لا ولكن كانوا يحلّون لهم الحرام فيحلّونه ويحرّمون عليهم الحلال فيحرمونه وقال جل وعز « وكذلك ما أرسلنا قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم » فمنعهم الاقتداء بآبائهم عن قبول الاهتداء فقالوا « إنا بما أرسلتم به كافرون » وفي هؤلاء وفي مثلهم قال الله عز وجل « ان شرّ الدوابّ عند الله الصمّ البكمُ الذين لا يعقلون » وقال « اذ تبرّأ الذين اتّبعوا من الذين اتّبعوا ورأوا العذاب وتقطّعت بهم الاسباب وقال الذين اتّبعوا لو أن لنا كرةً فنتبرّأ منهم كما تبرّأوا منّا كذلك يريهمُ اللهُ أعمالهم حسراتٍ عليهم » وقال جل وعز عائبا لأهل الكفر وذامّا لهم « ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون قالوا وجدنا آباءنا كذلك يفعلون » وقال « إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلّونا السبيلا » ومثل هذا في القرآن كثير من ذمّ تقليد الآباء والرؤساء • وقد احتج العلماء بهذه الآيات في إبطال التقليد ولم يمنعهم كفر أولئك من الاحتجاج بها لأن التشبيه لم يقع من جهة كفر أحدهما وإيمان الآخر وانما وقع التشبيه بين التقليدين بغير حجة للمقلد كما لو قلّد رجلٌ فكفر وقلد آخرُ فأذنب وقلد آخرُ في مسئلة دنياه فاخطأ وجهها كان كلٌّ واحد ملوماً على التقليد بغير حجة لأن كل ذلك تقليد يشبه بعضه بعضاً وان اختلفت الآثام فيه وقال الله جلّ وعز « وما كان الله ليُضلّ قوماً بعد إذ

(قف على احتجاج العلماء في إبطال التقليد)

هداهم حتى يُبيّن لهم ما يتّقون»

وقد ثبت الاحتجاج بما قدمنا في الباب قبل هذا وفي ثبوته إبطال التقليد أيضاً فإذا بطل التقليد بكل ما ذكرنا وجب التسليم للأصول التي يجب التسليم لها وهي الكتاب والسنة أو ما كان في معناها بدليل جامع بين ذلك ٠ وعن كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف المزني عن أبيه عن جده قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني لأخاف على أمتي من بعدي من أعمال ثلاثة قال وما هي يا رسول الله قال أخاف عليهم من زلة العالم ومن حكم جائر ومن هوىً متبع ٠ وبهذا الاسناد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة رسوله ٠ وعن زياد ابن حدير قال قال عمر ثلاث يَهدمنَ الدين زلة عالم وجدال منافق بالقرآن وأئمة مضلون٠ وعن الحسن قال قال أبو الدرداء إن فيما أخشى عليكم زلة العالم وجدال المنافق بالقرآن والقرآن حق وعلى القرآن منار كأعلام الطريق ٠ وعن ابن شهاب أن معاذ بن جبل كان يقول كل يوم في مجلسه قلّما يخطئه أن يقول ذلك الله حكم قسط هلك المرتابون إن وراءكم فِتَناً يكثر المال ويفتح فيها القرآن حتى يقرأه المؤمن والمنافق والمرأة والصبي والأسود والأحمر فيوشك أحدهم أن يقول قد قرأت القرآن فما انا أظن أن يتبعوني حتى أبتدع لهم غيره فاياكم وما ابتدع فان كل بدعة ضلالة واياكم وزيغة الحكيم فان الشيطان قد يتكلم على لسان الحكيم بكلمة الضلالة وان المنافق قد يقول كلمة الحق فتلقّوا الحق عمن جاء به فإن على الحق نوراً قالوا وكيف زيغة الحكيم قل هي الكلمة تروعكم وتنكرونها وتقولون ما هذه فاحذروا زيغته ولا تصدّنكم عنه فانه يوشك أن يفيء وأن يراجع الحق وان العلم والايمان مكانهما الى يوم القيمة فمن ابتغاهما وجدهما

(قف على ماخافه الرسول على امته)

(قف على قول معاذ)

وعن عبيدالله بن سَلَمة قال قال معاذ بن جبل يا معشر العرب كيف تصنعون بثلاث دنيا تقطع أعناقكم وزلة عالم وجدال المنافق بالقرآن فسكتوا فقال أما العالم فان اهتدى فلا تقلدوه دينكم وان افتتن فلا تقطعوا منه أناتكم فان المؤمن يفتتن ثم يتوب وأما القرآن فله منار كمنار الطريق لا يخفى على أحد فما عرفتم منه فلا تسئلوا عنه وما شككتم فكلوه الى عالمه وأما الدنيا فمن جعل الله الغنى في قلبه فقد أفلح ومن لا فليس بنافعته دنياه٠ وعن أبي البختري قال قال سلمان كيف أنتم عند ثلاث زلة عالم وجدال منافق بالقرآن ودنيا تقطع أعناقكم فأما زلة العالم فان اهتدى فلا تقلدوه دينكم وأما مجادلة منافق بالقرآن فان للقرآن مناراً كمنار الطريق فما عرفتم منه فخذوه وما لم تعرفوه فكلوه الى الله وأما دنيا تقطع أعناقكم فانظروا الى من هو دونكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم

(قف على ان العالم لا يجوز له أن يفتي بما لا يعرف دليله)

وشبه الحكماء زلة العالم بانكسار السفينة لأنها اذا غرقت غرق معها خلق كثير • واذا صح وثبت أن العالم يزل ويخطئ لم يجز لأحد أن يفتي ويدين بقول لا يعرف وجهه •

وعن ابن مسعود أنه كان يقول أعد عالماً أو متعلماً ولا تغد إمعة فيما بين ذلك قال ابن وهب فسألت سفيان عن الإمعة فحدثني عن أبي الزعراء عن أبي الاحوص عن ابن مسعود قال كنا ندعو الإمعة في الجاهلية الذي يدعى الى الطعام فيذهب معه بآخر وهو فيكم اليوم المحقب دينه الرجال • وعن أبي العالية الرياحي قال سمعت ابن عباس يقول ويل للاتباع من عثرات العالم قيل كيف ذلك قال يقول العالم شيئاً برأيه ثم يجد من هو أعلم برسول الله صلى الله عليه وسلم منه فيترك قوله ذلك ثم تمضي الاتباع

(قف على كلام سيدنا علي)

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لكميل بن زياد النخعي وهو حديث مشهور عند أهل العلم يستغني عن الاسناد لشهرته عندهم يا كميل إن هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها للخير والناس ثلاثة فعالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع اتباع كل ناعق لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤا الى ركن وثيق ثم قال إن ههنا لعلماً وأشار بيده الى صدره لو أصبت له حملة لقد أصبت لقناً(١) غير مأمون يستعمل الدين للدنيا ويستظهر بحجج الله على كتابه وبنعمه على معاصيه أو حامل حق لا بصيرة له ينقدح الشك في قلبه بأول عارض من شبهة لا يدري أين الحق ان قال أخطأ وان أخطأ لم يدر مشغوف بما لا يدري حقيقته فهو فتنة لمن فتن به وان من الخير كله من عرفه الله دينه وكفى بالمرء جهلا أن لا يعرف دينه (٢) وعن الحارث الأعور قال سئل علي بن أبي طالب عن مسألة فدخل مبادراً ثم

---

(١) في شرح نهج البلاغة للاستاذ العلامة الحكيم الشيخ محمد عبده ما نصه: اللقن بفتح فكسر من يفهم بسرعة الا أن العلم لا يطبع أخلاقه على الفضائل فهو يستعمل وسائل الدين لجلب الدنيا ويستعين بنعم الله على ايذاء عباده هـ (٢) في نهج البلاغة زيادة نذكرها تتميماً للفائدة وهي: كذلك يموت العلم بموت حامليه• اللهم بلى • لا تخلو الارض من قائم لله بحجة • اما ظاهراً مشهوراً أو خائفاً مغموراً لئلا تبطل حجج الله وبيناته • وكم ذا وأين أولئك؟ أولئك والله الاقلون عدداً والاعظمون قدراً • يحفظ الله بهم حججه وبيناته حتى يودعوها نظراءهم ويزرعوها في قلوب أشباههم • هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة وباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعره المترفون وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى • أولئك خلفاء الله في أرضه والدعاة الى دينه آه آه شوقاً الى رؤيتهم هـ

خرج في حذاء ورداء وهو متبسم فقيل له يا أمير المؤمنين انك كنت اذا سئلت عن المسألة تكون فيها كالسِّكَّة المحماة قال اني كنت حاقِناً ولا رأي لحاقن ثم أنشأ يقول

اذا المشكلات تصدَّين لي كشفت حقائقها بالنظرْ
فان بَرِقَتْ في مَخِيل الصوا ب عمياء لا يجتليها البصر
مقنَّعة بغيوب الأمو روضعت عليها صحيح الفِكَر
لساناً كشِقْشِقَةِ الأرْحَبِي أو كالحُسام اليماني الذكر
وقلباً اذا استنطقته الفنو نأبرّ عليها بواهٍ درر
ولست بإمَّعة في الرجا ل يُسائل هذا وذا ما الخبر
ولكنني مِذْرَبُ الاصغرين أُبين مع ما مضى ما غبر

(قال أبو علي) المَخِيل السحاب يخال فيه المطر ٠ والشقشقة ما يخرجه الفحل من فيه عند هياجه ومنه قيل لخطباء الرجال شقاشق ٠ وأبرّ زاد على ماتستنطقه ٠ والإمَّعة الأحمق الذي لا يثبت على رأي ٠ والمذرب الحادّ ٠ وأصغراه قلبه ولسانه (قال أبو عمر) من الشقاشق ما رويناه بالسند عن أنس أن عمر رأى رجلا يخطب فأكثر فقال عمر ان كثيراً من الخطب من شقاشق الشيطان . وعن علي قال اياكم والاستنان بالرجال فان الرجل يعمل بعمل أهل الجنة ثم ينقلب لعلم الله فيه فيعمل بعمل أهل النار فيموت وهو من أهل النار وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار فينقلب لعلم الله فيعمل بعمل أهل الجنة فيموت وهو من أهل الجنة فان كنتم لا بد فاعلين فبالأموات لا بالأحياء وقال ابن مسعود الالا يقلدنّ أحدكم دينه رجلاً ان آمن آمن وان كفر كفر فانه لا أُسوة في الشر ٠ وأنشد الحسين ابن علي بن الحسين بن علي بن عمر بن علي رضي الله عنه لنفسه وكان أفضل أهل زمانه

(قف على قول ابن مسعود وعلى ابيات جليلة)

تريد تنام على ذي الشبَه وعلكَ ان نمت لم تنتبه
فجاهدْ وقلّد كتاب الإله لتلقى الإله اذا مُتَّ به
فقد قلّد الناس رهبانهم وكلٌّ يجادل عن راهبه
وللحق مستنبطٌ واحد وكلٌّ يرى الحق في مذهبه
ففيما أرى عجب غير أنَّ بيان التفرق من أعجبه

وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم مما قد ذكرناه في كتابنا هذا انه قال تذهب العلماء ثم يتخذ الناس رؤساء جهالاً يسئلون فيفتون بغير علم فيَضلون ويُضلون ٠ وهذا كله نفي للتقليد وابطال له لمن فهمه وهُدي لرشده ٠ وعن سفيان بن عيينة قال اضطجع ربيعة مقنعاً رأسه وبكى فقيل ما يبكيك فقال رياءٌ ظاهر وشهوة خفية والناس عند علمائهم كالصبيان

في حجور أمهاتهم ما نهوهم عنه انتهوا وما أمروهم به ائتمروا • وقال أيوب رحمه الله ليس تعرف خطأ معلمك حتى تجالس غيره • وقال عبيد الله بن المعتز لا فرق بين بهيمة تقاد وانسان يقلد وهذا كله لغير العامّة فإن العامة لا بدّ لها من تقليد علمائها عند النازلة تنزل بها لانها لا تتبين موقع الحجة ولا تصل بعدم الفهم الى علم ذلك لأن العلم درجات لاسبيل منها الى أعلاها الا بنيل أسفلها وهذا هو الحائل بين العامة وبين طلب الحجة والله أعلم

(نص على ان التقليد للعوام)

ولم يختلف العلماء أن العامة عليها تقليد علمائها وانهم المرادون بقول الله جل وعز «فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون» واجمعوا على ان الاعمى لا بد له من تقليد غيره ممن يثق بميزه بالقبلة اذا اشكلت عليه فكذلك من لا علم له ولا بصر بمعنى ما يدين به لا بدّ له من تقليد عالمه وكذلك لم يختلف العلماء ان العامة لا يجوز لها الفتيا وذلك والله اعلم لجهلها بالمعاني التي منها يجوز التحليل والتحريم والقول في العلم • وقد نظمت في التقليد وموضعه ابياتاً رجوت في ذلك جزيل الاجر لما علمت ان من الناس من يُسرع اليه حفظ المنظوم ويتعذر عليه المنثور وهي من قصيدة لي

يا سائلي عن موضع التقليد خذ	عني الجواب بفهم لبٍّ حاضر
وأصغِ الى قولي ودِن بنصيحتي	واحفظ عليَّ بوادري ونوادري
لا فرق بين مقلِّد وبهيمة	تنقاد بين جنادل ودعاثر
تبّاً لقاضٍ أو لمفتٍ لا يرى	عللاً ومعنىً للمقال السائر
فاذا اقتديت فبالكتاب وسنة الـ	ـمبعوث بالدين الحنيف الطاهر
ثم الصحابة عند عُدْمك سنةً	فأولاك أهل نهىً وأهل بصائر
وكذاك اجماع الذين يلونهم	من تابعيهم كابراً عن كابر
اجماع امتنا وقول نبينا	مثل النصوص لدى الكتاب الزاهر
وكذا المدينة حجة ان اجمعوا	متتابعين اوائلا بأواخر
واذا الخلاف اتى فدونك فاجتهد	ومع الدليل فمِلْ بفهمٍ وافر
وعلى الاصول فقس فروعك لا تقس	فرعاً بفرع كالجهول الحائر
والشرّ ما فيه فديتك أسوة	فانظر ولا تحفل بزلة ماهر

وعن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال عليَّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار ومن استشار أخاه فأشار عليه بغير رشده فقد خانه ومن أفتى بفتيا من غير تثبت فإنما إثمها على من أفتاه • وعن سعيد بن جُبَير عن ابن عباس قال من أفتى بفتيا وهو يعمى عنها كان إثمها عليه •

(قف على كلام المزني)

وقد احتج جماعة من الفقهاء وأهل النظر على من أجاز التقليد بحجج نظرية عقلية بعدما تقدم فأحسن ما رأيت من ذلك قول المزني رحمه الله وأنا أورده (قال) يقال لمن حكم بالتقليد هل لك من حجة فيما حكمت به فإن قال نعم أبطل التقليد لأن الحجة أوجبت ذلك عنده لا التقليد وان قال حكمت فيه بغير حجة قيل له فلمَ أرقتَ الدماء وأبحت الفروج وأتلفت الأموال وقد حرَّم الله ذلك الا بحجة قال الله عز وجل «هل عندكم من سلطان بهذا» أي من حجة بهذا قال فان قال أنا أعلم اني قد أصبت وان لم أعرف الحجة لأني قلدت كبيراً من العلماء وهو لا يقول الا بحجة خفيت عليَّ قيل له اذا جاز لك تقليد معلمك لانه لا يقول الا بحجة خفيت عليك فتقليد معلم معلمك أولى لانه لا يقول الا بحجة خفيت على معلمك كما لم يقل معلمك الا بحجة خفيت عليك فان قال نعم ترك تقليد معلمه الى تقليد معلم معلمه وكذلك من هو أعلى حتى ينتهي الامر الى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وان أبى ذلك نقض قوله وقيل له كيف يجوز تقليد من هو أصغر منه وأقل علماً ولا يجوز تقليد من هو أكبر وأكثر علماً وهذا متناقض فان قال لأن معلمي وان كان أصغر فقد جمع علم من هو فوقه الى علمه فهو أبصر بما أخذ وأعلم بما ترك قيل له وكذلك من تعلم من معلمك فقد جمع علم معلمك وعلم من فوقه الى علمه فيلزمك تقليده وترك تقليد معلمك وكذلك أنت أولى أن تقلد نفسك من معلمك لأنك جمعت علم معلمك وعلم من هو فوقه الى علمك فان أعاد قوله جعل الاصغر ومن يحدث من صغار العلماء أولى بالتقليد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك الصاحب عنده يلزمه تقليد التابع والتابع من دونه في قياس قوله والأعلى الأدنى أبداً وكفى بقول يؤول الى هذا قبحاً وفساداً

(قف على حد العلم وأن المقلد لا علم له)

(قال أبو عمر) وقال أهل العلم والنظر حد العلم التبيّن وادراك المعلوم على ما هو به فمن بان له الشيء فقد علمه قالوا والمقلد لا علم له ولم يختلفوا في ذلك ومن ههنا والله أعلم قال البُحتري في محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم

عرَف العالمُون فضلك بالعلـ ... ـم وقال الجهال بالتقليد
وأرى الناس مجمعين على فضـ ... ـلك من بين سيّد ومَسُود

(قف على الفرق بين التقليد والاتباع)

وقال أبو عبدالله بن خويز منداد البصري المالكي التقليد معناه في الشرع الرجوع الى قول لا حجة لقائله عليه وذلك ممنوع منه في الشريعة والاتّباع ما ثبتت عليه حجة وقال في موضع آخر من كتابه كل من اتبعت قوله من غير ان يجب عليك قوله لدليل يوجب ذلك فأنت مقلِّده والتقليد في دين الله غير صحيح وكل من أوجب عليك الدليل اتباع قوله

فأنت متبعه والاتباع في الدين مسوغ والتقليد ممنوع

(قف على كلام ابن هرمز)

وذكر محمد بن حارث في اخبار سحنون بن سعيد عن سحنون قال كان مالك بن أنس وعبد العزيز بن أبي سلمة(١) ومحمد بن ابراهيم بن دينار(٢) وغيرهم يختلفون الى ابن هرمز فكان اذا سأله مالك وعبد العزيز اجابهما واذا سأله ابن دينار وذووه لم يجبهم فتعرض له ابن دينار يوماً فقال له يا أبا بكر لم تستحل مني ما لا يحل لك قال له يا ابن أخي وما ذاك قال يسألك مالك وعبدالعزيز فتجيبهما وأسألك أنا وذوي فلا تجيبنا فقال أوقع ذلك يا ابن أخي في قلبك قال نعم قال اني قد كبرت سني ورق عظمي وأنا أخاف ان يكون خالطني في عقلي مثل الذي خالطني في بدني ومالك وعبد العزيز عالمان فقيهان اذا سمعا مني حقاً قبلاه واذا سمعا خطأ تركاه وأنت وذووك ما أجبتكم به قبلتموه (قال محمد بن حارث) هذا والله هو الدين الكامل، والعقل الراجح، لا كمن يأتي بالهذيان، ويريد ان ينزل من القلوب منزلة القرآن

(قف على آخر كلمة تقال لمن قال بالتقليد)

(قال ابو عمر) يقال لمن قال بالتقليد لم قلت به وخالفت السلف في ذلك فانهم لم يقلدوا فان قال قلدت لان كتاب الله جل وعز لا علم لي بتأويله وسنة رسوله لم أحصها والذي قلدته قد علم ذلك فقلدت من هو أعلم مني قيل له أما العلماء اذا اجتمعوا على شيء من تأويل الكتاب او حكاية سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم او اجتمع رأيهم على شيء فهو الحق لا شك فيه ولكن قد اختلفوا فيما قلدت فيه بعضهم دون بعض فما حجتك في تقليد بعض دون بعض وكلهم عالم ولعل الذي رغبت عن قوله أعلم من الذي ذهبت الى مذهبه فان قال قلدته لأني علمت انه صواب قيل له علمت ذلك بدليل من كتاب او سنة او اجماع فان قال نعم فقد ابطل التقليد وطولب بما ادعاه من الدليل وان قال قلدته لأنه اعلم مني قيل له فقلد كل من هو اعلم منك فانك تجد من ذلك خلقاً كثيراً ولا يحصى من قلدته اذ علتك فيه انه اعلم منك وتجدهم في أكثر ما ينزل بهم من السؤال مختلفين فلم قلدت احدهم فان قال قلدته لانه اعلم الناس قيل له فهو اذاً اعلم من الصحابة وكفى بقول مثل هذا قبحاً وان قال انما اقلد بعض الصحابة قيل له فما حجتك في ترك من لم تقلد منهم ولعل من تركت قوله منهم اعلم وافضل ممن اخذت بقوله على ان القول لا يصح لفضل قائله وانما يصح بدلالة الدليل عليه، وقد ذكر ابن مزين عن عيسى بن دينار عن ابن القاسم عن مالك قال ليس كلما قال رجل قولا وان كان له فضل يتبع عليه

---

(١) المدني نزيل بغداد ه تقريب (٢) المدني لقبه صندل ثقة فقيه مات سنة ١٨٢ ه منه

لقول الله «الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه» فان قال قِصَري وقلة علمي يحملني على التقليد قيل له اما من قلد فيما ينزل به من احكام شريعته عالماً يتفق له على علمه فيصدر في ذلك عما يخبره به فمعذور لانه قد اتى ما عليه وأدّى ما لزمه فيما نزل به لجهله ولا بدّ له من تقليد عالمه فيما جهله لإجماع المسلمين أن المكفوف يقلد من يثق بخبره في القبلة لانه لا يقدر على اكثر من ذلك ولكن من كانت هذه حاله هل تجوز له الفتوى في شرائع دين الله فيحمل غيره على اباحة الفروج واراقة الدماء واسترقاق الرقاب وازالة الاملاك وتصييرها الى غير من كانت في يديه بقول لا يعرف صحته ولا قام له الدليل عليه وهو مقرّ ان قائله يخطيء ويصيب وان مخالفه في ذلك ربما كان المصيب فيما خالفه فيه فان اجاز الفتوى لمن جهل الاصل والمعنى لحفظه الفروع لزمه ان يجيزه للعامة وكفى بهذا جهلا وردًّا للقرآن قال الله جل وعز «ولا تَقفُ ما ليس لك به علم» وقال «أتقولون على الله ما لا تعلمون» وقد اجمع العلماء ان ما لم يُتبيّن ويستيقن فليس بعلم وانما هو ظن والظن لا يغني من الحق شيئاً

وقد مضى في هذا الباب عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس فيمن أفتى بفتيا وهو يعمى عنها أن اثمها عليه وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «اياكم والظن فان الظن أكذب الحديث» ولا خلاف بين ائمة الامصار في فساد التقليد فأغنى ذلك عن الاكثار

وعن ابن شهاب قال حدثني أبو عثمان بن سَنّة (١) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العلم بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدا فطوبى يومئذ للغرباء • وعن مالك بن أنس عن زيد بن أسلم في قول الله جل وعز «نرفع درجات من نشاء» قال بالعلم • وعن كثير ابن عبدالله عن أبيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الاسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدا فطوبى للغرباء قيل يا رسول الله ومن الغرباء قال الذين يُحيون سنتي ويعلّمونها عباد الله • وكان يقال العلماء غرباء لكثرة الجهال

﴿ باب ذكر من ذم الإكثار من الحديث دون التفهّم له والتفقّه فيه ﴾

عن الشعبي عن قَرَظة بن كعب (٢) قال خرجنا فشيّعنا عمر الى صِرار (٣) ثم دعا بماء فتوضأ ثم قال لنا أتدرون لِمَ خرجت معكم قلنا أردت أن تُشيّعنا وتكرمنا قال ان مع ذلك لحاجة خرجت لها انكم تأتون بلدة لأهلها دَوِيّ بالقرآن كدويّ النحل فلا تصدّوهم

---

(١) الخزاعي الدمشقي مقبول ووهم من زعم أن له صحبة فإن حديثه مرسل هـ تقريب

(٢) بن ثعلبة الانصاري صحابي شهد الفتوح بالعراق ومات في حدود الخمسين على الصحيح منه (٣) موضع بقرب المدينة كما في القاموس هـ

بالأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا شريككم قال قرظة فما حدثت بعده حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم • وعنه أيضاً قال قال لنا أقلّوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا شريككم • وفي رواية عن قرظة أيضاً قال خرجنا نريد العراق فمشى معنا عمر الى صرار فتوضأ فغسل اثنتين ثم قال أتدرون لم مشيت معكم قالوا نعم نحن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مشيت معنا فقال انكم تأتون أهل قرية لهم دوي بالقرآن كدوي النحل فلا تصدّوهم بالأحاديث فتشغلوهم جوّدوا القرآن وأقلوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم امضوا وأنا شريككم فلما قدم قرظة قالوا حدِّثنا قال نهانا عمر بن الخطاب • وعن عروة بن الزبير عن عائشة قالت الا يعجبك أبو هريرة جاء يجلس الى جانب حجرتي يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمعني وكنت أسبّح فقام قبل أن أقضي تسبيحي ولو أدركته لرددت عليه إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يسرد الحديث كسردكم • وعن أبي الطفيل قال سمعت عليًّا على المنبر يقول أتحبّون أن يكذّب الله ورسوله لاتحدثون الناس الا بما يعلمون

وعن أبي هريرة أنه كان يقول حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وِعائين فأما أحدهما فبثثته وأما الآخر فلو بثثته لقطعتم هذا البلعوم (والبلعوم الحلقوم) وعنه أنه قال لقد حدثتكم بأحاديث لو حدثت بها زمن عمر بن الخطاب اضربني عمر بالدِّرَّة

(قال أبو عمر) احتج بعض من لاعلم له ولا معرفة من أهل البدع وغيرهم الطاعنين في السنن بحديث عُمَر هذا قوله أقلّوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما ذكرنا في هذا الباب من الأحاديث وغيرها وجعلوا ذلك ذريعة الى الزهد في سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم التي لايوصل الى مراد كتاب الله الا بها والطعن على أهلها ولا حجة في هذا الحديث ولا دليل على شيء مما ذهبوا اليه من وجوه قدذكرها أهل العلم (منها) أن وجه قول عمر انما كان لقوم لم يكونوا أحصوا القرآن نخشي عليهم الاشتغال بغيره عنه اذ هو الأصل لكل علم هذا معنى قول أبي عُبَيْد في ذلك (واحتج) بما رواه عن حجاج عن المسعودي عن عون بن عبد الله بن عتبة ملّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مَلّة فقالوا يا رسول الله حدثنا فأنزل الله جل وعز « الله أنزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثانيَ تقشعرُّ منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم » الى آخر الآية قال ثم مَلّوا ملة أخرى فقالوا يا رسول الله حدثنا شيئاً فوق الحديث ودون القرآن يعنون القصص فأنزل « آلر تلك آيات الكتاب المبين » الى قوله « نحن نقصُّ عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك » الآية قال فان أرادوا الحديث دلّهم على أحسن

الحديث وان أرادوا القصص دلهم على أحسن القصص

وقال غيره انما نهى عمر عن الحديث عما لا يفيد حكما ولا سنة وطعن غيرهم في حديث قرظة هذا وردّوه لأن الآثار الثابتة عن عمر خلافه . فمنها ما روى ابن عباس عن عمر بن الخطاب في حديث السقيفة أنه خطب يوم جمعة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال اما بعد فإني أريد أن اقول مقالة قد قدِّر لي ان اقولها مَن وعاها وعقلها وحفظها فليحدِّث بها حيث تنتهي به راحلته ومن خشي أن لا يعيها فإني لا أحِلّ له ان يكذب عليّ ان الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالحق وأنزل معه الكتاب فكان مما أنزل معه الرجم وذكر الحديث.

وهذا يدل على ان نهيه عن الاكثار وأمره باقلال الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انما كان خوف الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وخوفاً من أن يكونوا مع الاكثار يحدّثون بما لم يتيقنوا حفظه ولم يَعُوه لأن ضبط من قلّت روايته أكثر من ضبط المستكثر وهو أبعد من السهو والغلط الذي لا يؤمن مع الاكثار فلهذا أمرهم عمر بالاقلال من الرواية ولو كره الرواية وذمّها لنهى عن الاقلال منها والاكثار ألا تراه يقول فمن حفظها ووعاها فليحدّث بها فكيف يأمرهم بالحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وينهاهم عنه هذا لا يستقيم بل كيف ينهاهم عن الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويأمرهم بالاقلال منه وهو يندبهم بالحديث عن نفسه بقوله من حفظ مقالتي ووعاها فليحدث بها حيث تنتهي به راحلته ثم قال ومن خشي ألاّ يعيها فلا يكذب عليّ وهذا يوضح لك ما ذكرنا والآثار الصحاح عنه من رواية المدينة بخلاف حديث قرظة وانما يدور على بيان عن الشعبي وليس مثله حجة في هذا الباب لأنه يعارض السنن والكتاب قال الله جل وعز « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة » وقال « وما آتاكم الرسول فخذوه » وقال فيه « النبيّ الأميّ الذي يؤمن بالله وكلماته » وقال « وانك لتهدي إلى صراط مستقيم صراط الله » ومثل هذا في القرآن كثير ولا سبيل الى اتّباعه والتأسّي به والوقوف عند أمره إلا بالخبر عنه فكيف يتوهم أحد على عمر أنه يأمر بخلاف ما أمر الله به وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نضّر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها ثم أدّاها إلى من لم يسمعها • الحديث • وفيه الحضّ الوكيد على التبليغ عنه صلى الله عليه وسلم • وقال • خذوا عني في غير ما حديث وبلّغوا عني • والكلام في هذا أوضح من النهار ، لأولي النهى والاعتبار ، ولا يخلو الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن يكون خيراً أو شرّاً فإن كان خيراً ولا شك فيه أنه خير فالاكثار من الخير أفضل وان كان شرّاً ولا يجوز أن يتوهم أن عمر رضي الله عنه يوصيهم بالاقلال من الشر وهذا يدلك

على انه انما أمرهم بذلك خوف مواقعة الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وخوف الاشتغال عن تدبر السنن والقرآن لأن المكثر لا تكاد تراه الا غير متدبر ولا متفقه ٠

وذكر مسلم بن الحجاج في كتاب التميز بسنده عن قيس بن عباد قال سمعت عمر ابن الخطاب يقول من سمع حديثاً فودّاه كما سمع فقد سلم ومما يدل على هذا ما قد ذكرناه فيما يروى عن عمر انه كان يقول تعلموا الفرائض والسنة كما تتعلمون القرآن فسوّى بينهما ٠ وعن مورِّق العجلي قال كتب عمر تعلموا السنة والفرائض واللحن كما تتعلمون القرآن ٠ قالوا اللحن معرفة وجوه الكلام وتصرفه والحجة به ٠ وعمر رضي الله عنه هو الناشد للناس في غير موقف بل في مواقف شتى مَن عنده علم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في كذا نحو ما ذكره مالك وغيره عنه في توريث المرأة من دية زوجها وفي الجنين يسقط ميتاً عند ضرب بطن أمه وغير ذلك مما لو ذكرناه طال به كتابنا وخرجنا عن حدّ ماله قصدنا وكيف يتوهم على عمر ما توهمه الذين ذكرنا قولهم وهو القائل إياكم والرأي فإن اصحاب الرأي اعداء السنن أعيتهم الاحاديث ان يحفظوها ٠ وقد ذكرنا هذا الخبر باسناده عن عمر في بابه من كتابنا هذا وعمر ايضاً هو القائل خير الهَدْي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وهو القائل سيأتي قوم يجادلونكم بشبهات القرآن فخذوهم بالسنن فان أصحاب السنن أعلم بكتاب الله عز وجل ٠ وقد يحتمل عندي أن تكون الآثار كلها عن عمر صحيحة متفقة ويخرج معناها على أن من شك في شيء تركه ومن حفظ شيئاً وأتقنه جاز له أن يحدّث به وإن كان الاكثار يحمل الانسان على التقحّم في أن يحدّث بكل ما سمع من جيّد ورديّ وغثٍ وسمين وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء إثماً ان يحدث بكل ما سمع وهو حديث ثابت من حديث شعبة ٠ ولو كان مذهب عمر ما ذكرنا لكانت الحجة في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم دون قوله فهو القائل نضّر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها ثم أداها وبلّغها وقد تقدم ذكره في هذا الكتاب ٠ وعن ثابت بن قيس (١) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تسمعون ويُسمع منكم ويسمع ممن يسمع منكم ٠ ومثله عن ابن عباس

(قال أبو عمر) الذي عليه جماعة فقهاء المسلمين وعلماؤهم ذم الإكثار دون تفقه ولا تدبر والمكثر لا يأمن مواقعة الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم لروايته عمن يُؤمَن وعمن لا يُؤمن ٠ وعن معبد بن كعب بن مالك قال سمعت أبا قتادة يقول قال رسول الله صلى الله

(قف على التحقيق في ذم الاكثار)

---

(١) بن شمّاس الخزرجي خطيب الانصار ومن كبار الصحابة استشهد باليمامة هـ تقريب

عليه وسلم إياكم وكثرة الحديث ومن قال عني فلا يقولن إلا حقاً • وعن خالد بن عبد الله يقول سمعت ابن شبرمة يقول أقلل الرواية تفقه. وعن قيس بن رافع (١) قال سمعت شفي (٢) الاصبحي يقول لتفتحن على هذه الأمة خزائن كل شيء حتى تفتح عليهم خزائن الحديث • وعن شعيب ابن حرب (٣) قال كنا عند سفيان يوماً فتذاكرنا الحديث فقال لو كان في هذا الحديث خير لنقص كما ينقص الخير ولكنه شر فأراه يزيد كما يزيد الشر • وعن حماد بن زيد (٤) قال قال لي سفيان الثوري يا أبا إسمعيل لو كان في هـذا الحديث خير لنقص كما ينقص الخير • وعن زكريا القطان قال رأيت سفيان بن عيينة وقد ألجأه أصحاب الحديث الى الميل الأخضر فالتفت اليهم فقال ما أدري الذي تطلبونه من الخير ولو كان من الخير لنقص كما ينقص الخير • (قال أبو عمر) هـذا كلام خرج على ضجر ،وفيه لأولي العلم نظر ، وقد أخذه بكر بن حماد فقال

لقد جفت الأقلام بالخلق كلهم فمنهم شقي خائب وسعيد
تمر الليالي بالنفوس سريعة ويبدئ ربي خلقه ويعيد
أرى الخير في الدنيا يقل كثيره وينقص نقصاً والحديث يزيد
فلو كان خيراً قل كالخير كله وأحسب أن الخير منه بعيد
ولابن معين في الرجال مقالة سيسئل عنها والمليك شهيد
فإن يك حقاً قوله فهي غيبة وان يك زوراً فالقصاص شديد
وكل شياطين العباد ضعيفة وشيطان أصحاب الحديث مريد

(قال أبو عمر) قد رد هذا القول على بكر بن حماد جماعة نظماً فمن ذلك ما أخبرني غير واحد عن مسلمة بن القاسم قال ذاكرت أبا الاصابع عبد السلام بن يزيد بن غياث الاشبيلي رفيقي ابيات بكر بن حماد هـذه ونحن في المسجد الحرام وسألته الرد عليه فعارضه بشعر أوله

تبارك من لا يعلم الغيب غيره ومن بطشه بالمعتدين شديد
(وفيه) تعرضت يا بكر بن حماد خطة بأمثالها في الناس شاب وليد
تقول بأن الخير قل كثيره وأخبرتنا أن الحديث يزيد

(١) الكوفي مجهول هـ تقريب (٢) بن ماتع ثقة ارسل حديثا فذكره بعضهم في الصحابة خطأ مات في خلافة هشام هـ منه (٣) المدائني نزيل مكة ثقة عابد مات سنة ١٩٧ هـ منه (٤) الازدي الجهضمي البصري ثقة فقيه مات سنة ١٧٩ هـ منه

وصيّرته إذ زاد شرًّا وقام في ضميرك أن الخير منه بعيد
فلم تأت منه الحق اذ قلت فيه بالعموم وانت المرء كنت تحيد
وما زال ذا قسمين حقاً وباطلا فهذا خلاخيل وذاك قيود
وذا ذهب محض وذلك آنُكٌ وذا وَرِقٌ صافٍ وذاك حديد
وهـذا أمير في الأنام معظم وذاك طريد في البلاد شريد
فذمّك هذا في المقال مذمّم وذمّك هذا في الفعال حميد
وألزمت هذا ذنب ذا كمعاقب ظباءً بذنب قارفته أسود
وهل ضرَّ أحراراً كراماً أعزَّةً إذا جاورتهم في النديّ عبيد
ولولا الحديث المحتوي سنن الهدى لقامت على رأس الضلال بنود
وقول رسول الله يعرف حدّه فليس له عند الرواة مزيد
وما كان من إفك وزور فإنه كعدّة رمل تحتويه زُرود
وليس له حدٌّ وفي كل ساعة يزيد جديداً يقتفيه جديد
ولابن معين في الذي قال أسوة ورأي مصيب للصواب سديد
وأجرٌ به يُصلي الإله محله وينزله في الخلد حيثُ يريد
يناضل عن قول النبي ويطرد الا أباطيل عن احواضه ويذود
وجِلَّة اهل العلم قالوا بقوله وما هو في شيءٍ أتاه فريد
وقلت وليس الصدق منك سجية وشيطان أصحاب الحديث مريد
وما الناس إلا اثنان برٌّ وفاجر فقولك عن سُبْل الصواب حيود
وكل حديثيٍّ تأزّر بالتقى فذاك امرؤ عند الإله سعيد
ولو لم يقم أهل الحديث بديننا فمن كان يروي عامه ويفيد
همُ ورثوا علم النبوة واحتووا من الفضل ماعنه الأنام رقود
وهم كمصابيح الدجى يهتدى بهم وما لهم بعد الممات خمود
عليك ابن غيّاث لزومَ سبيلهم فحالهم عند الإله حميد

وعن ابن شوذب(١) قال قال مطر الوراق العلماء مثل النجوم فإذا أطامت تسكّع الناس(٢)
وعن مطر أنه سأله رجل عن حديث فحدثه به فسأله عن تفسيره فقال لا أدري إنما

---

(١) الخراساني واسمه عبد الله سكن البصرة ثم الشام صدوق عابد مات سنة ١٥٦ هـ تقريب (٢) تمادوا في الباطل هـ قاموس

أنا زاملة(١) فقال له الرجل جزاك الله من زاملة خيراً فإن عليك من كل حلو وحامض • وعنه أيضاً أنه قال في قول الله جل وعز « ولقد يسّرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر » قال هل من طالب علم فيعان عليه

[قف على قول أبي عمر ولو كان في عصرنا ماذا يقول]

(قال ابو عمر) أما طلب الحديث على ما يطلبه كثير من أهل عصرنا اليوم دون تفقه فيه ولا تدبر لمعانيه فمكروه عند جماعة أهل العلم • وعن ابي سليمان الداراني قال دخلنا على سفيان بن سعيد الثوري وهو بمكة في بيت جالساً في زاويته على جلد فقال لنا ما جاء بكم فوالله لأنا إذا لم أركم خير مني إذا رأيتكم قال ابو سليمان فسكتنا وتكلم بعضنا بكلام فقطعه علينا فما برحنا حتى تبسم الينا • وعن محمد بن المثنى البزار قال سمعت بشر بن الحارث يقول سمعت أبا خالد الأحمر (٢) يقول يأتي على الناس زمان تعطل فيه المصاحف لا يقرأ فيها يطلبون الحديث والرأي(٣) ثم قال اياكم وذلك فانه يصفق الوجه ويكثر الكلام ويشغل القلب • وعن أبي عبد الرحمن الضرير يقول سمعت وكيعاً يقول قيل لداود الطائي ألا تحدث قال ماراحتي في ذلك أكون مستملياً على الصبيان فيأخذون عليّ سقطي فإذا قاموا من عندي يقول قائل منهم أخطأ في كذا ويقول آخر غلط في كذا ماراحتي في ذلك ترى عندي شيئاً ليس عند غيري • قال وقيل لداود الطائي كم تلزم بيتك الا تخرج قال اكره أن احمل رجلي في غير حق • وعن احمد بن عبد الله بن ابي الحوَارِي(٤) قال قلت لأبي بكر بن عياش (٥) حدِّثنا قال دعونا من الحديث فانا قد كبرنا ونسينا الحديث جيئونا بذكر المعاد والمقابر ان أردتم الحديث فاذهبوا الى هذا الذي في بني رؤاس يعني وكيعاً قلت اني رجل من أهل الشام قال ذاك أهون لك عندي • وعن احمد ابن عبد الله بن يونس (٦) قال سمعت الفضيل بن عياض يقول إن لم تؤجر على هذا الحديث لقد شقينا

---

(١) الزاملة الناقة التي يحمل عليها هـ منه (٢) واسمه سليمان بن حيان الازدي الكوفي صدوق يخطئ مات سنة ١٩٦ هـ تقريب (٣) ليت طلاب زماننا يطلبون الحديث والرأي ولا يطلبون الغباوة والجهل فهذه سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا علم الاخلاق الدينية قلّ أن تجد من يعرفهما بين الذين يدّعون طلب العلوم الاسلامية إرشدهم الله لخيرهم وعرّفهم منهاج سلفهم آمين (٤) التغلبي ثقة زاهد مات سنة ٢٤٦ هـ تقريب (٥) الأسدي الكوفي المقري مشهور بكنيته والاصح انها اسمه ثقة عابد مات سنة ١٩٤ هـ منه (٦) الكوفي التميمي اليربوعي ثقة حافظ مات سنة ٢٢٧ هـ منه

[قف على كلام فضيل ابن عياض]

وعن ابن أبي الحواري قال أتينا فضيل بن عياض سنة خمس وثمانين ومائة ونحن جماعة فوقفنا على الباب فلم يؤذن لنا بالدخول فقال بعض القوم ان كان خارجاً لشيء فسيخرج لتلاوة القرآن قال فأمرنا قارئاً فقرأ فاطلع علينا من كوّة فقلنا السلام عليك ورحمة الله فقال وعليكم السلام قلنا كيف أنت يا أبا علي وكيف حالك قال أنا من الله في عافية ومنكم في أذى وإن ما أنتم فيه حدث في الاسلام فإنا لله وإنا إليه راجعون ماهكذا كنا نطلب العلم ولكنا كنا نأتي المشيخه فلا نرى أنفسنا أهلاً للجلوس معهم في الحلق فنجلس دونهم ونسترق السمع فاذا مر الحديث سألناهم اعادته وقيدناه وأنتم تطلبون العلم بالجهل وقد ضيعتم كتاب الله ولو طلبتم كتاب الله لوجدتم فيه شفاء لما تريدون قال قلنا قد تعلمنا القرآن قال إن في تعليمكم القرآن شغلا لأعماركم وأعمار أولادكم قلنا كيف يا أبا علي قال لن تعلموا القرآن حتى تعرفوا إعرابه ومحكمه من متشابهه وناسخه من منسوخه فإذا عرفتم ذلك استغنيتم عن كلام فضيل وابن عيينة ثم قال أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم «يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون» وعن سيف بن هرون (١) عن عفان أو عمار رجل من أهل البراجم قال سمعت الضحاك بن مزاحم (٢) يقول يأتي على الناس زمان يعلق فيه المصحف حتى يعشش عليه العنكبوت لا ينتفع بما فيه ويكون أعمال الناس بالروايات والاحاديث • وعن الحسن ابن زياد قال سمعت فضيل بن عياض يقول لأصحاب الحديث لم تكرهوني على أمر تعلمون أني كاره له لو كنت عبداً لكم فكرهتكم كان نولكم (٣) أن تبيعوني ولو أعلم أني لو دفعت اليكم ردائي في هذا ذهبتم عني لدفعته اليكم • وكان سفيان الثوري يقول أنا فيه يعني الحديث منذ ستين سنة وددت أني خرجت منه كفافاً لا عليّ ولا لي • وعنه قال ليتني أنفلت منه كفافاً لا عليّ ولا لي • وعن الثوري عمن سمع الشعبي يقول ليتني انفلت من علمي كفافا لا لي ولا علي • وعن يحيي بن معين يقول سمعت ابن عيينة يقول عن سفيان الثوري أنه قال ما تريد الى شيء إذا بلغت منه الغاية تمنيت أن تنفلت منه كفافاً • وعن يموت بن المزرع قال اذا رأيت الشيخ يعدو فاعلم أن أصحاب الحديث خلفه • وعن محمد بن سلام قال قال عمر بن الخطاب ما رأيت عاماً أشرف ولا أهلا أسخف من أهل الحديث •

[قف على سماع ابن عيينة من الثوري]

---

(١) البرجمي الكوفي ضعيف هـ تقريب (٢) الهلالي الخراساني صدوق كثير الارسال مات بعد المائة هـ منه (٣) قال في القاموس نولك أن تفعل كذا أن ينبغي لك هـ

وعن سفيان بن عيينه قال سمعت مِسْعراً يقول من أبغضني جعله الله محدّثا ووددت أن هذا العلم كان حمل قوارير حملته على رأسي فوقع فتكسر فاسترحت من طلابه ٠ وعن ابراهيم بن سعيد قال سمعت سفيان بن عيينة يقول ونظر الى أصحاب الحديث فقال أنتم سُخْنَة عين (١) لو أدركنا وإياكم عمر بن الخطاب لأوجعنا ضربا ٠ وعن محمد بن بكار العيشي قال سمعت ابن أبي عدي يقول قال شعبة كنت إذا رأيت رجلا من أهل الحديث يجيءُ أفرح به فصرت اليوم ليس شيءٌ أبغض اليّ من أن أرى واحداً منهم ٠ وعن يحيي ابن سعيد القطان (٢) قال سمعت شعبة يقول إن هذا الحديث يصدّكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون (قال أبو عمر) بلغني عن جماعة من العلماء أنهم كانوا يقولون إذا حدّثوا بحديث شعبة هذا وأيّ شيءٍ كان يكون شعبة لولا الحديث

(قال أبو عمر) إنما عابوا الاكثار خوفاً من أن يرتفع التدبر والتفهم ألا ترى الى ما حكاه بشر بن الوليد عن أبي يوسف قال سألني الأعمش عن مسألة وأنا وهو لاغير فأجبته فقال لي من أين قلت هذا يايعقوب فقلت بالحديث الذي حدّثتني أنت ثم حدّثته فقال لي يايعقوب إني لأحفظ هذا الحديث من قبل أن يجتمع أبواك ماعرفتُ تأويله الى الآن ٠ وروي نحو هذا أنه جرى بين الأعمش وبين أبي يوسف وأبي حنيفة فكان من قول الاعمش أنتم الاطباء ونحن الصيادلة ومن ههنا قال اليزيدي

إن من يحمل الحديث ولا   يعرف فيه التأويل كالصيدلاني

وقد تقدم ذكر هذه الابيات بتمامها في كتابنا هذا ٠ وعن عبيدالله بن عمرو قال كنت في مجلس الأعمش فجاءه رجل فسأله عن مسألة فلم يجبه فيها ونظر فاذا أبو حنيفة فقال يانعمان قل فيها قال القول فيها كذا قال من أين قلت من حديث كذا أنت حدّثتناه قال فقال الأعمش نحن الصيادلة وأنتم الاطباء وعن يحيي بن سعيد القطان قال رواة الشعر أيقظ وأعقل من رواة الحديث لأن رواة الحديث يروون موضوعاً ومصنوعا كثيراً ورواة الشعر ساعة ينشدون المصنوع ينتقدونه ويقولون هذا مصنوع ٠ وذكر ابن مقسم قال سمعت ابن أبي داود يقول سمعت أبي يقول الحديث لايحتمل حسن الظن ٠ وعن شريح بن يونس قال سمعت يحيي بن يمان يقول يكتب أحدهم الحديث ولا يتفهم ولا يتدبر فاذا سئل أحدهم عن مسألة جلس كأنه مكاتب (قال أبو عمر) في مثل هذه يقول الشاعر

زواملُ للأشعار لاعلم عندهم   بجيّدها إلا كعلم الأباعر

---

(١) نقيض قُرَّتها هـ لسان (٢) البصري ثقة متقن امام حافظ قدوة مات سنة ١٩٨ هـ تقريب

لعمرك مايدري البعير إذا غدا ... بأحماله أوراح مافي الغرائر

وقال عمار الكلبي

إن الرواة على جهل بما حملوا ... مثل الجمال عليها يحمل الوَدَع

لا الوَدْع ينفعه حمل الجمال له ... ولا الجمال بحمل الودع تنتفع

وأنشد الخُشَني رحمه الله

قطعتَ بلاد الله للعلمُ طالباً ... لحِمّلتَ أسفاراً فصرت حمارها

إذا ما أراد الله حتفاً بنملة ... أتاح جنا حين لها فأطارها

وقال منذر بن سعيد

انعق بما شئت تجد انصاراً ... ورّم اسفاراً تجد حمارا

يحمل ما وضعت من اسفار ... مثله كمثل الحمار

يحمل اسفاراً له وما درى ... ان كان مافيها صواباً او خطا

إن سئلوا قالوا كذا روينا ... ما ان كذبناه ولا اعتدينا

كبيرهم يصغر عند الحفل ... لانه قلد اهل الجهل

قال ابو يوسف القاضي من تتبع غرائب الاحاديث كذب ومن طلب الدين بالكلام تزندق ومن طلب المال بالكيمياء أفلس • وعن سفيان بن حسين قال قال لي اياس بن معاوية أراك تطلب الاحاديث والتفسير فإياك والشناعة فان صاحبها لن يسلم من العيب • وعن ابي السائب قال سمعت حفص بن غياث يقول سمعت الاعمش يقول يعني لأصحاب الحديث لقد رددتموه حتى صار في حلقي امرّ من العلقم ماعطفتم على احد الا حملتموه على الكذب • وعن ابي بكر بن عياش قال سمعت مغيرة الضبي يقول والله لأنا اشدّ خوفاً منهم من الفساق يعني اصحاب الحديث وفيما رواه عبدان عن ابن المبارك انه قال ليكن الذي تعتمد عليه الأثر وخذ من الرأي ما يفسر لك الحديث • وقال مالك ينبغي ان تتبع آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتتبع الرأي • وقال وكيع كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل به وكنا نستعين على طلبه بالصوم • وعن ابي ليلى قال لايفقه الرجل في الحديث حتى يأخذ منه ويدع • وكان حمزة بن محمد بن علي الكناني يقول خرّجت حديثاً واحداً عن النبي صلى الله عليه وسلم من مائتي طريق أو من نحو من مائتي طريق يشك أبو محمد قال فداخلني من ذلك من الفرح غير قليل وأعجبت بذلك قال فرأيت ليلة من الليالي يحيى بن معين في المنام فقلت له يا أبا زكريا خرّجت حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم من مائتي طريق قال فسكت عني ساعة ثم قال أخشى أن يدخل هذا تحت

[قف على قول أبي يوسف]

[قف على قول مالك]

«ألهاكم التكاثر» وقال عمار بن رزيق لابنه ورآه يطلب الحديث يابني اعمل بقليله تزهد في كثيره · وعن ابي عتبة الخولاني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تبارك وتعالى لايزال يغرس في هذا الدين غرساً يستعملهم بطاعته قال أبو يعقوب بلغني عن أحمد ابن حنبل قال هم أصحاب الحديث · وعن قراد أبي نوح عبدالرحمن بن غزوان(١) قال سمعت شعبة يقول اذا رأيت المحبرة في بيت انسان فارحمه وان كان في كمك شيء فأطعمه

«قف على حديث جليل»

﴿ باب ما جاء في ذم القول في دين الله بالرأي والظن والقياس على غير أصل وعيب الإكثار من المسائل دون اعتبار ﴾

عن عروة بن الزبير قال حج علينا عبد الله بن عمرو بن العاص فجلست اليه فسمعته يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله لاينزع العلم من الناس بعد أن أعطاهموه انتزاعاً ولكن ينتزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم فيبقى ناس جهال يستفتون فيفتون برأيهم فيضلون ويضلون قال عروة فحدثت بذلك عائشة ثم ان عبد الله بن عمرو حج بعد ذلك فقالت لي عائشة يا ابن أختي انطلق الى عبد الله فاستثبت لي منه الحديث الذي حدثني به عنه قال فجئته فسألته فحدثني به كنحو ما حدثني فأتيت عائشة فأخبرتها فعجبت وقالت والله لقد حفظ عبد الله بن عمرو · وعن عوف بن مالك الاشجعي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة أعظمها فتنة قوم يقيسون الدين برأيهم يحرِّمون به ما أحل الله ويحلون به ما حرّم الله · وفي رواية فيحلون الحرام ويحرمون الحلال · وروى عن يحيى بن معين أنه قال حديث عوف بن مالك الذى يرويه عيسى بن يونس ليس له أصل ونحوه عن أحمد بن حنبل (قال ابو عمر) هذا هو القياس على غير اصل والكلام في الدين بالتخرّص والظن ألا ترى الى قوله في الحديث يحلون الحرام ويحرمون الحلال ومعلوم أن الحلال مافي كتاب الله أوسنة رسوله تحليله والحرام مافي كتاب الله أو سنة رسوله تحريمه فمن جهل ذلك وقال فيما سئل عنه بغير علم وقاس برأيه الأمور حرّم ما احل الله بجهله وأحل ما حرم الله من حيث لم يعلم فهذا هو الذي قاس برأيه فضلّ وأضل ومن ردّ الفروع الى أصولها ولم يقل برأيه

وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعمل هذه الامة برهة بكتاب الله وبرهة بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يعملون بالرأي فإذا فعلوا ذلك فقد ضلوا ·

---

(١) الضبي ثقة له افراد مات سنة ١٨٧ هـ تقريب

[قف على عمر ابن الخطاب]

وعن ابن شهاب أن عمر بن الخطاب قال وهو على المنبر يا أيها الناس ان الرأي إنما كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم مصيباً لان الله كان يُريه وانما هو منا الظن والتكلف • وعن محمد بن ابراهيم التيمي (١) أن عمر بن الخطاب قال أصبح أهل الرأي اعداء السنن أعيتهم الأحاديث ان يعوها وتفلّتت منهم أن يرووها فاشتقوا الرأي • وعن عبيد الله بن عمر أن عمر بن الخطاب قال اتقوا الرأي في دينكم قال سحنون يعني البدع • وعن صدقة بن أبي عبد الله ان عمر بن الخطاب كان يقول ان أصحاب الرأي اعداء السنن أعيتهم ان يحفظوها وتفلّتت منهم ان يعوها واستحيوا حين سئلوا ان يقولوا لا نعلم فعارضوا السنن برأيهم فإياكم واياهم

وعن عمرو بن حريث قال قال عمر اياكم وأصحاب الرأي فإنهم أعداء السنن اعيتهم الاحاديث ان يحفظوها فقالوا بالرأي فضلوا واضلوا • وعن محمد بن ابراهيم التيمي قال قال عمر بن الخطاب اياكم والرأي فان اصحاب الرأي اعداء السنن اعيتهم الاحاديث ان يعوها وتفلتت منهم ان يحفظوها فقالوا في الدين برأيهم • قال ابو بكر بن داود اهل الرأي اهل البدع وهو القائل في قصيدته في السنة

ودع عنك آراء الرجال وقولهم فقول رسول الله أزكى وأشرح

وعن مسروق عن عبدالله قال لايأتي عليكم زمان الا وهو شرٌّ من الذي قبله أما اني لا أقول أمير خير من أمير ولاعام أخصب من عام ولكن فقهاؤكم يذهبون ثم لاتجدون منهم خلفاً ويجيء قوم يقيسون الأمور برأيهم • وعن مسروق أيضاً عن عبدالله بن مسعود أنه قال ليس عام الا الذي بعده شر منه لا أقول عام أمطر من عام ولا عام أخصب من عام ولا أمير خير من أمير ولكن ذهاب خياركم وعلمائكم ثم يحدث قوم يقيسون الأمور برأيهم فيهدم الاسلام ويثلم • وعن منذر الثوري عن الربيع بن خُثَيم (٢) أنه قال له عبدالله ماعلمك الله في كتابه من علم فاحمد الله وما استأثر عليك به من علم فكله الى عالمه ولا تتكلف فان الله جل وعز يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم «قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين ان هو الاّ ذكرٌ للعالمين ولتعلمُنَّ نبأه بعد حين »

وعن مكحول عن أبي ثعلبة الخشني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها ونهى عن أشياء فلا تنهكوها وحدّ حدوداً فلا تعتدوها وعفى عن

---

(١) المدني ثقة له أفراد مات سنة ١٢٠ هـ تقريب (٢) الثوري الكوفي ثقة عابد مخضرم قال له ابن مسعود لو رآك النبي صلى الله عليه وسلم لأحبك مات سنة ٦١ هـ منه

أشياء رحمة لكم لا عن نسيان فلا تبحثوا عنها • وعن أبي فزارة قال قال ابن عباس انما هو كتاب الله وسنة رسوله فمن قال بعد ذلك برأيه فما أدري أفي حسناته يجد ذلك أم في سيئاته • وعن عبيد الله بن أبي جعفر قال قال عمر بن الخطاب السنة ما سنّه الله ورسوله لاتجعلوا خطأ الرأي سنةً للأمة • وعن هشام بن عروة أنه سمع اباه يقول لم يزل امر بني اسرائيل مستقيما حتى أدرك فيهم المولّدون ابناء سبايا الأمم فأخذوا فيهم بالرأي فأضلوا بني اسرائيل • وعن عيسى بن ابي عيسى عن الشعبي انه سمعه يقول اياكم والمقايسة فوالذي نفسي بيده لئن اخذتم لتحلّن الحرام ولتحرمنّ الحلال ولكن ما بلغكم من حفظ عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحفظوه • وعن الشعبي قال انما هلكتم حين تركتم الآثار وأخذتم بالمقاييس • وعن ابن سيرين قال كانوا يرون انه على الطريق ما دام على الأثر • وعن محمد بن عبد العزيز قال سمعت علي بن الحسن بن شقيق يقول سمعت عبد الله بن المبارك يقول لرجل ان ابتليت بالقضاء فعليك بالأثر

[قف على قول الشعبي في القياس]

وعن عبد الله بن المبارك عن سفيان قال انما الدين بالآثار • وعن عبدان بن عثمان قال سمعت عبد الله بن المبارك يقول ليكن الذي تعتمد عليه هذا الأثر وخذ من الرأي ما يفسر لك الحديث • وعن شريح أنه قال ان السنة سبقت قياسكم فاتبعوا ولا تبتدعوا فانكم لن تضلّوا ما أخذتم بالأثر • وروى عمرو بن ثابت (١) عن المغيرة عن الشعبي قال ان السنة لم توضع بالمقاييس • وعن الحسن قال انما هلك من كان قبلكم حين تشعبت بهم السبل وحادوا عن الطريق فتركوا الآثار وقالوا في الدين برأيهم فضلوا واضلوا

[قف على قول الحسن]

وعن مسروق قال من يرغب برأيه عن امر الله يضل • وعن رجل من قريش انه سمع ابن شهاب يقول وهو يذكر ما وقع فيه الناس من هذا الرأي وتركهم السنن فقال ان اليهود والنصارى انما انسلخوا من العلم الذي كان بأيديهم حين اشتقوا الرأي واخذوا فيه • وعن هشام بن عروة عن أبيه انه كان يقول السنن السنن فان السنن قوام الدين قال وكان عروة يقول ازهد الناس في عالمٍ اهله

(قال ابو عمر) اختلف العلماء في الرأي المقصود اليه بالذم والعيب في هذه الآثار المذكورة في هذا الباب عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن اصحابه رضي الله عنهم وعن التابعين لهم بإحسان فقالت طائفة الرأي المذموم هو البدع المخالفة للسنن في الاعتقاد كرأي جهم وسائر مذاهب اهل الكلام لأنهم قوم استعملوا قياسهم وآراءهم في رد الأحاديث

---

(١) الكوفي مولى بكر بن وائل ضعيف رمي بالرفض مات سنه ١٧٢ هـ تقريب

فقالوا لايجوز ان يرى الله عز وجل في القيامة لأنه عز وجل يقول « لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار » فردّوا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم إنكم ترون ربكم يوم القيمة وتأولوا في قول الله عز وجل « وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة » تأويلاً لا يعرفه أهل اللسان ولا أهل الأثر وقالوا لا يجوز أن يُسئَل الميت في قبره لقول الله عز وجل « أمتّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين » فردوا الأحاديث المتواترة في عذاب القبر وفتنته وردوا الاحاديث في الشفاعة على تواترها وقالوا لن يخرج من النار من دخل فيها وقالوا لا نعرف حوضاً ولا ميزاناً ولا نعقل ما هذا وردوا السنن فى ذلك كله برأيهم وقياسهم الى أشياء يطول ذكرها من كلامهم فى صفات الباري تبارك وتعالى وقالوا علم الباري محدث فى حين حدوث المعلوم لأنه لا يقع علمه الا على معلوم فراراً من قدم العالم بزعمهم فاهذا قال أكثر أهل العلم ان الرأي المذموم المعيب المهجور الذي لا يحل النظر فيه ولا الاشتغال به الرأي المبتدع وشبهه من ضروب البدع • وعن أحمد بن سنان(١) قال سمعت الشافعي يقول مثل الذي ينظر في الرأي ثم يتوب منه مثل المجنون الذي عولج حتي برأ فأعقل مايكون قد هاج به • وعن أبي بكر بن أبي داود قال سمعت أبي يقول سمعت أحمد بن حنبل يقول لا تكاد ترى أحداً نظر في هذا الرأي الا وفي قلبه دَغَل • وقال آخرون وهم جمهور أهل العلم الرأي المذموم المذكور في هذه الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه والتابعين هو القول في أحكام شرائع الدين بالاستحسان والظنون والاشتغال بحفظ المعضلات والأُغلوطات وردّ الفروع والنوازل بعضها على بعض قياساً دون ردّها على أصولها والنظر في عللها واعتبارها فاستعمل فيها الرأي قبل ان تنزل وفرعت وشققت قبل أن تقع وتُكلم فيها قبل أن تكون بالرأي المضارع للظن قالوا ففي الاشتغال بهذا والاستغراق فيه تعطيل للسنن والبعث على جهلها وترك الوقوف على ما يلزم الوقوف عليه منها ومن كتاب الله عز وجل ومعانيه واحتجوا على صحة ما ذهبوا اليه من ذلك بأشياء منها ما رويناه بالسند عن ابن عمر قال لاتسئلوا عما لم يكن فإني سمعت عمر يلعن من سأل عما لم يكن • وعن معاوية بن أبي سفيان أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الأغلوطات فسّره الأوزاعي قال يعني صعاب المسائل • وعن معاوية أيضاً أنهم ذكروا المسائل عنده فقال أما تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن عُضَل المسائل • واحتجوا أيضاً بحديث سهل بن سعد وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كره المسائل

(وقف على قول الجمهور في الرأي المذموم)

---

(١) بن أسد بن حبان أبوجعفر القطان الواسطي ثقة حافظ مات سنة ١٥٩ هـ تقريب

وعابها وبأنه صلى الله عليه وسلم قال إن الله يكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال . فعن عبد الرحمن بن مهدي قال حدثنا مالك عن الزهري عن سهل بن سعد قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المسائل وعابها هكذا ذكره أحمد بن زهير بهذا الاسناد وهو خلاف لفظ الموطأ . قال الدارقطني لم يرو عبد الرحمن بن مهدي عن مالك في حديث اللعان إلا هذه الكلمة وتابعه على ذلك قراد أبو نوح ونوح بن ميمون المضروب عن مالك فذكر حديث عبد الرحمن بن مهدي من رواية أبي خيثمة سواء . فمن مالك عن ابن شهاب عن سهل بن سعد قال كره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسائل وعابها . وعن الأوزاعي عن عبد الله ابن أبي لبابة قال وددت أن حظي من أهل هذا الزمان أن لا أسألهم عن شيء ولا يسئلوني عن شيء يتكاثرون بالمسائل كما يتكاثر أهل الدراهم بالدراهم . وفي سماع أشهب سئل مالك عن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهاكم عن قيل وقال وكثرة السؤال فقال أما كثرة السؤال فلا أدري أهو ما أنتم فيه مما أنهاكم عنه من كثرة المسائل فقد كره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسائل وعابها وقال الله «لا تسئلوا عن أشياء إن تبدَ لكم تسؤكم» فلا أدري أهو هذا أم السؤال في مسئلة الناس في الاستعطاء . وقد ذكرنا القول في قيل وقال وإضاعة المال وكثرة السؤال مبسوطاً في كتاب التمهيد والحمد لله

واحتجوا أيضاً بما رواه ابن شهاب عن عامر بن سعد بن أبي وقاص (١) أنه سمع أباه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم المسلمين جُرماً من سُئل عن شيء لم يحرم على المسلمين فحرم عليهم من أجل مسئلته . وعن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذروني ما تركتكم فإنما أهلك الذين من قبلكم سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فاذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بشيء فخذوا منه ما استطعتم . وعن طاوس قال قال عمر بن الخطاب وهو على المنبر أحرج بالله على كل امرئ سأل عن شيء لم يكن فإن الله قد بيّن ما هو كائن . وعن سعيد بن جُبير عن ابن عباس قال ما رأيت قوماً خيراً من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ما سألوه إلا عن ثلاثة عشرة مسئلة حتى قبض صلى الله عليه وسلم كلهن في القرآن «ويسئلونك عن المحيض» «يسئلونك عن الشهر الحرام» «ويسئلونك عن اليتامى» [٢] ما كانوا يسئلون الا عما ينفعهم

[قلت صلى حديث جليل]

(قال أبو عمر) ليس في الحديث من الثلاث عشرة مسئلة الا ثلاث (٣) قالوا ومن تدبّر

---

(١) الزهري المدني ثقة مات سنة ١٠٤ هـ تقريب (٢) الآيات الثلاث في سورة البقرة (٣) قلت ولعلّ العشرة الباقية هي «يسألونك عن الأهلة» في البقرة وفيها أيضاً «يسألونك ماذا ينفقون» وفيها «يسألونك عن الخمر والميسر» وفي النساء «واسئلوا الله من فضله»

الآثار المروية في ذم الرأي المرفوعة وآثار الصحابة والتابعين في ذلك علم أنه ما ذكرنا قالوا ألا ترى أنهم كانوا يكرهون الجواب في مسائل الأحكام ما لم تنزل فكيف بوضع الاستحسان والظن والتكلف وتسطير ذلك واتخاذه دينا • وذكروا من الآثار أيضاً ما رويناه بالسند عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتعجلوا بالبلية قبل نزولها فإنكم إلا تفعلوا أوشك أن يكون فيكم من إذا قال سُدِّد ووفِّق فإنكم إن عجلتم تشتت بكم الطرق ههنا وههنا • وعن مسروق قال سألت أبي بن كعب عن مسئلة فقال أكانت هذه بعد قلت لا قال فأجمّني حتى تكون • وعن خارجة بن زيد بن ثابت(١) عن أبيه أنه كان لا يقول برأيه في شيء حين يسأل عنه حتى يقول أنزل أم لا فإن لم يكن نزل لم يقل فيه وان يكن وقع تكلم فيه قال وكان اذا سئل عن مسئلة فيقول أوقعت فيقال له يا أبا سعيد ما وقعت ولكنا نُعدّها فيقول دعوها فان كانت وقعت أخبرهم • قال ابن وهب وأخبرني ابن أبي الزناد عن هشام بن عروة قال ما سمعت أبي يقول في شيء قط برأيه قال وربما سئل عن الشيء فيقول هذا من خالص السلطان • وروينا عن بشر بن الحارث قال قال سفيان بن عيينة من أحبّ أن يُسأل وليس بأهل أن يسأل فما ينبغي أن يُسأل قال ابن وهب وأخبرني بكر بن مضر(٢) عن ابن هرمز قال أدركت أهل المدينة وما فيها إلا الكتاب والسنة والأمر ينزل فينظر فيه السلطان قال وقال لي مالك أدركت أهل هذه البلاد وانهم ليكرهون هذا الاكثار الذي في الناس اليوم قال ابن وهب يريد المسائل.

وقال مالك انما كان الناس يفتون بما سمعوا وعلموا ولم يكن هذا الكلام الذي في الناس اليوم • وعن ابن سيرين قال قال عمر بن الخطاب لأبي مسعود عقبة بن عمرو ألم أنبأ أنك تفتي الناس ولست بأمير ولِّ حارّها من تولى قارّها • وكان عمر بن الخطاب يقول اياكم وهذه العُضَل فانها اذا نزلت بعث الله اليها من يقيمها ويفسرها • وعن يزيد بن أبي حبيب أن عبد الملك بن مروان سأل ابن شهاب عن شيء فقال له ابن شهاب أكان هذا يا أمير المؤمنين قال لا قال فدعه فانه اذا كان أتى الله بفرج • وعن مجاهد عن ابن عمر قال يا أيها

وفيها « لاتسألوا عن أشياء » وفي المائدة « يسألونك ماذا أحلّ لهم » وفي الانفال « يسألونك عن الانفال » وفي يوسف « لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين » وفي الكهف « ويسألونك عن ذي القرنين » وفي طه « ويسألونك عن الجبال »

(١) الانصاري ثقة فقيه مات سنة ١٠٠ هـ تقريب (٢) بن محمد بن حكيم المصري أبو محمد أو أبو عبد الملك ثقة ثبت مات سنة ١٧٣ هـ منه

الناس لا تسئلوا عما لم يكن فان عمر كان يلعن من سأل عما لم يكن • وعن موسى بن عُليّ (١) عن أبيه قال كان زيد بن ثابت اذا سأله انسان عن شيء قال الله أكان هـذا فان قال نعم نظر والا لم يتكلم • وعن عامر قال أتى زيد بن ثابت قوم فسألوه عن أشياء فأخبرهم بها فكتبوها ثم قال لو أخبرناه قال فأتوه فأخبروه فقال أغدراً لعل كل شيء حدثتكم به خطأ انما اجتهدت لكم رأيي • وعن عمرو بن دينار قال قيل لجابر بن زيد (٢) انهم يكتبون ما يسمعون منك قال انا لله وانا اليه راجعون يكتبون رأياً أرجع عنه غداً • وعن المسيب ابن رافع (٣) قال كان اذا جاء الشيء من القضاء ليس في الكتاب ولا في السنة سمّي صوافي الأمراء فيرفع اليهم فجُمع له أهل العلم فما اجتمع عليه رأيهم فهو الحق . وذكر الطبري في كتاب تهذيب الآثار له حدثنا الحسن بن الصبّاح البزار (٤) قال حدثني اسحق بن ابراهيم الحُنيني (٥) قال قال مالك قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تم هذا الأمر واستكمل فانما ينبغي أن تتبع آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تتبع الرأي فانه متى اتبع الرأي جاء رجل آخر أقوى في الرأي منك فاتبعته فأنت كلما جاء رجل عليك اتبعته أرى هذا لا يتم . وقال عبدان سمعت عبدالله بن المبارك يقول ليكن الذي تعتمد عليه الأثر وخذ من الرأي ما يفسر لك الحديث قال وقال ابن المبارك قال مالك بن دينار لقتادة أتدري أي علم رفعت قمت بين الله وبين عباده فقلت هذا يصلح وهـذا لا يصلح • وعن يحيى بن سعيد قال جاء رجل الى سعيد بن المسيب فسأله عن شيء فأمله عليه (٦) ثم سأله عن رأيه فأجابه فكتب الرجل فقال رجل من جلساء سعيد أيُكتب يا ابا محمد رأيك فقال سعيد للرجل ناولنيها فناوله الصحيفة فخرقها • وعن عبدالله بن وهب ان رجلا جاء الى القاسم بن محمد فسأله عن شيء فأجابه فلما ولى الرجل دعاه فقال له لا تقل ان القاسم يزعم ان هـذا هو الحق ولكن ان اضطررت اليه عملت به • وعن العباس بن الوليد بن مَزْيد (٧) قال أخبرني ابي قال سمعت الأوزاعي يقول عليك بآثار من سلف وان رفضك الناس واياك وآراء الرجال

(قف على اهتمام امراء السلف بجمع العلماء في المسائل المشكلة)

---

(١) اللخمي البصري صدوق ربما أخطأ مات سنة ١٧٣ هـ تقريب (٢) أبو الشعثاء الأزدي ثم الجَوْفي البصري مشهور بكنيته ثقه فقيه مات سنة ٩٣ وقيل أكثر هـ منه (٣) الأسدي الكوفي مات سنة ١٠٥ هـ منه (٤) أبو علي الواسطي نزيل بغداد صدوق يَهِمُ عابد فاضل مات سنة ٢٤٩ هـ منه (٥) المدني نزيل طرَسوس مات سنة ٢١٦ هـ منه (٦) قال في القاموس وأمَلَّه قال له فكتب عنه هـ (٧) العُذْري البيروتي صدوق عابد مات سنة ٢٦٩ هـ تقريب

وان زخرفوا لك القول • وذكر البخاري عن ابن بكير عن الليث قال قال ربيعة لابن شهاب يا ابا بكر اذا حدثت الناس برأيك فأخبرهم انه رأيك واذا حدثت الناس بشيء من السنة فأخبرهم انه سنة لا يظنوا انه رأيك • وعن ابن وهب قال قال مالك بن انس وهو ينكر كثرة الجواب للمسائل يا عبدالله ما علمته فقل به ودلّ عليه وما لم تعلم فاسكت عنه واياك ان تتقلد للناس قلادة سوء • وعن عبدالله بن مسلمة القعنبي (٣) قال دخلت على مالك فوجدته باكياً فسلمت عليه فرد عليّ ثم سكت عني يبكي فقلت له يا ابا عبدالله ما الذي يبكيك فقال لي يا ابن قعنب إنا لله على ما فرط مني ليتني جلدت بكل كلمة تكلمت بها في هذا الامر بسوط ولم يكن فرط مني ما فرط من هذا الرأي وهذه المسائل وقد كانت لي سعة فيما سبقت اليه • وعن ابي عثمان سعيد بن محمد الحداد قال سمعت سحنون بن سعيد يقول ما أدري ما هذا الرأي سفكت به الدماء واستحلت به الفروج واستحقت به الحقوق غير أنا رأينا رجلا صالحاً فقلدناه • وعن مخلد بن الحسين عن الاوزاعي قال اذا اراد الله ان يحرم عبده بركة العلم ألقى على لسانه الاغاليط • ورويناه عن الحسن انه قال إنّ من شرار عباد الله الذين يجيئون بشرار المسائل يفتنون بها عباد الله • وعن حماد بن زيد قال قيل لأيوب مالك لا تنظر في الرأي فقال ايوب قيل للحمار مالك لا تجترّ قال أكره مضغ الباطل • ورويناه عن رقبة بن مصقلة (٤) انه قال لرجل رآه يختلف الى ابي حنيفة يا هذا يكفيك من رأيه ما مضغت وترجع الى اهلك بغير ثقة • وسئل رقبة بن مصقلة عن ابي حنيفة فقال هو اعلم الناس بما لم يكن واجهلهم بما قد كان • وقد روي هذا القول عن حفص بن غياث في ابي حنيفة يريد انه لم يكن له علم بآثار من مضى والله اعلم • وعن صالح بن مسلم قال سمعت الشعبي يقول والله لقد بغض هؤلاء القوم اليّ المسجد حتى لهو أبغض اليّ من كناسة داري قلت من هم يا ابا عمرو قال الآرائيون قال ومنهم الحكم وحماد واصحابهما • وعن عطاء بن السائب قال قال الربيع بن خثيم اياكم ان يقول الرجل لشيء ان الله حرم هذا أو نهى عنه فيقول الله كذبت لم احرمه ولم أنه عنه قال او يقول ان الله احلّ هذا وامر به فيقول كذبت لم احله ولم آمر به

(قف على كلام الامام مالك)

(قف على قول أيوب)

وذكر ابن وهب وعتيق بن يعقوب أنهما سمعا مالك بن أنس يقول لم يكن من أمر الناس ولا من مضى من سلفنا ولا أدركتُ أحد أقتدي به يقول في شيء هذا حلال وهذا حرام ما كانوا يجترؤن على ذلك وانما كانوا يقولون نكره هذا ونرى هذا حسناً

[قف على قول مالك]

(١) الحارثي البصري ثقة عابد كان ابن معين وابن المديني لا يقدمان عليه في الموطأ أحداً مات سنة ٢٢١ بمكة ه تقريب (٢) العبدي الكوفي ثقة مأمون وكان يمزح مات سنة ١٢٩ ه منه

وننفي هذا ولا نرى هذا وزاد عتيق بن يعقوب ولا يقولون حلال ولا حرام أما سمعت قول الله جل وعز « قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون » الحلال ما أحله الله ورسوله والحرام ما حرمه الله ورسوله

(قال ابو عمر) معنى قول مالك هذا ان ما أخذ من العلم رأياً واستحساناً لم نقل فيه حلال ولا حرام والله اعلم • وقد روي عن مالك انه قال في بعضها ما كان ينزل فيسئل عنه فيجتهد فيه رأيه «إن نظن إلا ظناً وما نحن بمستيقنين» ولقد احسن ابو العتاهية حيث يقول

وما كل الظنون تكون حقاً   ولا كل الصواب على القياس

وعن الزرقان السراج قال قال ابو وائل لا تقاعد اصحاب أرأيت • وعن الشعبي قال ما كلمة أبغض إلى من أرأيت • وعن داود الأودي قال قال لي الشعبي إحفظ عني ثلاثاً لها شأن اذا سألت عن مسئلة فأجبت فيها فلا تتبع مسئلتك أرأيت فإن الله يقول في كتابه «أرأيت من اتخذ إلهه هواه» حتى فرغ من الآية والثانية إذا سألت عن مسألة فلا تقس شيئاً بشيء فربما حرمت حلالاً أو حللت حراماً والثالثة إذا سألت عما لا تعلم فقل لا أعلم وأنا شريكك • وعن الشعبي قال انما هلك من كان قبلكم في أرأيت • وعن يحيى بن أيوب قال بلغني أن أهل العلم كانوا يقولون إذا أراد الله ان لا يعلم عبده خيراً شغله بالأغاليط • وعن سفيان بن عيينة قال قال ابن شبرمة أنا أول من سمى أصحاب المسائل المداهد

[قف على قول الشعبي]

وقال   سألنا فلم نألو وعمّ سؤالنا   وكم من عريف طوّحته المداهد

وعن عبد الله بن مسلمة القرشي قال سمعت مالكا يقول ما زال الأمر معتدلا حتى نشأ أبو حنيفة فأخذ فيهم بالقياس فما أفلح ولا أنجح • وعن خالد بن نزار(١) قال سمعت مالكا يقولو لو خرج أبو حنيفة على هذه الأمة بالسيف كان أيسر عليهم مما أظهر فيهم يعني من القياس والرأي • وعن ابن عيينة قال لم يزل أمر الكوفة معتدلا حتى نشأ فيهم أبو حنيفة قال موسى وهو من أبناء سبايا الأمم أمه سندية وأبوه نبطي والذين ابتدعوا الرأي ثلاثة وكلهم من أبناء سبايا الأمم وهم ربيعة بالمدينة وعثمان البتي بالبصرة وأبو حنيفة بالكوفة

(قال أبو عمر) أفرط أصحاب الحديث في ذم أبي حنيفة وتجاوزوا الحد في ذلك والسبب الموجب لذلك عندهم إدخاله الرأي والقياس على الآثار واعتبارها وأكثر أهل العلم يقولون إذا صح الأثر بطل القياس والنظر وكان رده لما ورد من أخبار الآحاد بتأويل محتمل وكثير منه قد تقدمه إليه غيره وتابعه عليه مثله ممن قال بالرأي وجل

---

(١) الغساني الأيلي صدوق يخطيء مات سنة ٢٢٢ هـ تقريب

ما يوجد له من ذلك ما كان منه اتباعاً لأهل بلده كابراهيم النخعي وأصحاب ابن مسعود الا أنه أغرق وأفرط في تنزيل النوازل هو وأصحابه والجواب فيها برأيهم واستحسانهم فأتى منهم في ذلك خلاف كبير للسلف وشنع هي عند مخالفيهم بدع وما أعلم أحداً من أهل العلم إلا وله تأويل في آية أو مذهب في سنة رد من أجل ذلك المذهب سنة أخرى بتأويل سائغ أو ادعاء نسخ إلا أن لأبي حنيفة من ذلك كثيراً وهو يوجد لغيره قليل. وعن الليث بن سعد أنه قال أحصيت على مالك بن أنس سبعين مسئلة كلها مخالفة لسنّة النبي صلى الله عليه وسلم مما قال مالك فيها برأيه قال ولقد كتبت إليه أعظه في ذلك

(وقف على أنه ليس لاحد ان يرد حديثا ثبت .الا بدليل قوي)

(قال ابو عمر) ليس لأحد من علماء الأمة يثبت حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم يرده دون ادعاء نسخ عليه بأثر مثله او بإجماع او بعمل يجب على اصله الانقياد إليه او طعن في سنده ولو فعل ذلك احدٌ سقطت عدالته فضلاً أن يتخذ إماماً ولزمه اسم الفسق ولقد عافاهم الله عز وجل من ذلك ونقموا ايضاً على ابي حنيفة الإرجاء ومن اهل العلم من ينسب إلى الإرجاء كثير لم يُعن احد بنقل قبيح ما قيل فيه كما عنوا بذلك في ابي حنيفة لإمامته وكان ايضاً مع هذا يحسد وينسب اليه ما ليس فيه ويختلق عليه ما لايليق به وقد أثنى عليه جماعة من العلماء وفضلوه. ولعلّنا إن وجدنا نشطة ان نجمع من فضائله وفضائل مالك ايضاً والشافعي والثوري والأوزاعي كتاباً أمّلنا جمعه قديماً في اخبار ائمة الأمصار إن شاء الله. وعن عباس بن محمد الدوري قال سمعت يحيى بن معين يقول اصحابنا يفرطون في ابي حنيفة واصحابه فقيل له أ كان ابو حنيفة يكذب فقال كان أنبل من ذلك. وعن مسلمة بن شبيب قال سمعت احمد بن حنبل يقول رأي الأوزاعي ورأي مالك ورأي أبي حنيفة كله رأي وهو عندي سواء وإنما الحجة في الآثار. وعن الدراوردي قال إذا قال مالك وعليه أدركت أهل بلدنا والمجتمع عليه عندنا فإنه يريد ربيعة بن أبي عبد الرحمن وابن هرمز. وذكر محمد بن الحسين الأزدي الحافظ الموصلي في الأخبار التي في آخر كتابه في الضعفاء قال يحيى بن معين ما رأيت أحداً اقدّمه على وكيع وكان يفتي برأي أبي حنيفة وكان يحفظ حديثه كله وكان قد سمع من أبي حنيفة حديثاً كثيراً. قال الأزدي هذا من يحيى بن معين تحامل وليس وكيع كيحيى بن سعيد وعبدالرحمن بن مهدي وقد رأى يحيى بن معين هؤلاء وصحبهم قال وقيل ليحيى بن معين يا أبا زكريا أبو حنيفة كان يصدق في الحديث قال نعم صدوق وقيل له فالشافعي كان يكذب قال ما أحب حديثه ولا ذكره

(قال أبو عمر) لم يتابع يحيى بن معين أحد في قوله في الشافعي وقال الحسن بن علي

الحلواني قال لي شبابة بن سوار (١) كان شعبة حسن الرأي في أبي حنيفة وكان يستنشدني أبيات مساور الوراق

إذا ما الناس يوماً قايسونا بآبدة من الفتيا لطيفه

وقال علي بن المديني أبو حنيفة روى عنه الثوري وابن المبارك وحماد بن زيد وهُشيم ووكيع بن الجراح (٢) وعباد بن العوام (٣) وجعفر بن عون وهو ثقة لا بأس به. وقال يحيى بن سعيد ربما استحسنا الشيء من قول أبي حنيفة فنأخذ به قال يحيى وقد سمعت من أبي يوسف الجامع الصغير ذكره الازدي (قال أبو عمر) الذين رووا عن أبي حنيفة ووثقوه وأثنوا عليه أكثر من الذين تكلموا فيه والذين تكلموا فيه من أهل الحديث أكثر ما عابوا عليه الإغراق في الرأي والقياس والإرجاء وكان يقال يستدل على نباهة الرجل من الماضين بتباين الناس فيه قالوا ألا ترى الى علي بن أبي طالب أنه هلك فيه فتيان محب أفرط ومبغض أفرط وقد جاء في الحديث أنه يهلك فيه رجلان محب مُطرٍ ومبغض مفتر. وهذه صفة أهل النباهة ومن بلغ في الدين والفضل الغاية والله أعلم

(قف على قول سهل بن عبد الله)

(قال أبو عمر) بلغني عن سهل بن عبدالله التُستُري أنه قال ما أحدث أحد في العلم شيئاً إلا سئل عنه يوم القيمة فان وافق السنة سلم وإلا فهو في العطب • وقد ذكرنا من الآثار في باب أصول العلم وفي باب صفة العالم ما يغني عن الكلام في هذا الباب وبالله التوفيق

﴿ باب حكم قول العلماء بعضهم فى بعض ﴾

عن يعيش بن الوليد أن مولىً للزبير بن العوّام حدثه عن الزبير بن العوام أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دبّ اليكم داء الامم قبلكم الحسد والبغضاء البغضاء هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين والذي نفس محمد بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابّوا ألا أُنبئكم بما يثبت ذلك لكم أفشوا السلام بينكم • وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال استمعوا علم العلماء ولا تصدقوا بعضهم على بعض فوالذي نفسي بيده لهم أشد تغايراً من التيوس في زربها • وعن سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال خذوا العلم حيث وجدتم ولا تقبلوا قول الفقهاء بعضهم على بعض فإنهم يتغايرون تغاير التيوس في الزريبة • وعن الحسن بن أبي جعفر قال سمعت مالك بن دينار يقول يؤخذ بقول العلماء والقراء في كل شيء إلا قول بعضهم

---

(١) المدايني ثقة حافظ رمي بالإرجاء مات سنة ٢٠٤ هـ تقريب (٢) الرؤاسي الكوفي ثقة حافظ عابد هـ منه (٣) الكلابي مولاهم الواسطي ثقة مات سنة ١٨٥ هـ منه

في بعض فلهم أشد تحاسداً من التيوس تنصب لهم الشاة الضارب فينب هذا من ههنا وهذا من ههنا وقال سعيد في حديثه فإني وجدتهم أشد تحاسداً من التيوس بعضها على بعض • وعن كعب قال قال موسى يارب أي عبادك أعلم قال عالم غرثان من العلم ويوشك أن تروا جهال الناس يتباهون بالعلم ويتغايرون عليه كما تتغاير النساء على الرجال فذلك حظهم منه • وعن عبد العزيز بن أبي حازم قال سمعت أبي يقـول العلماء كانوا فيما مضى من الزمان إذا لقي العالم من هو فوقه في العلم كان ذلك يوم غنيمة وإذا لقي من هو مثله ذاكره وإذا لقي من هو دونه لم يزه عليه حتى كان هذا الزمان فصار الرجل يعيب من هـو فوقه ابتغاء أن ينقطع منه حتى يري الناس أنه ليس به حاجة اليه ولا يذاكر من هو مثله ويزهى على من هو دونه فهلك الناس (قال أبو عمر) هذا باب قد غلط فيه كثير من الناس وضلت به نابتة جاهلة لا تدري ما عليها في ذلك والصحيح في هذا الباب أن من صحت عدالتـه وثبتت في العلم أمانته وبانت ثقته وعنايته بالعلم لم يلتفت فيه إلى قول أحد إلا أن يأتي في جرحته ببينة عادلة تصح بها جرحته على طريق الشهادات والعمل فيها من المشاهـدة والمعاينة لذلك بما يوجب تصديقه فيما قاله لبراءتـه من الغل والحسد والعداوة والمنافسة وسلامته من ذلك كله فذلك يوجب قبول قوله من جهة الفقه والنظر وأما من لم تثبت إمامته ولا عرفت عدالته ولا صحت لعدم الحفظ والاتقان روايته فإنه ينظر فيه إلى ما اتفق أهل العلم عليه ويجتهد في قبول ما جاء به على حسب ما يؤدي النظر اليه

(قف على قول ابى عمر)

والدليل على أنه لا يقبل فيمن اتخذه جمهور من جماهير المسلمين إماماً في الدين قول أحد من الطاعنين أن السلف رضوان الله عليهم قد سبق من بعضهم في بعض كلام كثير منه في حال الغضب ومنه ما حمل عليه الحسد كما قال ابن عباس ومالك بن دينار وأبو حازم ومنه ما كان على جهة التأويل مما لا يلزم المقول فيه ما قاله القائل فيه وقد حمل بعضهم على بعض بالسيف تأويلا واجتهاداً لا يلزم تقليدهم فى شيء منه دون برهان وحجة توجبه ونحن نورد فى هـذا الباب من قول الائمـة الجلة الثقاة السادة بعضهم فى بعض مما لا يجب أن يلتفت فيهم اليه ولا يخرج عليه ما يوضح لك صحة ما ذكرنا وبالله التوفيق

(قف على الدليل في انه لا يقبل الطعن فيمن ثبتت امامته وعدالته)

فعن مغيرة عن حماد أنه ذكر أهل الحجاز فقال قد سألتهم فلم يكن عندهم شيء والله لصبيانكم أعلم منهم بل صبيان صبيانكم • وعن سـفيان بن عيينة قال ربيعة بن أبي عبد الرحمن للزهري لو جلست للناس فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بقية عمرك فقال رجل للزهري أما إنه لا يشتهي أن يراك قال فقال الزهري أما إنه لا ينبغي أن أفعل ذلك حتى أكون زاهداً فى الدنيا راغباً فى الآخرة • وروينا عن ابن شهاب أنه قيل له

تركت المدينة ولزمت شغباً وأداما(١) وتركت العلماء بالمدينة يتامى فقال أفسدها علينا العبدان ربيعة وأبو الزناد • وعن مغيرة قال قال حماد لقيت عطاء وطاوساً ومجاهداً فصبيانكم أعلم منهم بل صبيان صبيانكم قال مغيرة هذا بغي منه (قال أبو عمر) صدق مغيرة وقد كان أبو حنيفة وهو أقعد الناس بحماد يفضل عطاء عليه • عن أبي عاصم الضحاك بن مخلد قال سمعت أبا حنيفة يقول ما رأيت أفضل من عطاء بن أبي رباح • وعن أبي يحيى الحِمّاني قال سمعت أبا حنيفة يقول ما رأيت أحداً أفضل من عطاء بن أبي رباح ولا رأيت أحداً أكذب من جابر الجعفي. وقد روي عن ابي حنيفة أنه قيل له مالك لا تروي عن عطاء قال لاني رأيته يفتي بالمتعة وقيل له مالك لا تروي عن نافع قال رأيته يفتي بإتيان النساء في اعجازهن فتركته • وعن مغيرة قال قدم علينا حماد بن أبي سليمان من ملة فأتيناه أسلم عليه فقال لنا احمدوا الله يا اهل الكوفة فإني لقيت عطاء وطاوساً ومجاهداً فلصبيانكم وصبيان صبيانكم أعلم منهم • وعن الزهري قال ما رأيت قوماً أنقض لعُرى الاسلام من اهل مكة ولا رأيت قوماً اشبه بالنصارى من السبائية قال احمد بن يونس يعني الرافضة

(قال ابو عمر) فهذا حماد بن ابي سليمان وهو فقيه الكوفة بعد النخعي القائم بفتواها وهو معلم ابي حنيفة وهو الذي قال فيه ابراهيم النخعي حين قيل له من نسأل بعدك قال حماد وقعد مقعده بعده يقول في عطاء وطاوس ومجاهد وهم عند الجميع أرضى منه وأعلم بكتاب الله وسنة رسوله وأرضى منه حالا عند الناس وفوقه في كل حال ماترى ولم ينسب واحد منهم الى الارجاء وقد نسب اليه حماد هذا وعيب به وعنه أخذه أبو حنيفة والله أعلم وهذا ابن شهاب قد أطلق على أهل مكة في زمانه انهم ينقضون عرى الاسلام ما استثنى منهم أحداً وفيهم من جلة العلماء من لاخفاء بجلالته في الدين واظن ذلك والله اعلم لما روي عنهم في الصرف ومتعة النساء • وعن الاعمش قال كنت عند الشعبي فذكروا ابراهيم فقال ذاك رجل يختلف الينا ليلا ويحدث الناس نهاراً فأتيت ابراهيم فأخبرته فقال ذلك يحدث عن مسروق والله ماسمع منه شيئاً قط • وعن الاعمش قال ذكر ابراهيم النخعي عند الشعبي فقال ذاك الاعور الذي يستفتيني بالليل ويجلس يفتي الناس بالنهار قال فذكرت ذلك لابراهيم فقال ذاك الكذاب لم يسمع من مسروق شيئاً. وذكر ابن أبي خيثمة هذا الخبر عن أبيه قال كان هذا الحديث في كتاب أبي معاوية فسألناه عنه فابي أن يحدث به

(قال أبو عمر) معاذ الله أن يكون الشعبي كذاباً بل هو إمام جليل والنخعي مثله جلالة وعلما ودينا وأظن الشعبي عوقب لقوله في الحارث الهمداني حدثني الحارث وكان

«١» موضعان بقرب المدينة «٢» الكوفي صدوق يخطئ ورمي بالارجاء مات سنة ٢٠٢ هـ تقريب

أحد الكذابين ولم يبن من الحارث كذب وإنما نقم عليه إفراطه في حب علي وتفضيله له على غيره ومن ههنا والله أعلم كذَّبه الشعبي لأن الشعبي يذهب الى تفضيل أبي بكر والى أنه أول من أسلم وتفضيل عمر رضي الله عنه • وروى علي بن مسهر عن هشام بن عروة عن أبيه قال قالت عائشة ما علم أنس بن مالك وأبو سعيد الخدري بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما كانا غلامين صغيرين • وذكر المروزي في كتاب الانتفاع بجلود الميتة في قصة عكرمة ذبًّا عنه ودفعاً لما قيل فيه ما يجب أن يكون في بابنا هذا فمن ذلك أنه ذكر حديث سمرة أنه قال كانت للنبي صلى الله عليه وسلم سكتتان (يعني في الصلاة عند قراءته) فبلغ ذلك عمران بن الحصين فقال كذب سمرة فكتبوا الى أبي بن كعب فكتب أن صدق سمرة وهذا الحديث مشهور جدا • ومثله ماروي عن طاوس قال كنت جالساً عند ابن عمر فأتاه رجل فقال إن ابا هريرة يقول إن الوتر ليس بحتم فخذوا منه ودعوا فقال ابن عمر كذب أبو هريرة جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن صلاة الليل فقال مثنى مثنى فاذا خشيت الصبح فواحدة • وخطأت عائشة ابن عمر في عدد عُمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي أن الميت يعذب ببكاء أهله عليه وقد ذكرنا ذلك في كتاب التمهيد وقد كان بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلّة العلماء عند الغضب كلام هو أكثر من هذا ولكن أهل الفهم والعلم والميز لا يلتفتون الى ذلك لانهم بشر يغضبون ويرضون والقول في الرضا غير القول في الغضب ولقد أحسن القائل (لا يعرف الحلم الا ساعة الغضب) ومن اشنع شيء روي في هذا الباب واشده نَوْكاً ماروينا بالسند عن ضمرة عن ابن شوذب قال كان الضحاك بن مزاحم يكره المسك فقيل له إن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قد كانوا يتطيبون به قال نحن أعلم منهم • وعن ايوب قال قدم علينا عكرمة فلم يزل يحدثني حتى صرت بالمربد ثم قال أيحسن حسنكم مثل هذا (قال ابو عمر) وقد علم الناس ان الحسن البصري يحسن أشياء لا يحسنها عكرمة وان كان عكرمة مقدماً عندهم في تفسير القرآن والسير وقيل لعروة بن الزبير إن ابن عباس يقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث بمكة بعد أن بعث ثلاث عشرة سنة فقال كذب إنما أخذه من قول الشاعر (قال أبو عمر) والشاعر هو أبو قيس صرمة بن أنس الانصاري(١) ويقال ابن أبي أنس هو القائل

ثوى في قريش بضع عشرة حجة ... يذكر لو يلقى صديقا مواتيا

---

(١) صحابي جليل وكان ابن عباس يختلف اليه يأخذ عنه الشعر وهذا البيت من أبيات قال ها حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهي مذكورة في أسد الغابة ه

في شعر له وقد ذكرناه في كتاب الصحابة عند ذكر أبي قيس هذا • وعن سعيد ابن جبير أنه قال في العمرة إنها واجبة فقيل له إن الشعبي يقول أنها ليست بواجبة فقال كذب الشعبي • وعن الحسن بن علي أنه سئل عن قول الله جل وعز « وشاهدٍ ومشهودٍ » فأجاب فيه فقيل له إن ابن عمر وابن الزبير قالا كذا وكذا خلاف قوله فقال كذبا • وعن علي بن أبي طالب أنه قال كذب المغيرة بن شعبة • وعن عبادة بن الصامت أنه قال كذب أبو محمد يعني في وجوب الوتر وأبو محمد هذا اسمه مسعود بن أوس أنصاري بدري قد ذكرناه في الصحابة ونسبناه وتكذيب عبادة له من رواية مالك وغيره في قصة الوتر • واستشهد عبادة بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس صلوات كتبهن الله على العباد الحديث • وعن أيوب قال سأل رجل سعيد بن المسيب عن رجل نذر نذراً لا ينبغي له من المعاصي فأمره أن يوفي بنذره فسأل الرجل عكرمة فأمره أن يكفر عن يمينه ولا يوفي بنذره فرجع الرجل الى سعيد بن المسيب فأخبره بقول عكرمة فقال ابن المسيب لينتهين عكرمة أو ليوجعن الامراء ظهره فرجع الرجل الى عكرمة فأخبره فقال عكرمة أما إذ بلغتني فبلغه أما هو فقد ضربت الامراء ظهره وأوقفوه في تبان من شعر وسَلْهُ عن نذرك اطاعة هو لله أم معصية فإن قال هو طاعة فقد كذب على الله لانه لا تكون معصية الله طاعة وإن قال هو معصية فقد أمرك بمعصية الله • قال المروزي فلهذا كان بين سعيد بن المسيب وبين عكرمة ما كان حتى قال فيه ما حكي عنه أنه قال لغلامه بُرْد لا تكذب علي كما كذب عكرمة على ابن عباس • قال وكذلك كان كلام مالك في محمد بن اسحق لشيء بلغه عنه تكلم به في نسبه

(قال أبو عمر) الكلام ما روينا من وجوه عن عبد الله بن ادريس أنه قال قدم علينا محمد بن اسحق فذكرنا له شيئاً عن مالك فقال هاتوا علم مالك فأنا بيطاره قال ابن ادريس فلما قدمت المدينة ذكرت ذلك لمالك بن أنس فقال ذلك دجال الدجاجلة ونحن أخرجناه من المدينة قال ابن ادريس وما كنت سمعت بجمع دجال قبلها على ذلك الجمع • وكان ابن اسحق يقول فيه إنه مولى لبني تيم قريش وقاله فيه ابن شهاب أيضاً فكذب مالك ابن اسحق لأنه أعلم بنسب نفسه وانما هم حلفاء لبني تيم في الجاهلية وقد ذكرنا ذلك وأوضحناه في صدر كتاب التمهيد وربما كان تكذيب مالك لابن اسحق في تشيعه وما نسب اليه من القول بالقدر واما الصدق والحفظ فقد كان صدوقاً حافظاً أثنى عليه ابن شهاب ووثقه شعبة والثوري وابن عيينة وجماعة جلة وقد روي عن مالك أنه قيل له من أين قلت في محمد بن اسحق إنه كذاب فقال سمعت هشام بن عروة يقوله وهذا تقليد لا برهان عليه • وقيل لهشام بن

عروة من أين قلت ذلك قال هو يروي عن امرأتي ووالله ما رآها قط وقال احمد بن حنبل عند ذكر هذه الحكاية قد يمكن ابن اسحق أن يراها أو يسمع منها من وراء حجاب من حيث لم يعلم هشام ٠ وعن أحمد بن صالح قال سألت عبد الله وهب عن عبد الله بن يزيد بن سمعان فقال ثقة فقلت إن مالكا يقول فيه كذاب فقال لايقبل قول بعضهم في بعض ٠ وعن علي بن خَشْرَم (١) قال سمعت الفضل بن موسى (٢) يقول دخلت مع أبي حنيفة على الأعمش (٣) نعوده فقال أبو حنيفة يا أبا محمد لولا التثقيل عليك في عيادتك أو قال لعدتك أكثر مما أعودك فقال له الأعمش والله إنك عليّ لثقيل وأنت في بيتك فكيف إذا دخلت عليّ قال الفضل فلما خرجنا من عنده قال أبو حنيفة إن الأعمش لم يصم رمضان قط ولم يغتسل من جنابة فقلت للفضل ما يعني بذلك قال كان الأعمش يرى الماء من الماء ويتسحّر على حديث حذيفة ٠ وعن ابن وهب قال قال مالك وذكر عنده أهل العراق فقال انزلوهم منكم منزلة أهل الكتاب لاتصدقوهم ولا تكذبوهم « وقولوا آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل اليكم وإلهنا وإلهكم واحد » الآية ٠ وعن محمد بن الحسن أنه دخل على مالك بن أنس يوماً فسمعه يقول هذه المقالة التي حكاها عنه ابن وهب في أهل العراق ثم رفع رأسه فنظر إليّ فكأنه استحيا وقال يا أبا عبد الله أكره أن تكون غيبة كذلك أدركت أصحابنا يقولون

وقال سعيد بن منصور (٤) كنت عند مالك بن أنس فأقبل قوم من أهل العراق فقال « تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا » ٠ وعن جبير بن دينار قال سمعت يحيى بن أبي كثير (٥) قال لايزال أهل البصرة بشرٍّ ما أبقى الله فيهم قتادة قال وسمعت قتادة يقول متى كان العلم في السمّاكين يعرّض بيحيى بن أبي كثير كان أهل بيته سمّاكين ٠ وعن سلمة بن سليمان (٦) قال قلت لابن المبارك وضعت من رأي أبي حنيفة ولم تضع من رأي مالك قال لم أره علماً ٠ وهذا مما ذكرنا مما لايسمع من قولهم ولا يلتفت اليه ولا يعرج عليه ٠ وعن عبد الله بن وهب قال سئل مالك عن مسئلة فأجاب فيها

---

(١) المروزي ثقة مات سنة ٢٥٧ وقيل بعدها ﻫ تقريب (٢) السيناني المروزي ثقة ثبتٌ وربما اغرب ﻫ منه (٣) اسمه سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي الكوفي ثقة حافظ عارف بالقراءة ورع لكنه يدلّس مات سنة ١٤٧ وقيل أكثر ﻫ منه (٤) الخراساني نزيل مكة ثقة مصنِّف وكان لايرجع عما في كتابه لشدة وثوقه به مات سنة ٢٢٧ ﻫ منه (٥) الطائي مولاهم اليمامي ثقة ثبت لكنه يدلس ويرسل مات سنة ١٣٢ ﻫ منه (٦) المروزي ثقة حافظ كان يورّق لابن المبارك مات سنة ٢٠٣ ﻫ منه

فقال له السائل إن أهل الشام يخالفونك فيها فيقولون كذا وكذا فقال ومتى كان هذا الشأن بالشام إنمـا هذا الشأن وقفٌ على أهل المدينة والكوفة وهذا خلاف ما تقدم من قوله في أهل الكوفة وأهل العراق وخلاف المعروف عنه من تفضيله للأوزاعي وخلاف قوله في أبي حنيفة المذكور في البـاب قبل هـذا لأن شأن المسائل بالكوفة مداره على أبي حنيفة وأصحابه والثوري • وقال عبدالله بن غانم قلت لمالك إنا لم نكن نرى الصفرة ولا الكدرة شيئاً ولا نرى ذلك إلا في الدم العبيط فقال مالك وهل الصفرة إلا دم ثم قال إن هـذا البلد إنمـا كان العمل فيه بالنبوة وإن غيرهم إنما العمل فيهم بأمر الملوك. وهذا من قوله أيضاً خلاف ما تقدم وقد كان أهل العراق يضيفون إلى أهل المدينة أن العمل عندهم بأمر الأمراء مثل هشام بن اسمعيل المخزومي في مدة وغيره وهذا كله تحامل من بعضهم على بعض • وروينا أن منصور بن عمار قصَّ يوماً على الناس وأبو العتاهيـة حاضر فقال إنما سرق منصور هـذا الكلام من رجل كوفي فبلغ قوله منصوراً فقـال أبو العتاهية زنديق ما ترونه لا يذكر في شـعره الجنة ولا النـار وانما يذكر الموت فقط فبلغ ذلك ابا العتاهية فقال

ياواعظ الناس قد أصبحت متهماً	إذعبت منهم أموراً أنت تأتيها
كالملبس الثوب من عُريٍ وعورته	للنـاس بادية ما إن يواريهـا
وأعظم الاثم بعد الشرك نعلمه	في كل نفس عماها عن مساويها
عرفانها بعيوب النـاس تبصرها	منهم ولا تبصر العيب الذي فيها

فلم تمض إلا أيام يسيرة حتى مات منصور بن عمـار فوقف أبو العتاهيـة على قبره وقال يغفر الله لك يا أبا السري ما كنت رميتني به • (قال أبو عمر) قد تدبرت شعر أبي العتاهية عند جمعي له فوجدت فيه ذكر البعث والمجازاة والحساب والثواب والعقاب

وعن الأصمعي عن زهير بن اسحق السلولي إمام مسجد بني سلول قال ذكر سعيد ابن أبي عروبة عند سليمان التيمي فقال سليمان والله ما كنت أجيز شهادة سعيد ولا شهادة معلمه يعني قتادة قال الاصمعي من أجل القدر • وعن يحيى بن يحيى قال كنت آتي ابن القاسم فيقول لي من أين فأقول من عند ابن وهب فيقول الله الله اتق الله فإن أكثر هـذه الأحاديث ليس عليها العمل قال ثم آتي ابن وهب فيقول لي من أين فأقول من عند ابن القاسم فيقول اتق الله فإن أكثر هذه المسائل رأي

وذكر ابن وهب عن مالك قال كان أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم يقول إذا وجدت أهل المدينة مجتمعين على أمر فلا تشك أنه الحق. فرواية هـذا وشبهه وكتابه

أولى من رواية اطلاق الألسنة في اعراض أهل الديانات والفضل ولكن أولو الفهم قليل والله المستعان • وقد كان ابن معين عفا الله عنه يطلق في أعراض الثقات الائمة لسانه بأشياء أنكرت عليه ،منها قوله عبد الملك بن مروان أبخر الفم وكان رجل سوء • ومنها قوله كان أبو عثمان النهدي (١) شرطيًّا ومنها قوله في الزهري إنه ولي الخراج لبعض بني أمية وأنه فقد مرة مالاً فاتهم به غلاماً له فضربه فمات من ضربه • وذكر كلاماً خشناً في قتله على ذلك غلامه تركت ذكره لأنه لايليق بمثله • ومنها قوله في الأوزاعي إنه كان من الجند وقال حديث الأوزاعي عن الزهري ويحيي بن أبي كثير ليس يثبت ومنها قوله في طاوس إنه كان شيعياً ذكر ذلك كله الازدي محمد بن الحسين الموصلي الحافظ في الأخبار التي في آخر كتابه في الضعفاء عن الغلابي عن ابن معين وقد رواه مفترقاً جماعة عن ابن معين فيهم عباس الدوري وغيره

ومما نقم على ابن معين وعيب به أيضاً قوله في الشافعي إنه ليس بثقة وقيل لأحمد ابن حنبل إن يحيى بن معين يتكلم في الشافعي فقال أحمد من أين يعرف يحيى الشافعي هو لايعرف الشافعي ولايقول مايقول الشافعي أو نحو هذا ومن جهل شيئاً عاداه

(قال أبو عمر) صدق احمد بن حنبل رحمه الله ان ابن معين كان لايعرف مايقول الشافعي • وقد حكي عن ابن معين أنه سئل عن مسألة من التيمم فلم يعرفها ولقد أحسن أكثم بن صيفي في قوله ويل لعالم أمرٍ من جاهله من جهل شيئاً عاداه ومن أحب شيئاً استعبده • وعن أحمد بن زهير قال سئل يحيى بن معين وانا حاضر عن رجل خيّر امرأته فاختارت نفسها فقال سل عن هذا أهل العلم • وقد كان عبد الله الأمير بن عبد الرحمن ابن محمد الناصر يقول إن ابن وضّاح كذب على ابن معين في حكايته عنه أنه سأله عن الشافعي فقال ليس بثقة وزعم عبد الله أنه رأى أصل ابن وضاح الذي كتبه بالمشرق وفيه سألت يحيى بن معين عن الشافعي فقال هو ثقة قال وكان ابن وضاح يقول ليس بثقة فكان عبد الله الأمير يحمل على ابن وضاح في ذلك • وكان خالد بن سَعْد يقول إنما سأله ابن وضاح عن ابراهيم بن محمد الشافعي ولم يسأله عن محمد بن ادريس الشافعي الفقيه • وهذا كله عندي تخرّص وتكلم على الهوى وقد صحّ عن ابن معين من طرق أنه كان يتكلم في الشافعي على ما قدمت لك حتى نهاه أحمد بن حنبل وقال له لم تر عيناك قط مثل الشافعي • وقد تكلم ابن أبي ذئب في مالك بن أنس بكلام فيه جفاء وخشونة كرهت

(١) واسمه عبد الرحمن بن مُلّ مشهور بكنيته مخضرم ثقة ثبت عابد مات سنة ٩٥ هـ تقريب

ذكره وهو مشهور عنه قاله إنكاراً منه لقول مالك في حديث البيّعين بالخيار وكان ابراهيم ابن سعد يتكلم فيه وكان ابراهيم بن أبي يحيى يدعو عليه وتكلم في مالك أيضاً فيما ذكره الساجي في كتاب العلل عبد العزيز بن أبي سلمة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وابن اسحق وابن أبي يحيى وابن أبي الزناد وعابوا أشياء من مذهبه وتكلم فيه غيرهم لتركه الرواية عن سعد بن ابراهيم وروايته عن داود بن الحصين وثور بن زيد وتحامل عليه الشافعي وبعض أصحاب أبي حنيفة في شيء من رأيه حسداً لموضع إمامته وعابه قوم في إنكاره المسح على الخفين في الحضر والسفر وفي كلامه في علي وعثمان وفي فتياه بإتيان النساء في الاعجاز وفي قعوده عن مشاهدة الجماعة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونسبوه بذلك إلى مالا يحسن ذكره وقد برأ الله عز وجل مالكاً عما قالوا وكان عند الله وجيهاً. وما مثل من تكلم في مالك والشافعي ونظرائهما من الائمة إلا كما قال الأعشى

كناطح صخرة يوما ليفلقها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

وقال الحسين بن حميدة

يا ناطح الجبل العالي ليكلمه اشفق على الرأس لا تشفق على الجبل

وكلام ابن أبي الزناد في ربيعة هو من هذا الباب أيضاً وامدأحسن أبو العتاهية حيث يقول

ومن ذا الذي ينجو من الناس سالماً وللناس قالٌ بالظنون وقيلُ

وهذا خير من قول القائل (فما اعتذارك في شيء إذا قيلا) فقد رأينا البغي والحسد والباطل أسرع الناس اليه قديماً ألا ترى الى قول الكوفي في سعد بن أبي وقاص انه لا يعدل في الرعية ولا يغزو في السرية ولا يقسم بالسوية وسعد بدري وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الستة الذين جعل عمر بن الخطاب الشورى فيهم وقال توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راضٍ • وقد روي أن موسى صلى الله عليه وسلم قال يا رب إقطع عني ألسُن بني اسرائيل فأوحى الله إليه يا موسى لم أقطعها عن نفسي فكيف أقطعها عنك

(قف على سؤال سيدنا موسى لربه)

(قال أبو عمر) لقد تجاوز الناس الحدّ في الغيبة والذم فلم يقنعوا بذم العامة دون الخاصة ولا بذم الجهال دون العلماء وهذا كله يحمل عليه الجهل والحسد • قيل لابن المبارك فلان يتكلم في أبي حنيفة فأنشد بيت ابن الرُّقيّات(١)

---

(١) هذا لقب عبيد الله بن قيس شاعر قريش والرّقيات اسم محبوبات له شبّب بهن في شعره وهن بنات عمّ له كل واحدة اسمها رُقية مات في دولة بني أمية هـ من املاء شيخنا العلامة المدقق الشيخ محمد محمود الشنقيطي ومن خزانة الادب للبغدادي

حسدوك أن رأوك فضلك الله بما فضلت به النجباء

وقيل لأبي عاصم النبيل فلان يتكلم في أبي حنيفة فقال هو كما قال نُصَيب

(سلمت وهل حيٌّ على الناس يسلم)وقال أبو الأسود الدؤلي

حسدوا الفتى إذلم ينالوا سعيه فالناس أعداء له وخصوم

فمن أراد أن يقبل قول العلماء الثقات الائمة الاثبات بعضهم في بعض فليقبل قول من ذكرنا قوله من الصحابة رضوان الله عليهم بعضهم في بعض فان فعل ذلك ضل ضلالا بعيداً وخسر خسراناً مبيناً وكذلك إن قبل في سعيد بن المسيب قول عكرمة وفي الشعبي والنخعي وأهل الحجاز وأهل مكة وأهل الكوفة وأهل الشام على الجملة وفي مالك والشافعي وسائر من ذكرنا في هذا الباب ما ذكرنا عن بعضهم في بعض فإن لم يفعل ولن يفعل إن هداه الله وألهمه رشده فليقف عند ما شرطنا في أن لا يقبل فيمن صحت عدالته وعلمت بالعلم عنايته وسلم من الكبائر ولزم المروءة والتعاون وكان خيره غالباً وشره أقلَّ عمله فهذا لا يقبل فيه قول قائل لابرهان له به فهذا هو الحق الذي لا يصح غيره إن شاء الله قال أبو العتاهية

بكى شجوه الاسلام من علمائه فما اكترثوا لما رأوا من بكائه

فأكثرهم مستقبح لصواب من يخالفه مستحسن لخطائه

فأيّهم المرجوّ فينا لدينه وأيهم الموثوق فينا برائه

والذين أثنوا على سعيد بن المسيب وعلى سائر من ذكرنا من التابعين وأئمة المسلمين أكثر من يحصوا وقد جمع الناس فضائلهم وعنوا بسيرهم وأخبارهم فمن قرأ فضائل مالك وفضائل الشافعي وفضائل أبي حنيفة بعد فضائل الصحابة والتابعين وعُني بها ووقف على كريم سيرهم وسعى في الاقتداء بهم وسلوك سبيلهم في علمهم وسمتهم وهديهم كان ذلك له عملا زاكياً نفعنا الله بحب جميعهم . قال الثوري رحمه الله عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة . ومن لم يحفظ من أخبارهم لا ما بدر من بعضهم في بعض على الحسد والهفوات والغضب والشهوات دون أن يعنى بفضائلهم حرم التوفيق ودخل في الغيبة وحاد عن الطريق جعلنا الله وإياك ممن يسمع القول فيتبع أحسنه (١)

(١) وفي الحقيقة لا يوجد لأهل العلم حلية كالإنصاف والاعتراف بما عليه الانسان ولذا ينبغي أن لا يتهجم الانسان على ذوي الفضل بغير حق، وأن لا يسمع قول أعدائهم فيهم وإن كانوا من الفضلاء إلا ببرهان واضح كما بيّنه المصنف رحمه الله ويعجبني بيتان سمعتهما في بيروت من شيخنا العلامة الشيخ حسين الغزي الأدهم رحمه الله وهما

وقد افتتحنا هذا الباب بقوله صلى الله عليه وسلم دبّ اليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء وفي ذلك كفاية وقد أكثر الناس من القول في الحسد نظماً ونثراً وقد بينا ما يجب بيانه من ذلك وأوضحناه في كتاب التمهيد عند قوله صلى الله عليه وسلم لا تحاسدوا ولا تقاطعوا ومن صحبه التوفيق أغناه من الحكمة يسيرها ومن المواعظ قليلها إذا فهم واستعمل ماعلم وما توفيقي إلا بالله وهو حسبي ونعم الوكيل • وعن محمد بن أبي بكر بن داسة قال سمعت أبا داود سليمان بن الأشعث السجستاني يقول رحم الله مالكا كان إماماً رحم الله الشافعي كان إماماً رحم الله أبا حنيفة كان إماماً

(قف على أن من صحبه التوفيق أغناه)

﴿باب تدافع الفتوى وذم من سارع اليها﴾

عن عطاء بن السائب عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال أدركت عشرين ومائة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أراه قال في المسجد فما كان منهم محدّث الاودّ أن أخاه كفاه الحديث ولا مفتٍ إلا ودّ أن أخاه كفاه الفتيا : وعن ابن شبرمة قال قال ابن مسعود لتميم بن حذيم ياتميم بن حذيم إن استطعت أن تكون المحدَّث فافعل

وعن معاوية بن أبي عياش أنه كان جالساً عند عبد الله بن الزبير وعاصم بن عمر قال فجاءهما محمد بن إياس بن البكير فقال إن رجلا من أهل البادية طلق امرأته ثلاثا قبل أن يدخل بها فماذا تريان فقال عبد الله بن الزبير إن هذا الأمر مالنا فيه قول فاذهب الى عبد الله بن عباس وأبي هريرة فإني تركتهما عند عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فسلهما ثم ائتنا فأخبرنا فذهب فسألهما فقال ابن عباس لأبي هريرة أفته ياأبا هريرة فقد جاءتك معضلة فقال أبو هريرة الواحدة تبينها والثلاث تحرمها حتى تنكح زوجاً غيره • وعن يحيى بن سعيد قال قال ابن عباس إن من أفتى الناس في كل مايسئلونه عنه لمجنون • ورواه ابن وهب عن مالك قال بلغني عن عبد الله بن عباس فذكره قال مالك وبلغني عن ابن مسعود مثل ذلك • وعن محمد بن سليمان المرادي عن شيخ من أهل المدينة يكنى أبا اسحق قال كنت أرى الرجل في ذلك الزمان وإنه ليدخل يسأل عن الشيء فيدفعه الناس من مجلس الى مجلس حتى يدفع الى مجلس سعيد بن المسيب كراهية الفتيا . وكانوا يدعون سعيد بن المسيب الجريء • وعن ابن عون قال كنت جالساً في حلقة فيها

وما عبّر الانسان عن فضل نفسه ... بمثل اعتقاد الفضل في كل فاضل
وليس من الانصاف أن يدفع الفتى ... يدَ النقص عنه بانتقاص الافاضل

القاسم بن محمد فجاءه رجل ومعه جارية فقال اني أعتقت هذه الجارية عن دُبُرٍ مني(١) فولدت أولاداً أفأبيع من أولادها شيئاً فقال القاسم ماأدري هذا فقال رجل في المجلس قضى عمر ابن عبد العزيز أن أولادها بمنزلتها إذا أعتقت أعتقوا بعتقها فقال القاسم ما أرى رأيه إلا معتدلا وهذا رأي وما أقول انه الحق • وعن أحمد بن أبي سليمان قال سمعت سحنون ابن سعيد يقول اجسر الناس على الفتيا أقلهم علماً يكون عند الرجل الباب الواحد من العلم فيظن ان الحق كله فيه قال سحنون اني لأحفظ مسائل منها مافيه ثمانية أقوال من ثمانية أئمة من العلماء فكيف ينبغي أن أعجل بالجواب حتى أتخيّر فلِمَ الام على حبسي الجواب • وعن سفيان بن عيينة قال أجسر الناس على الفتيا أقلّهم علماً وقال أبو العتاهية

أقلّ الناس للعلم ادعاءً أقلّهم بفهم العلم نفعا

قال ابن وهب وأخبرنا موسى بن علي أنه سأل ابن شهاب عن شيء فقال ابن شهاب ماسمعت فيه بشيء وما نزل بنا فقلت انه قد نزل لبعض اخوانك قال ماسمعت فيه بشيء وما نزل بنا • وعن محمد بن سيرين قال قال حذيفة انما يفتي الناس أحد ثلاثة رجل يعلم ناسخ القرآن ومنسوخه وأمير لايجد بدّاً واحمق متكلف قال ابن سيرين فأنا لست بأحد هذين وأرجو أن لا أكون أحمق متكلفاً • وعن حبيب بن أبي ثابت قال سمعت أبا المنهال قال سألت زيد بن أرقم والبراء بن عازب عن الصرف فجعل كلما سألت أحدهما قال سل الآخر فانه خير مني وأعلم مني وذكر الحديث في الصرف • وقال سحنون يوماً إنا لله ماأشقى المفتي والحاكم ثم قال ها أنا ذا يتعلم مني ماتضرب به الرقاب وتوطأ به الفروج وتؤخذ به الحقوق أما كنت عن هذا غنياً • وقال أبو عثمان بن الحداد ألقاضي أيسر مأثماً وأقرب الى السلامة من الفقيه لأن الفقيه من شأنه اصدار مايرد عليه من ساعته بما حضره من القول والقاضي شأنه الأناة والتثبت ومن تأنى وتثبت تهيأ له من الصواب مالا يتهيأ لصاحب البديهة

﴿ باب رتب الطلب والنصيحة في المذهب ﴾

(قال أبو عمر) طلب العلم درجات ومناقل ورتب لا ينبغي تعديها ومن تعدّاها جملة فقد تعدّى سبيل السلف رحمهم الله ومن تعدّى سبيلهم عامداً ضلّ ومن تعداه مجتهداً زلّ فأول العلم حفظ كتاب الله جل وعز وتفهّمه وكل ما يعين على فهمه فواجب طلبه معه ولا أقول إن حفظه كله فرض ولكن أقول إن ذلك واجب لازم على من أحب

---

(١) أي قال لها أنت حرة بعد موتي وهو التدبير ه من لسان العرب

ان يكون عالماً فقيهاً ناصباً نفسه للعلم ليس من باب الفرض • وعن ميمون أبي عبدالله عن الضحاك في قوله تعالى « كونوا رَبَّانيين بما كنتم تعلمون » قال حقٌّ على كل من تعلم القرآن أن يكون فقيهاً وقد تقدم قول أبي الدرداء لن تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً وقال مجاهد ربانيين فقهاء وقال سعيد بن جبير وأبو رزين وقتادة علماء حكماء

(قال أبو عمر) القرآن أصل العلم فمن حفظه قبل بلوغه ثم فرغ الى ما يستعين به على فهمه من لسان العرب كان له ذلك عوناً كبيراً على مراده منه ومن سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ينظر في ناسخ القرآن ومنسوخه وأحكامه ويقف على اختلاف العلماء واتفاقهم في ذلك وهو أمر قريب على من قرَّبه الله عليه ثم ينظر في السنن المأثورة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فبها يصل الطالب الى مراد الله جل وعز في كتابه وهي تفتح له أحكام القرآن فتحاً وفي سير رسول الله صلى الله عليه وسلم تنبيه على كثير من الناسخ والمنسوخ في السنن ومن طلب السنن فليكن معوَّله على حديث الائمة الثقات الحفاظ الذين جعلهم الله خزائن لعلم دينه وأمناء على سنن رسوله صلى الله عليه وسلم كمالك بن أنس الذي قد اتفق المسلمون طُرًّا على صحة نقله ونقاوة حديثه وشدة توقيه وانتقاده ومن جرى مجراه من ثقات علماء الحجاز والعراق والشام كشعبة بن الحجاج(١) وسفيان الثوري والأوزاعي وابن عيينة ومعمر وسائر أصحاب ابن شهاب الثقات كابن جريج وعقيل ويونس وشعيب والزبيدي والليث وحديث هؤلاء عند ابن وهب وغيره وكذلك حديث حماد بن زيد وحماد بن سلمة ويحيى بن سعيد القطان وابن المبارك وأمثالهم من أهل الثقة والامانة فهؤلاء كلهم أئمة حديث وعلم عند الجميع وعلى حديثهم اعتمد المصنفون للسنن الصحاح كالبخاري(٢) ومسلم (٣) وأبي داود [٤] والنسائي (٥) ومن سلك سبيلهم كالعقيلي

---

(١) العتكي مولاهم البصري ثقة حافظ متقن كان الثوري يقول هو أمير المؤمنين في الحديث وهو أول من فتش بالعراق عن الرجال وذبَّ عن السنة مات سنة ١٦٠ هـ تقريب (٢) هو محمد بن اسماعيل الجُعْفِي جبل الحفظ وإمام الدنيا في ثقة الحديث مات سنة ٢٥١ هـ منه (٣) بن الحجاج القشيري النيسابوري ثقة حافظ إمام جليل مات سنة ٢٦١ هـ منه (٤) سليمان بن الاشعث الأزدي السجستاني أحد حفاظ الحديث الامام الرحالة الجليل صاحب السنن مات سنة ٢٧٥ هـ ابن خلكان (٥) هو أحمد بن علي بن ابن شعيب الحافظ امام عصره في الحديث وله كتاب السنن وسكن بمصر وانتشرت بها تصانيفه قال الدارقطني توفي بمكة سنة ٣٠٣ وقيل بالرملة هـ منه

والترمذي (١) وابن السكن ومن لايحصى كثرة وإنما صار مالك ومن ذكرنا معه أئمة عند الجميع لأن علم الصحابة والتابعين في أقطار الأرض انتهى اليهم ابحثهم عنه رحمهم الله والذي يشذ عنهم يسير نذر في جنب ما عندهم ، وعن أبي قلابة عبد الملك بن محمد الرّقاشي قال سمعت علي بن المديني يقول دار علم الثقات على ستة اثنين بالحجاز واثنين بالكوفة واثنين بالبصرة فأما اللذان بالحجاز فالزهري وعمرو بن دينار [٢] واللذان بالكوفة أبو اسحق السَّبيعي [٣] والاعمش واللذان بالبصرة قتادة ويحيي بن أبي كثير ثم دار علم هؤلاء على ثلاثة عشر رجلا ثلاثة بالحجاز وثلاثة بالكوفة وخمسة بالبصرة وواحد بواسط وواحد بالشام فاللذين بالحجاز ابن جريج ومالك ومحمد بن اسحق (٤) واللذين بالكوفة سفيان الثوري واسرائيل وابن عيينة واللذين بالبصرة شعبة وسعيد بن أبي عروبة وهشام الدَّستوائي (٥) ومعمر وحماد بن سلمة والذي بواسط هشيم (٦) والذي بالشام الأوزاعي (قال أبو عمر) لم يذكر حماد بن زيد فيهم لأنه لم يكن له استنباط في علمه وحماد بن سلمة وشعبة مثله وذكر شعبة في البصريين وهو واسطي قد سكن البصرة

(قف على ما يستعان به على فهم الحديث)

ومما يستعان به على فهم الحديث ما ذكرناه من العون على كتاب الله وهو العلم بلسان العرب ومواقع كلامها وسعة لغتها وأشعارها ومجازها وعموم لفظ مخاطبتها وخصوصه وسائر مذاهبها لمن قدر فهو شيء لا يستغنى عنه وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يكتب إلى الآفاق ان يتعلموا السنة والفرائض واللحن يعني النحو كما يتعلم القرآن وقد تقدم ذكر هذا الخبر عنه فيما سلف من كتابنا ، وعن عاصم الاحول عن أبي عثمان قال كان في كتاب عمر تعلموا العربية . وعن عمر بن زيد قال كتب عمر الى أبي موسى أما بعد فتفقهوا في السنة وتفقهوا في العربية . وعن نافع عن ابن عمر أنه كان يضرب ولده على اللحن وقال الشعبي النحو في العلم كالملح في الطعام لا يستغنى عنه وقال شعبة مثل الذي يتعلم

---

(١) هو محمد بن عيسى بن سَوْرة السلمي صاحب الجامع أحد الائمة ثقة حافظ مات سنة ٢٧٩ هـ تقريب (٢) أبو محمد الأثرم الجُمَحي مولاهم ثقة ثبت مات سنة ١٢٦ هـ تقريب (٣) هو عمرو بن عبد الله الهمداني مكثر ثقة عابد اختلط بآخره مات سنة ١٢٩ هـ منه (٤) بن يسار المطلبي مولاهم المدني نزيل العراق إمام المغازي صدوق يدلس ورمي بالتشيع والقدر مات سنة ١٥٠ هـ منه (٥) بن عبد الله سَنْبَر البصري ثقة ثبت وقد رمي بالقدر مات سنة ١٥٤ هـ منه (٦) ابن بشير بن القاسم بن دينار السلمي الواسطي ثقة ثبت كثير التدليس والارسال الخفي مات سنة ١٨٣ هـ منه

الحديث ولا يتعلم النحو مثل برنس لا رأس له • وقال الخليل بن احمد

أي شيءٍ من اللباس على ذي السـر وأبهى من اللسان البهيّ
ينظم الحجة الشتيتة في السلـك من القول مثل عقد الهديّ
وترى اللحن بالحسيب أخي الهيئة مثل الصدى على المشرفيّ
فاطلب النحو للحجاج وللشعر مقيما والمسند المرويّ
والخطاب البليغ عند جواب القول يُزهى بمثله في النديّ

وعن الربيع بن سليمان قال سمعت الشافعي محمد بن ادريس يقول من حفظ القرآن عظمت قيمته ومن طلب الفقه نبل قدره ومن كتب الحديث قويت حجته ومن نظر في النحو رق طبعه ومن لم يصن نفسه لم يصنه العلم • ويلزم صاحب الحديث أن يعرف الصحابة المؤدين للدين عن نبيهم صلى الله عليه وسلم ويعنى بسيرهم ويعرف أحوال الناقلين عنهم وأيامهم وأخبارهم حتى يقف على العدول منهم من غير العدول وهو أمر قريب كله على من اجتهد فمن اقتصر على علم إمام واحد وحفظ ما كان عنده من السنن ووقف على غرضه ومقصده في الفتوى حصل على نصيب من العلم وافر وحظ منه حسن صالح فمن قنع بهذا اكتفى والكفاية غير الغنى والاختيار له أن يجعل إمامه في ذلك امام أهل المدينة دار الهجرة ومعدن السنة ومن طلب الإمامة في الدين وأحب أن يسلك سبيل الذين جاز لهم الفتيا نظر في أقاويل الصحابة والتابعين والأئمة في الفقه إن قدر على ذلك نأمره بذلك كما أمرناه بالنظر في أقاويلهم في تفسير القرآن فمن أحب الاقتصار على قاويل علماء الحجاز اكتفى واهتدى ان شاء الله وإن أحب الإشراف على مذاهب الفقهاء متقدميهم ومتأخريهم بالحجاز والعراق وأحب الوقوف على ما أخذوا وتركوا من السنن وما اختلفوا في تثبيته وتأويله من الكتاب والسنة كان ذلك له مباحا ووجها محموداً إن فهم وضبط ما علم أوسلم من التخليط نال درجة رفيعة ووصل الى جسيم من العلم واتسع ونبل اذا فهم ما اطلع وبهذا يحصل الرسوخ لمن فقهه الله وصبر على هذا الشأن واستحلى مرارته واحتمل ضيق المعيشة فيه

(قف على قول ابى عمر فى طلاب العلم فى زمنه)

واعلم رحمك الله أن طلب العلم في زماننا هذا وفي بلدنا قد حاد أهله عن طريق سلفهم وسلكوا في ذلك ما لم يعرفه أئمتهم وابتدعوا في ذلك ما بان به جهلهم وتقصيرهم عن مراتب العلماء قبلهم فطائفة منهم تروي الحديث وتسمعه قد رضيت بالدؤوب في جمع مالا تفهم وقنعت بالجهل في حمل مالا تعلم فجمعوا الغث والسمين والصحيح والسقيم والحق والكذب في كتاب واحد وربما في ورقة واحدة ويدينون بالشيء

وضده ولا يعرفون ما في ذلك عليهم قد شغلوا أنفسهم بالاستكثار، عن التدبر والاعتبار، فألسنتهم تروي العلم، وقلوبهم قد خلت من الفهم، غاية أحدهم معرفة الكتب الغريبة والاسم الغريب أو الحديث المنكر وتجده قد جهل ما لا يكاد يسع أحداً جهله من علم صلاته وحجه وصيامه وزكاته وطائفة هي في الجهل كتلك أو أشد لم يعنوا بحفظ سنة ولا الوقوف على معانيها ولا بأصل من القرآن ولا اعتنوا بكتاب الله جل وعز فحفظوا تنزيله وعرفوا ما للعلماء في تأويله ولا وقفوا على أحكامه ولا تفقهوا في حلاله وحرامه قد اطّرحوا علم السنن والآثار وزهدوا فيهما وأضربوا عنهما فلم يعرفوا الاجماع من الاختلاف ولا فرّقوا بين التنازع والائتلاف بل عوّلوا على حفظ ما دوّن لهم من الرأي والاستحسان الذي كان عند العلماء آخر العلم والبيان وكان الائمة يبكون على ما سلف وسبق لهم فيه ويودون أن حظهم السلامة منه . ومن حجة هذه الطائفة فيما عوّلوا عليه من ذلك أنهم يقصرون وينزلون عن مراتب من له القول في الدين لجهلهم بأصوله وانهم مع الحاجة اليهم لا يستغنون عن أجوبة الناس في مسائلهم وأحكامهم فلذلك اعتمدوا على ما قد كفاهم الجواب فيه غيرهم وهم مع ذلك لا ينفكون عن ورود النوازل عليهم فيما لم يتقدمهم الى الجواب غيرهم فهم يقيسون على ما حفظوا من تلك المسائل ويفرضون الأحكام فيها ويستدلون منها ويتركون طريق الاستدلال من حيث استدل الائمة وعلماء الامة فجعلوا ما يحتاج أن يستدل عليه دليلاً على غيره ولو علموا أصول الدين وطريق الأحكام وحفظوا السنن كان ذلك قوة لهم على ما ينزل بهم ولكنهم جهلوا ذلك فعادوه وعادوا صاحبه فهم يفرطون في انتقاص الطائفة الأولى وتجهيلها وعيبها وتلك تعيب هذه بضروب من العيب وكلهم يتجاوز الحد في الذم وعند كل واحدة من الطائفتين خير كثير وعلم كبير أما أولئك فكالخزان الصيد لانيين وهؤلاء في جهل معاني ما حملوه مثلهم إلا أنهم كالمعالجين بأيديهم لعلل لا يقفون على حقيقة الداء المولِّد لها ولا على حقيقة طبيعة الدواء المعالج به فأولئك أقرب إلى السلامة في العاجل والآجل وهؤلاء أكثر فائدة في العاجل وأكبر غروراً في الآجل والى الله نفزع في التوفيق لما يقرب من رضاه ويوجب السلامة من سخطه فإنما ينال ذلك برحمته وفضله

(قف على أن الافراط في حفظ الفروع مضيعة)

واعلم يا أخي أن المفرّط في حفظ المولّدات لا يؤمن عليه الجهل بكثير من السنن إذا لم يكن تقدم علمه بها وأن المفرط في حفظ طرق الآثار دون الوقوف على معانيها وما قال الفقهاء فيها الصفر من العلم وكلاهما قانع بالشم من المطعم ومن الله التوفيق والحرمان وهو حسبي وبه اعتصم . واعلم يا أخي أن الفروع لا حدّ لها تنتهي اليه أبداً ولذلك تشعّبت

فمن رام أن يحيط بآراء الرجال فقد رام مالا سبيل له ولا لغيره إليـه لأنه لا يزال يرد عليه مالم يسمع ولعله أن ينسى أول ذلك بآخره لكثرته فيحتاج أن يرجع الى الاستنباط الذي كان يفزع منه ويجبن عنه تورعاً بزعمه أن غيره كان أدرى بطريق الاستنباط منه فلذلك عوّل على حفظ قوله ثم ان الأيام تضطره الى الاستنباط مع جهله بالأصول فجعل الرأي أصلاً واستنبط عليه وقد تقدم في كتابنا هذا كيف وجه القول واجتهاد الرأي على الأصول عند ما ينزل بالعلماء من النوازل في أحكامهم ملخصاً في ابواب مهذبة من تدبرها وفهمها وعمل عليها نال حظه ووفق لرشده إن شاء الله

(قف على ان المناظرة ليست إلا لاظهار الحق)

واعلم أنه لم تكن مناظرة بين اثنين أو جماعة من السلف إلا لتفهّم وجه الصواب فيصار اليه ويعرف أصل القول وعلته فيجرى عليه امثلته و نظائره وعلى هـذا الناس في كل بلد الا عندنا كما شاء ربنا وعند من سلك سبيلنا من أهل المغرب فإنهم لا يقيمون علة ولا يعرفون للقول وجهاً وحسب أحـدهم أن يقول فيها رواية لفلان ورواية لفلان ومن خالف عندهم الرواية التي لايقف على معناها وأصلها وصحة وجهها فكأنه قد خالف نصّ الكتاب وثابت السـنة ويجيزون حمـل الروايات المتضادة في الحلال والحرام وذلك خلاف أصـل مالك وكم وكم لهم من خلاف أصول مذهبه ممـا لو ذكرناه لطال الكتاب بذكره ولتقصيرهم عن عـلم أصول مذهبهم صار أحدهم إذا لقي مخالفاً ممن يقول بقول أبي حنيفة أو الشافعي أو داود بن علي أو غيرهم من الفقهاء وخالفه في أصـل قوله بقي متحيراً ولم يكن عنده أكثر من حكاية قول صاحبه فقال هكذا قال فلان وهكذا روينا ولجأ إلى أن يذكر فضل مالك ومنزلته فإن عارضه الآخر بذكر فضل إمامه أيضاً صار في المثل كما قال الأول

شكونا اليهم خراب العرا ق فعابوا علينا شحوم البقر
فكانوا كما قيل فيما مضى اريها السُّها وتريني القمر

وفي مثل ذلك يقول منذر بن سعيد رحمه الله

عَذِيري من قوم يقولون كلما طلبتُ دليلا هكذا قال مالك
فان عدت قالوا هكذا قال أشهب وقد كان لا تخفى عليه المسالك
فإن زدت قالوا قال سحنون مثله ومن لم يقل ما قاله فهو آفك
فان قلت قال الله ضجّوا واكثروا وقالوا جميعاً أنت قرن مماحك
وان قلت قد قال الرسول فقولهم أتتْ مالكا في ترك ذاك المسالك

واجازوا النظر في احتلاف أهل مصر وغيرهم من أهل المغرب فيما خالفوا فيـه

مالكا من غير أن يعرفوا وجه قول مالك ولا وجه قول مخالفه منهم ولم يبيحوا النظر في كتب من خالف مالكا إلى دليل يبينه ووجه يقيمه لقوله وقول مالك جهلا منهم وقلة نصح وخوفاً من أن يطلع الطالب على ماهم فيه من النقص والتقصير فيزهد فيهم وهم مع ما وصفنا يعيبون من خالفهم ويغتابونه ويتجاوزون القصد في ذمه ليوهموا السامع أنهم على حق وأنهم أولى باسم العلم وهم «كسراب بقيعةٍ يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً» وإن اشبه الأمور بماهم عليه ماقاله منصور الفقيه

خالفوني وانكروا ما أقول   قلت لا تعجلوا فإني سؤول

ما تقولون في الكتاب فقالوا   هو نور على الصواب دليل

وكذا سنة الرسول وقد   أفلح من قال مايقول الرسول

واتفاق الجميع أصل وما   تنكر هذا وذا وذاك العقول

وكذا الحكم بالقياس فقلنا   من جميل الرجال يأتي الجميل

فتعالوا نردّ من كل قول   ما نفى الاصل أونفته الأصول

فأجابوا فناظروا فاذا العلم لديهم هو اليسير القليل

(قف على وصايا أبي عمر) فعليك يا أخي بحفظ الأصول والعناية بهاواعلم أن من عني بحفظ السنن والأحكام المنصوصة في القرآن ونظر في اقاويل الفقهاء فجعله عوناً له على اجتهاده ومفتاحاً لطرائق النظر وتفسيراً لجمل السنن المحتملة للمعاني ولم يقلد احداً منهم تقليد السنن التي يجب الإنقياد اليها على كل حال دون نظر ولم يُرح نفسه مما أخذ العلماء به أنفسهم من حفظ السنن وتدبرها واقتدى بهم في البحث والتفهم والنظر وشكر لهم سعيهم فيما أفادوه ونبهوا عليه وحمدهم على صوابهم الذي هو أكثر أقوالهم ولم يبرئهم من الزلل كما لم يبرؤا أنفسهم منه فهذا هو الطالب المتمسك بما عليه السلف الصالح وهو المصيب لحظه والمعاين لرشده والمتبع لسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وهدي صحابته رضي الله عنهم ومن أعفى نفسه من النظر وأضرب عما ذكرنا وعارض السنن برأيه ورام أن يردّها الى مبلغ نظره فهو ضالٌّ مضل ومن جهل ذلك كله أيضاً وتقحم في الفتوي بلا علم فهو أشد عمًى وأضل سبيلا

لقد أسمعت لو ناديت حياً   ولكن لاحياة لمن تنادي

وقد علمت أني لا أسلم من جاهل معاند لايعلم

ولست بناج من مقالة طاعن   ولو كنت في غار على جبل وَعرِ

ومن ذا الذي ينجو من الناس سالماً   ولو غاب عنهم بين خافيتي نسر

(قف على أن السنة والقرآن أصل الرأي والعيار عليه)

واعلم يا أخي أن السنن والقرآن هما أصل الرأي والعيار عليه وليس الرأي بالعيار على السنة بل السنة عيار عليه ومن جهل الأصل لم يصب الفرع أبداً • وقال ابن وهب حدثني مالك أن إياس بن معاوية قال لربيعة إن الشيء اذا بني على عوج لم يكد يعتدل قال مالك يريد بذلك المفتي الذي يتكلم على أصل يبني عليه كلامه (قال أبو عمر) ولقد أحسن صالح بن عبد القدوس حيث يقول

يا أيها الدارس علماً ألا تلتمس العون على درسه
لن تبلغ الفرع الذي رمته الا بحث منك عن أسه

ولمحمود الوراق

القول ماصدقه الفعل والفعل ما صدقه العقل
لا يثبت الفرع إذا لم يكن يقله من تحته الأصل

ومن أبيات لابن معدان

وكل ساع بغير علم فرشده غير مستبان
والعلم حق له ضياء في القلب والعقل واللسان

وقال أبو العتاهيه

وإنما العلم من عيان ومن سماع ومن قياس

(قف على قول أبي الدرداء)

وعن حسان بن عطيه (١) أن أبا الدرداء كان يقول لن تزالوا بخير ما أحببتم خياركم وما قيل فيكم الحق فعرفتموه فإن عارفه كفاعله • وقال ابن وهب عن مالك سمعت ربيعه يقول ليس الذي يقول الخير ويفعله بخير من الذي يسمعه ويقبله قال مالك وقال ذلك المثني على عمر بن الخطاب ما كان بأعلمنا ولكنه كان أسرعنا رجوعاً إذا سمع الحق (قال أبو عمر) رحم الله القائل

لقد بان للناس الهدى غير أنهم غدوا بجلابيب الهوى قد تجلببوا

وعن أبي الاسود الدؤلي قال خطب عمر بن الخطاب يوم الجمعه فقال إن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لاتزال طائفة من أمتي على الحق منصورة حتى يأتي أمر الله • وقال أبو العتاهيه

رأيت الحق لايخفى ولا تخفى شواكله
لعمرك ما استوى في الأمر عالمه وجاهله

---

(١) المحاربي مولاهم الدمشقي ثقة فقيه عابد مات بعد العشرين ومائة هـ تقريب

وله أيضاً

إذا اتضح الصواب فلا تدعه ... فانك كلما ذقت الصوابا
وجدت له على اللهوات برداً ... كبرد الماء حين صفا وطابا
وليس بحاكم من لايبالي ... أأخطأ في الحكومة أم أصابا

(قف على كلام الحسن البصري)

وعن الحسن ان أزهد الناس في عالمٍ أهله وشر الناس أوقال شر الاهل أهل ميت يبكون عليه ولايقضون دينه • وقال كعب الاحبار لقوم من أهل الشام كيف رأيكم في أبي مسلم الخولاني (١) فذكروا شيئاً فقال كعب ازهد الناس في عالم أهله • ويروى عن عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم أنه قال لمن قال له ألست ابن يوسف النجار وأمك بغي قال انه لايسب النبي ولا يحقر إلا في مدينته وبيته أو بلده • وعن أبي الدهماء قال لقي ابومسلم الخولاني أبا مسلم الخليلي فقال الخليلي للخولاني كيف منزلتك عند قومك قال إنهم ليعرفون حقي ويعرفون شرفي فقال الخليلي ماهكذا تقول التوراة قال الخولاني وماتقول التوراة قال تقول إن أشد الناس بغضاً للمرء الصالح قومه ومن هو بين أظهرهم وإن أشد الناس له حباً أبعد الناس منه فقال أبو مسلم الخولاني صدقت التوراة وكذب أبو مسلم • وعن حماد بن أسامة قال سمعت سفيان الثوري يقول تفسير الحديث خير من سماعه • وعن ابن عنبسة قال كانت للناس جِلة ونابتة وكانت النابتة تأخذ عن الجلة فذهبت الجلة والنابتة ثم جاء قوم يسمعون تلك الاخلاق كأنها أحلام • وعن أبي الأشهب قال سمعت الحسن يقول إن أجبناهم أكثروا علينا وان تركناهم تركناهم إلى غي طويل

﴿ باب في العرض على العالم وقول اخبرنا وحدثنا واختلافهم فى ذلك وفي الاجازة والمناولة ﴾

عن أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي قال اختلف أهل العلم في الرجل يقرأ على العالم ويقر له العالم به كيف يقول فيه أخبرنا أوحدثنا فقالت طائفة منهم لافرق بين أخبرنا وحدثنا وله أن يقول اخبرنا وحدثنا وممن قال ذلك مالك وأبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد بن الحسن • فعن أبي قطن قال قال لي أبو حنيفة اقرأ عليّ وقل حدثني وقال لي مالك اقرأ عليّ وقل حدثني وعن يحيى بن عبد الله بن بكير قال لما فرغنا من قراءة الموطأ على مالك رحمه الله قام إليه رجل فقال ياأبا عبد الله كيف نقول في هذا فقال ان شئت فقل حدثنا وإن

---

(١) الزاهد الشامي اسمه عبد الله بن ثُوَب (وقيل باشباع الواو) وقيل ابن أثوب ثقة عابد رحل الى النبي صلى الله عليه وسلم فلم يدركه وعاش الى زمن يزيد بن معاوية ه تقريب

شئت فقل أخبرنا وإن شئت فقل حدثني وأخبرني وأراه قال وان شئت فقل سمعت قال أبو جعفر وقالت طائفة منهم في العرض أخبرنا ولا يجوز أن يقال حدثنا الا فيما سمعه من لفظ الذي يحدثه به (قال أبو جعفر) ولما اختلفوا نظرنا فيما اختلفوا فيه فلم نجد بين الحديث وبين الخبر في هذا في كتاب الله ولا في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأما ما في كتاب الله فقوله جل وعز «يومئذٍ تحدِّث أخبارها» فجعل الحديث والخبر واحداً وقال «لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من اخباركم» وهي الاشياء التي كانت منهم وقال في مثله «هل أتاك حديث الجنود» وقال «ولا يكتمون الله حديثاً» وقال «الله نزّل أحسن الحديث كتاباً» و«هل أتاك حديث الغاشية» و«حديث ضيف ابراهيم المكرمين» وقال أبو جعفر وكأن المراد في هذا كله أن الخبر والحديث واحد قال وكذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال أبو عمر) فذكر حديث مجاهد عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبروني عن شجرة مثلها مثل المؤمن • وحديث فاطمة بنت قيس أنه قال اخبرني تميم الداري فذكر قصة الدجال وحديث عبد الله بن عمرو بن العاصي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلِّغوا عني ولو آية وحدِّثوا عن بني اسرائيل ولا حرج • وحديث جابر في الرؤيا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للأعرابي لا تخبر بتلاعب الشيطان بك في المنام وحديث أنس عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد ان يخبرهم بليلة القدر فتلاحى رجلان • وحديث أنس أن عبد الله بن سلام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أول أشراط الساعة قال أخبرني جبريل أن ناراً تحشرهم من المشرق • وحديث أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألا أخبركم بخير دور الأنصار • وحديث رافع بن خديج (١) قال مرَّ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتحدث فقال ما تحدثون فقلنا نتحدث عنك قال تحدثوا وليتبوأ من كذب عليَّ مقعده من جهنم

(قال أبو عمر) وذكر أخباراً من نحو هذا تركتُ ذكرها لأنها في معنى ماذكرنا ثم قال هذا كله يدل على أن لا فرق بين أخبرنا وحدثنا قال وقد ذهب قوم فيما قرئ على العالم فأجازه وأقرَّ به أن يقال فيه قرئ على فلان ولا يقال فيه حدثنا ولا أخبرنا قال ولا وجه لهذا القول عندنا قال وسواء عندنا القراءة على العالم وقراءة العالم ولكل واحد ممن سمع بشيء من ذلك أن يقول حدثنا أو أخبرنا (قال ابو عمر) هذا قول

(١) الاوسي الأنصاري صحابي جليل أول مشاهده أُحُد مات سنة ٧٣ هـ تقريب

الطحاوي دون لفظه أنا عبّرت عنه وأنا أُورد في هـذا الباب اخباراً يستدل بها على مذاهب القوم وبالله العون • عن عوف أن رجلا سأل الحسن فقال ياابا سعيد إن منزلي ناءٍ والاختلاف يشق عليّ ومعي احاديث فإن لم يكن بالقراءة بأس قرأت عليك فقال ماأبالي قرأت عليّ أوقرأتُ عليك فقال ياابا سعيد فأقول حدثني الحسن فقال نعم قل حدثني الحسن • وعن شعبة قال سألت منصور بن المعتمر (١) وايوب السختياني عن القراءة على العالم فقالا جيد • وعن معمر قال سمعت ابراهيم بن الوليد رجلا من بني أمية يسأل الزهري وعرض عليه كتابا من علمه فقال أأحدث بهذا عنك ياابا بكر قال نعم فمن يحدثكموه غيري قال معمر رأيت أيوب يعرض على الزهري العلم فيجيزه • وعن عبد الرزاق قال سمعت معمراً يقول كنا نرى أن قد أكثرنا عن الزهري حتى قتل الوليد فاذا الدفاتر قد حملت على الدواب من خزائنه من علم الزهري • وقال عبد الرزاق عرضنا وسمعنا وكلٌّ سماع قال معمر وكان منصور لايرى بالعرض بأساً • وعن مالك بن أنس قال لما قدم الزهري أخذت الكتاب لأقرأ عليه فقال من أنت فقلت أنا مالك بن أنس وانتسبت له فقال ضع الكتاب ثم أخذ الكتاب محمد بن اسحق يقرأه وانتسب له فقال له ضع الكتاب ثم أخذ الكتاب عبيد الله بن عمر وقال أنا عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب فقال اقرأ فجميع ما سمع الناس يومئذ مما قرأ عبيد الله • وعن ابن القاسم وابن وهب عن مالك أنه قيل له أرأيت ما عرضنا عليك أتقول فيه حدثنا قال نعم قد يقول الرجل اذا قرأ على الرجل أقرأني فلان وانما قرأ عليه (ولقد قال ابن عباس كنت أقرأ على عبدالرحمن بن عوف) فقيل لمالك أفيعرض عليك الرجل أحب اليك أن تحدثه قال بل يعرض إذا كان يتثبتُ في قراءته فربما غلط الذي يحدث أو نسي وقال الذي يعرض أعجب اليّ في ذلك • وقال ابن أبي أويس عن مالك نحو رواية ابن القاسم وابن وهب عنه على حسب ما ذكرنا قال وقال لي ألست أنت قرأت على نافع وتقول اقرأني نافع • وقال أبو الطاهر احمد بن عمرو بن السرح أخبرنا ابن وهب قال قلت لمالك يا أبا عبد الله كيف نقول فيما سمعناه يقرأ عليك من هذه العلوم أخبرنا أو حدثنا قال قولوا إن شئتم حدثنا وان شئتم أخبرنا فقد رأيت العلم يقرأ على ابن شهاب • وعن عبيد الله بن عمر قال رأيت أنس بن مالك يقرأ على الزهري قال فحدثت بذلك سفيان بن عيينة ففرح بذلك وجعل يقول قرأ قرأ • وعن ضمرة قال كنت أرى الزهري يأتيه الرجل بالكتاب ولم يقرأه

---

(١) السلمي الكوفي ثقة ثبت وكان لايدلس من طبقة الاعمش مات سنة ١٣٢ هـ تقريب

عليه فيقال له أرويه عنك قال نعم

(قف على معنى المناولة)

(قال أبو عمر) هذا معناه أنه كان يعرف الكتاب بعينه ويعرف ثقة صاحبه ويعرف أنه من حديثه وهذه هي المناولة وفي معناها الإجازة إذا صح تناول ذلك • وعن عمرو بن أبي سلمه قال قلت للأوزاعي في المناولة أقول فيها حدثنا قال إن كنت حدثتك فقل حدثنا فقلت أقول أخبرنا قال لا قلت فكيف أقول قال قل عن أبي عمرو أو قال أبو عمرو • وعن عمر بن عبد الواحد عن الأوزاعي قال دفع إليّ يحيى بن ابي كثير صحيفة فقال اروها عني ودفع إليّ الزهري صحيفة فقال اروها عني • وعن أحمد بن صالح قال كان عمر بن ابي سلمة حسن المذهب كان عنده شيء سمعه من الأوزاعي وشيء اجازه له فكان يقول فيما سمع حدثنا الأوزاعي ويقول فيما اجازه له قال الأوزاعي وسمعت أحمد يقول وقد سئل عن الرجل يحدث الرجال أيقول أحدهم حدثني أو يحدث الرجل وحده أيقول حدثنا قال نعم ذلك كله جائز في كلام العرب قال وسمعت أحمد بن صالح يقول إذا عرض الرجل على عالم ثم قال حدثنا لم أخطئه ولم أكذبه وأحب إليّ أن يقول قرأت على فلان ولا يقول حدثنا • وعن ابي الزنباع روح بن الفرج القطان(١) قال سمعت يحيى بن عبد الله بن بكير يقول لما فرغنا من عرض الموطأ على مالك قال له رجل من أهل المغرب يا أبا عبد الله هذا الذي قرئ عليك كيف نقول حدثنا أو حدثني أو أخبرنا أو أخبرني فقال ما شئت أن تقول من ذلك فقل

(قال ابو عمر) الآثار في هذا الباب كثيرة على نحو ما ذكرنا فرأيت الاقتصار أولى من الإكثار • واختلف العلماء في الاجازة فأجازها قوم وكرهها آخرون وفيما ذكرنا في هذا الباب دليل على جوازها إذا كان الشيء الذي اجيز معيناً أو معلوماً محفوظاً مضبوطاً وكان الذي يتناوله عالماً بطرق هذا الشأن وإن لم يكن ذلك على ما وصفت لم يؤمن أن يحدّث الذي أجيز له عن الشيخ بما ليس من حديثه أو ينقص من اسناده الرجل والرجلين من أول إسناد الديوان أو من سائر اسانيد الحديث فقد رأيت قوماً وقعوا في مثل هذا وما اظن الذين كرهوا الإجازة كرهوها الا لهذا والله أعلم • وذكر ابن عبد الحكم عن ابن وهب وابن القاسم عن مالك أنه سئل عن الرجل يقول له العالم هذا كتابي فاحمله عني وحدث بما فيه عني قال لا أرى هذا يجوز ولا يعجبني لأن هؤلاء انما يريدون الحمل الكثير بالإقامة اليسيرة فلا يعجبني ذلك • وعن محمد بن علي بن الحسن بن بمرو قال سمعت

---

(١) المصري ثقة مات سنة ٢٨٣ وله أربع وثمانون هـ تقريب

أبا بكر محمد بن عبد الله بن يزداد الرازي يقول سمعت أبا العباس عبد الله بن عبيد الله الطيالسي ببغداد يقول كنا عند عبيد الله أبي الأشعث أحمد بن المقدام العجلي إذ جاءه قوم يسئلونه إجازة كتاب قد حدّث به فأملى عليهم

كتابي إليكم فافهموه فإنه   رسولي إليكم والكتاب رسول
فهذا سماعي من رجال لقيتهم   لهم ورع في فقههم وعقول
فإن شئتم فارووه عني فإنما   تقولون ما قد قلته وأقول

(قف على تلخيص باب الاجازة)

(قال ابو عمر) تلخيص هذا الباب ان الإجازة لا تجوز إلا لماهر بالصناعة حاذق بها يعرف كيف يتناولها ويكون في شيء معين معروف لا يشكل اسناده فهذا هو الصحيح من القول فى ذلك والله أعلم • وعن بندار قال سمعنا يحيى بن سعيد يقول أخبرنا وأخبرني واحد وحدثنا وحدثني واحد •وعن سعيد بن عمرو بن ابي سلمة عن ابيه عن مالك فى قول الله تبارك وتعالى «وإنه لذكرٌ لك » ولقومك قال هو قول الرجل حدثني أبي عن جدي

﴿ باب الحض على لزوم السنة والاقتصار عليها ﴾

قال صلى الله عليه وسلم تركت فيكم اثنتين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنتي . وعن عمرو بن مرة قال سمعت مرّة الهمْداني قال قال عبد الله إن أحسن الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الامور محدثاتها «إنما توعدون لآتٍ وما أنتم بمعجزين » وعن أبي الاحوص عن عبد الله بن مسعود أنه كان يقوم يوم الخميس قائماً فيقول إنما هما اثنان الهدي والكلام فأفضل الكلام أو أصدق الكلام كلام الله وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشرّ الامور محدثاتها الا وكل محدثة بدعة إلا لايتطاولنّ عليكم الأمر فتقسو قلوبكم ولا يلهينكم الأمل فإن كل ماهو آت قريب الا ان بعيداً ماليس آتيا وعن عبد الرحمن بن عمرو الانصاري السامي أنه سمع عِرْباض بن سارية (١) يقول وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة ذَرَفت منها العيون ووجِلت منها القلوب فقلنا يارسول الله إن هذه لموعظة مودِّع فماذا تعهد إلينا قال تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لايزيغ بعدي عنها إلا هالك ومن يعش منكم فسيرى اختلافا كثيراً فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء المهتدين

---

(١) السلمي يكنى أبا نجيح صحابي من أهل الصفة ونزل حمص ومات بعد السبعين هـ تقريب

الراشدين وعليكم بالطاعة وإن كان عبداً حبشياً عضّوا عليها بالنواجذ فإنما المؤمن كالجمل الأنِف (١) كلما قيد انقاد • وعن أبي الحسن الصموت قال سمعت أبا بكر أحمد بن عمرو البزار يقول حديث عرباض بن سارية في الخلفاء الراشدين حديث ثابت صحيح وهو أصح اسنادًا من حديث حذيفة اقتدوا باللذين من بعدي لانه يختلف في اسناده ويتكلم فيه من أجل مولى ربعي هو مجهول عندهم (قال أبو عمر) هو كما قال البزار حديث عرباض حديث ثابت وحديث حذيفة حديث حسن وقد روى عن مولى ربعي عبد الملك بن عمير وهو كبير ولكن البزار وطائفة من أهل الحديث يذهبون الى أن المحدث اذا لم يرو عنه رجلان فصاعدا فهو مجهول وحديث حذيفة حدثناه جماعة منهم عبدالوارث ابن سفيان عن قاسم بن اصبغ عن اسماعيل بن اسحق القاضي عن محمد بن كثير عن سفيان بن سعيد عن عبد الملك بن عمير عن مولى لربعي عن ربعي عن حذيفة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر واهتدوا بهدي عمار وتمسكوا بعهد ابن أم عبد وهذا لفظ حديث الحميدي (قال أبو عمر) رواه جماعة عن ابن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي عن حذيفة هكذا لم يذكروا مولى ربعي والصحيح ماذكرناه من رواية الحميدي عنه وكذلك رواه الثوري وهو احفظ وأتقن عندهم فعن ابراهيم ابن سعيد قال حدثنا الثوري عن عبد الملك بن عمير عن هلال مولى ربعي بن خراش عن ربعي عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر • وعن ابن خيثم عن رجل من أهل الشام أن رجلا من الصحابة حدثه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة مضت منها الجلود وذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال قائلنا يانبي الله كأن هذا منك وداع لو عهدت الينا قال الزموا سنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي الهادية المهدية فعضوا عليها بالنواجذ وان استعملوا عليكم عبداً حبشيا مجدّعا فاسمعوا له وأطيعوا فان كل بدعة ضلالة • وعن عبد الرحمن بن عمرو الشامي (٢) وحجر قالا أتينا العرباض بن سارية وهو ممن نزل فيه «ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه» فسلّمنا وقلنا أتيناك زائرين وعائدين ومقتبسين فقال العرباض صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال قائل يارسول الله كأن هذا موعظة مودع فماذا تعهد الينا فقال أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة

---

(١) أي انه لا يَريم التشكّي ه لسان العرب (٢) الشامي مقبول مات سنة ١١٠ ه تقريب

وان كان عبداً حبشياً فان من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وايا كم ومحدثات الأمور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة (قال أبو عمر) الخلفاء الراشدون المهديون أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وهم أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم

وعن عطاء عن ابن عباس أنه كان يقول كلام الحرورية ضلالة وكلام الشيعة هلكة قال ابن عباس ولا أعرف الحق الا في كلام قوم فوّضوا أمورهم الى الله ولم يقطعوا بالذنوب العصمة من الله وعلموا أن كلاً بقدر الله تعالى . وعن علي بن الجعد قال أخبرني حماد بن سلمة عن سعيد بن جُمْهان (١) عن سفينة (٢) قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً ثم قال امسك خلافة أبي بكر سنتان وعمر عشر وعثمان ثنتا عشرة وعلي ست قال علي بن الجعد قلت لحماد سفينة القائل لسعيد قال نعم (قال أبو عمر) قال أحمد بن حنبل حديث سفينة في الخلافة صحيح واليه أذهب في الخلفاء . وعن محمد بن مطهر قال سألت أبا عبد الله أحمد بن حنبل عن التفضيل فقال نقول أبو بكر وعمر وعثمان ونقف على حديث ابن عمر ومن قال وعلي لم أعنفه ثم ذكر حديث حماد بن سلمة عن سعيد بن جُمْهان عن سفينة في الخلافة فقال أحمد علي عندنا من الخلفاء الراشدين المهديين وحماد بن سلمة عندنا الثقة المأمون وما نزداد كل يوم فيه إلا بصيرة (قال أبو عمر) قد روى عبد الله بن أحمد بن حنبل وسلمة بن شبيب وطائفة عن أحمد بن حنبل مثل رواية محمد بن مطهر الفرق بين التفضيل والخلافة على حديث ابن عمر وحديث سفينة وروت عنه طائفة تقديم الاربعة والاقرار لهم بالفضل والخلافة وعلى ذلك جماعة أهل السنة ولم يختلف قول احمد في الخلافة والخلفاء وانما اختلف قوله في التفضيل . فعن أبي علي الحسن بن احمد بن الليث الرازي قال سألت أحمد بن حنبل فقلت يا ابا عبد الله من تفضل قال ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وهم الخلفاء فقلت يا ابا عبد الله انما أسألك عن التفضيل من تفضل قال ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وهم الخلفاء المهديون الراشدون ورد الباب في وجهي قال أبو علي ثم قدمت الري فقلت لأبي زرعة سألت أحمد وذكرت له القصة فقال لا نبالي من خالفنا نقول

---

(١) الأسلمي البصري صدوق له افراد مات سنة ١٣٦ هـ تقريب (٢) مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال كان اسمه مهران أو غير ذلك فلُقّب سفينة لكونه حمل شيئاً كثيراً في السفر وهو صحابي مشهور له أحاديث ويكنى أبا عبد الرحمن هـ منه

أبو بكر وعمر وعثمان وعلي في الخلافة والتفضيل جميعاً وهذا ديني الذي أدين به وأرجو أن يقبضني الله عليه • وعن سلمة بن شبيب [١] قال قلت لأحمد بن حنبل من تقدم قال أبو بكر وعمر وعثمان وعلي في الخلافة قال سلمة وكتبت الى اسحق بن راهوية من تقدم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الي لم يكن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأرض أفضل من أبي بكر ولم يكن بعده أفضل من عمر ولم يكن بعده أفضل من عثمان ولم يكن بعد عثمان على الأرض خير ولاأفضل من علي • وعن عباد السماك قال سمعت سفيان يقول الخلفاء أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز وما سوى ذلك فهم منتزون(٢) (قال ابو عمر) قد روي عن مالك وطائفة نحو قول سفيان هذا وتأبى جماعة من أهل العلم أن تفضل عمر بن عبد العزيز على معاوية لمكان صحبته ولكلا القولين آثار صحاح مرفوعة يحتج بها الفريقان . فمن ابراهيم بن سعيد الجوهري قال سألت أبا أسامة أيما كان أفضل معاوية أو عمر بن عبد العزيز فقال لا نعدل بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أحدا • وعن أبي ثوبة قال سمعت أبا اسحق الفزاري وعبد الله بن المبارك وعيسى بن يونس ومخلد بن حسين يقولون أبو بكر وعمر وعثمان وعلي • وعن أبي بكر النيسابوري قال سمعت الربيع بن سليمان يقول سمعت الشافعي محمد بن ادريس يقول أقول في الخلافة والتفضيل بأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم • وعن هرون بن اسحق قال سمعت يحيى بن معين يقول من قال أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وسلّم لعلي سابقته فهو صاحب سنة فذكرت له هؤلاء الذين يقولون أبو بكر وعمر وعثمان ويسكتون فتكلم فيهم بكلام غليظ • وعن عبد الرحمن بن أبي بكرة قال وفدت مع أبي الى معاوية وفدنا اليه زياد فدخلنا على معاوية فقال حدثنا ياأبا بكرة فقال إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الخلافة ثلاثون ثم يكون الملك قال فأمر بنا فوجي في اقفاينا حتى أخرجنا • وعن سليمان بن أبي سليمان عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلافة بالمدينة والملك بالشام وعن الحكم بن أبان أنه سأل عكرمة عن أمهات الأولاد فقال هن أحرار قلت بأي شيء قال بالقرآن قلت بأي شيء في القرآن قال قال الله جل وعز « ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم » وكان عمر من أولي الأمر قال عتقت ولو بسقط • وعن مالك ابن أنس قال قال عمر بن عبد العزيز سنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الأمر

---

[١] المسمعي النيسابوري نزيل مكة ثقة مات سنة بضع وأربعين ومائتين هـ تقريب (٢) متغلبون

من بعده سننا الأخذ بها تصديق بكتاب الله واستكمال لطاعة الله وقوة على دين الله من عمل بها مهتد ومن استنصر بها منصور ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين وولاه الله ماتولى وصلاه جهنم وساءت مصيرا • وعن صالح بن كيسان قال اجتمعت أنا والزهري ونحن نطلب العلم فقلنا نكتب السنن فكتبنا ماجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال نكتب ماجاء عن الصحابة فانه سنة وقلت أنا ليس بسنة ولا نكتبه قال فكتبه الزهري ولم أكتبه فأنجح وضيعت • وعن سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب لما قدم المدينة قام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ياأيها الناس إنه قد سنت لكم السنن وفرضت لكم الفرائض وتركتم على الواضحة الا أن تضلوا بالناس يميناً وشمالا • وروى الشعبي عن مسروق عن عمر أنه خطب الناس فقال ردّوا الجهالات الى السنة • وعن ميمون بن مهران في قول الله جل وعز «فإن تنازعتم في شيء فردُّوه الى الله والرسول» قال الرد الى الله الى كتابه والرد الى الرسول ما كان حياً فاذا مات سنته • وعن حماد قال سمعت الشعبي يقول قال مسروق حب أبي بكر وعمر ومعرفة فضلهما من السنة • وعن أبي الفيض ذي النون قال ثلاث من اعلام السنة المسح على الخفين والمحافظة على صلوات الجمع وحب السلف رحمهم الله وكان ابراهيم التيمي يقول اللهم أعصمني بدينك وبسنة نبيك من الاختلاف في الحق ومن اتباع الهوى ومن سبل الضلالة ومن مشتبهات الأمور ومن الزيغ والخصومات • وعن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله بن مسعود قال القصد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة

باب موضع السنة من الكتاب وبيانها له

قال الله تعالى «وأنزلنا اليك الذكر لتبيّن للناس ما نُزّل اليهم» وقال «فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم» وقال «وانك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله» وفرض طاعته في غير آية من كتاب الله وقرنها بطاعته جل وعز فقال «وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا» • وعن ابراهيم بن علقمة أن امرأة من بني أسد أتت عبد الله بن مسعود فقالت له إنه بلغني أنك لعنت ذَيْتَ وذيت والواشمة والمستوشمة وإني قد قرأت مابين اللوحين فلم أجد الذي تقول وإني لأظن على أهلك منها فقال لها عبد الله فادخلي فانظري فدخلت فنظرت فلم تر شيئاً فقال لها عبد الله أما قرأت «ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا» قالت بلى قال فهو ذاك • وعن منصور عن ابراهيم عن علقمة قال قال عبد الله بن مسعود لعن الله الواشمات

والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيّرات خلق الله قال فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب فقالت يا أبا عبد الرحمن بلغني أنك لعنت كيت وكيت فقال ومالي لا ألعن من لعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن هو في كتاب الله قالت إني لاقرأ ما بين اللوحين فما أجده قال إن كنت قارئة لقد وجدتيه أما قرأت « ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » قلت بلى قال فإنه قد نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت إني لأظن أهلك يفعلون بعض ذلك قال فاذهبي فانظري قال فدخلت فلم تر شيئاً قال فقال عبد الله لو كانت كذلك لم نجامعها

وعن عبد الرحمن بن يزيد أنه رأى محرماً عليه ثياب فنهى المحرم فقال ائتني بآية من كتاب الله تنزع ثيابي قال فقرأ عليه « ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » وعن هشام بن حجير قال كان طاوس يصلي ركعتين بعد العصر فقال له ابن عباس اتركهما فقال إنما نهي عنهما أن تتخذ سنة فقال ابن عباس قد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة بعد العصر فلا أدري أتعذب عليها أم تؤجر لأن الله تبارك وتعالى قال «وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرةُ من أمرهم» وعن محمد بن المنكدر عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك بأحدكم يقول هذا كتاب الله ما كان فيه من حلال أحللناه وما كان فيه من حرام حرمناه ألا من بلغه حديث فكذّب به فقد كذب الله ورسوله والذي حدثه . وعن عبيد الله أو عبد الله بن ابي رافع عن ابيه أبي رافع قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ألا لا أعرفن ما بلغ أحداً منكم حديث إن كان شيئاً أمرت به أو نهيت عنه فيقول وهو متكئ على أريكته هذا القرآن ما وجدنا فيه اتبعناه وما لم نجد فيه فلا حاجة لنا به. وعن الحسن بن حارثة أنه سمع المقدام بن معدي كرب يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك رجل منكم متكئاً على أريكته يحدّث بحديث عني فيقول بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه ألا وإن ما حرّم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الذي حرم الله . وعن ميمون بن مهران « فإن تنازعتم في شيء فردّوه الى الله والرسول » الآية قال الرد الى الله الرد الى كتابه والرد الى رسوله إذا كان حيّاً فلما قبضه الله فالرد الى سنته

« قال أبو عمر » قال صلى الله عليه وسلم ما تركت شيئاً مما أمركم الله به إلاّ وقد أمرتكم به ولا تركت شيئاً مما نهاكم عنه الا وقد نهيتكم عنه رواه المطلب بن حنطب وغيره عنه صلى الله عليه وسلم وقال الله تبارك وتعالى « وما ينطق عن الهوى إن هو

إلا وحيٌ يوحى » وقال « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكّموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت و يسلّموا تسليما » وقال « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذاقضى الله ورسوله أمراً أن تكون لهم الخيرة من أمرهم » الآية

(قف على أن البيان من الرسول على ضربين)

والبيان منه صلى الله عليه وسلم على ضربين بيان المجمل في الكتاب العزيز كبيانه الصلوات الخمس فى مواقيتها وسجودها وركوعها وسائر أحكامها وكبيانه للزكاة وحدّها ووقتها وما الذي تؤخذ منه من الاموال وبيانه لمناسك الحج قال صلى الله عليه وسلم إذ حج بالناس خذوا عني مناسككم لأن القرآن إنما ورد بجملة فرض الصلاة والزكاة والحج دون تفصيل ذلك والحديث مفصل وهو زيادة على حكم الكتاب كتحريم نكاح المرأة على عمتها وخالتها وكتحريم الحُمُر الأهلية وكل ذي ناب من السباع إلى أشياء يطول ذكرها قد لخصتها في موضع آخر وقد أمر الله جل وعز بطاعته واتباعه أمراً مطلقاً مجملا لم يقيد بشيء كما أمرنا باتباع كتاب الله ولم يقل وافق كتاب الله كما قال بعض أهل الزيغ قال عبد الرحمن بن مهدي الزنادقة والخوارج وضعوا ذلك الحديث يعني ماروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ما أتاكم عني فاعرضوه على كتاب الله فإن وافق كتاب الله فأنا قلته وإن خالف كتاب الله فلم أقله أنا وكيف أخالف كتاب الله وبه هداني الله وهذه الالفاظ لا تصح عنه صلى الله عليه وسلم عند أهل العلم بصحيح النقل من سقيمه وقد عارض هذا الحديث قوم من أهل العلم وقالوا نحن نعرض هذا الحديث على كتاب الله قبل كل شيء ونعتمد على ذلك قالوا فلما عرضناه على كتاب الله وجدناه مخالفاً لكتاب الله لأنا لم نجد في كتاب الله أن لا نقبل من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ما وافق كتاب الله بل وجدنا كتاب الله يطلق التأسي به والأمر بطاعته ويحذر المخالفة عن أمره جملة على كل حال

وعن عمران بن حصين أنه قال لرجل إنك أحمق أتجد في كتاب الله الظهر أربعاً لاتجهر فيها بالقراءة ثم عدد عليه الصلاة والزكاة ونحو هذا ثم قال أتجد في كتاب الله مفسراً أن كتاب الله أبهم هذا وأن السنة تفسر ذلك • وعن أيوب أن رجلا قال لمطرف ابن عبد الله بن الشخير لاتحدثونا إلا بالقرآن فقال له مطرف والله مانريد بالقرآن بدلا ولكن نريد من هو أعلم بالقرآن منا • وروى الأوزاعي عن حسان بن عطيه قال كان الوحي ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحضره جبريل بالسنة التي تفسر ذلك قال الأوزاعي الكتاب أحوج الى السنة من السنة الى الكتاب « قال أبو عمر » يريد أنها تقضي عليه وتبين المراد منه وهذا نحو قولهم ترك الكتاب موضعاً للسنة وتركت السنة موضعاً للرأي • وعن الاوزاعي عن مكحول قال القرآن أحوج الى السنة من السنة

إلى الكتاب . وعن الاوزاعي قال قال يحي بن أبي كثير السنة قاضية على الكتاب وليس الكتاب قاضياً على السنة . وقال الفضل بن زياد سمعت أبا عبد الله يعني أحمد بن حنبل وسئل عن الحديث الذي روي أن السنة قاضية على الكتاب فقال ما أجسر على هذا أن أقوله ولكني أقول ان السنة تفسر الكتاب وتبينه قال الفضل وسمعت أحمد بن حنبل يقول لا تنسخ السنة شيئاً من القرآن قال لا ينسخ القرآن الا القرآن

« قال ابوعمر » قول الشافعي إن القرآن لاينسخه إلا قرآن مثله لقوله جل وعز « واذا بدّلنا آية مكان آية » وقوله « مانسخ من آية » وعلى هذا جمهور أصحاب مالك الا أبا الفرج فانه أضاف الى مالك قول الكوفيين في ذلك ان السنة تنسخ القرآن بدلالة قوله لا وصية لوارث وقد بينا هذا المعنى في غير موضع من كتبنا والحمد لله . وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيها الناس كتب عليكم الحج فقيل يارسول الله أفي كل عام قال لا ولو قلتها لوجبت الحج مرة واحدة فما زاد فهو تطوع « قال ابو عمر » الآثار في بيانه لمجملات التنزيل قولا وعملا أكثر من أن تحصى وفيما لوّحنا به هداية وكفاية والحمد لله . وكان أبو اسحق ابراهيم بن سيار يقول بلغني وأنا أحدث ان نبي الله صلى الله عليه وسلم نهى عن اختناث فم القربة والشرب منه قال فكنت أقول إن لهذا الحديث لشأنا وما في الشرب من فم القربة حتى يجيء فيها هذا النهي فلما قيل لي إن رجلا شرب من فم قربة فوكعته حية فمات وان الحيات والأفاعي تدخل في أفواه القرب علمت أن كل شيء لاأعلم تأويله من الحديث أن له مذهباً وإن جهلته . وعن سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال سعد بن معاذ ثلاث أنا فيهن رجل كما ينبغي وما سوى ذلك فانا رجل من الناس ماسمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً قط الا علمت أنه حق من الله ولا كنت في صلاة قط فشغلت نفسي بغيرها حتى اقضيها ولا كنت في جنازة قط فحدثت نفسي بغير ما تقول ويقال لها حتى انصرف عنها قال سعيد بن المسيب هذه الخصال ما كنت احسبها إلا في نبي

﴿ باب فى من تأول القرآن أو تدبره وهو جاهل بالسنة ﴾

(قال أبو عمر) أهل البدع أجمع أضربوا عن السنن وتأولوا الكتاب على غير مابينت السنة فضلوا وأضلوا نعوذ بالله من الخذلان ونسأله التوفيق والعصمة برحمته وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم التحذير عن ذلك في غير ما أثر منها ماروبناه بسندنا عن ابن أبي لهيعة عن أبي قبيل سمعت عقبة بن عامر الجهني يقول سمعت رسول الله

صلى الله عليه وسلم يقول هلاك أمتي في الكتاب واللبن فقيل يا رسول الله وما الكتاب واللبن قال يتعلمون القرآن ويتأولونه على غير ما أنزله الله ويحبون اللبن ويدعون الجماعات والجمع ويبدون • وعن ليث عن أبي قبيل عن عقبة بن عامر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أخوف ما أخاف على أمتي الكتاب واللبن فأما اللبن فينتجعه أقوام لحبه ويتركون الجماعات والجمع وأما الكتاب فيفتح لأقوام فيه فيجادلون به الذين آمنوا • وعن أبي السمح قال حدثنا أبو قبيل أنه سمع عقبة بن عامر يقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن أخوف ما أخاف على أمتي اثنتان القرآن واللبن فأما القرآن فيتعلمه المنافقون ليجادلوا به المؤمنين وأما اللبن فيتبعون الريف يتبعون الشهوات ويتركون الصلوات . وقال صلى الله عليه وسلم أخوف ما أخاف على أمتي منافق عليم اللسان يجادل بالقرآن . وعن أبي قلابة عن ابن مسعود قال ستجدون قوماً يدعونكم إلى كتاب الله وقد نبذوه وراء ظهورهم فعليكم بالعلم وإياكم والتبدع وإياكم والتنطع وعليكم بالعتيق • وعن عمرو بن دينار قال قال عمر إنما أخاف عليكم رجلين رجل يتأول القرآن على غير تأويله ورجل ينافس الملك على أخيه

وعن رجاء بن حيوة عن رجل قال كنا جلوساً عند معاوية فقال إن أغرى الضلالة لرجل يقرأ القرآن فلا يفقه فيه فيعلمه الصبي والعبد والمرأة والأمة فيجادلون به أهل العلم.

وعن ميمون بن مهران قال إن هذا القرآن قد أخلق في صدور كثير من الناس فالتمسوا ما سواه من الأحاديث وإن ممن يبتغي هذا العلم يتخذه بضاعة ليلتمس به الدنيا ومنهم من يتعلمه ليماري به ومنهم من يتعلمه ليشار اليه وخيرهم الذي يتعلمه فيطيع الله فيه (قف على قول ابن مهران)

(قال أبو عمر) معنى قوله « إن هذا القرآن » قد أخلق والله أعلم أي أخلق علم تأويله من تلاوته إلا بالاحاديث عن السلف العالمين به ففي الأحاديث الصحاح عنهم يوقف على ذلك لا بما سولته النفوس وتنازعته الآراء كما صنع أهل الأهواء قال الحسن عمل قليل في سنة خير من كثير في بدعة • وعن عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه أن عمر بن الخطاب قال ما أخاف على هذه الأمة من مؤمن ينهاه إيمانه ولا من فاسق بين فسقه ولكن أخاف عليها رجلا قد قرأ القرآن حتى ازلقه بلسانه ثم تأوله على غير تأويله

﴿ باب فضل السنة ومباينتها لسائر أقاويل علماء الأمة ﴾

عن علي بن الحكم عن الضحاك قال « لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً » قال أمرهم أن يطيعوه ويشرفوه ويدعوه باسم النبوة. وقال ابن جريج عن مجاهد أمرهم أن يدعوه في لين وتواضع وذكر سنيد قال حدثنا عباد بن العوام عن محمد بن

عمرو عن أبي سلمة قال لما نزلت « لاتقدموا بين يدي الله ورسوله » قال أبو بكر والذي بعثك بالحق لا أكلمك بعد هذا إلا كأخي السرار

(قال أبو عمر) كل ما كان في كتابي هذا وفي سائر كتبي من كتاب سنيد فحدثناه أبو عمر احمد بن عبد الله بن محمد بن علي قال حدثنا اسمعيل بن محمد بن الضراب قال حدثنا عبد الملك بن بحر قال حدثنا محمد بن اسمعيل الصائغ قال حدثنا سنيد ابن داود . وعن صفوان بن محرز القاريء المازري أنه سأل عبد الله بن عمر عن الصلاة في السفر فقال ركعتان من خالف السنة كفر وقد بينا معنى قوله فيهذا الحديث كفر في كتاب التمهيد فأغنى عن اعادته ههنا . وعن بكيربن الأشج أن رجلا قال للقاسم ابن محمد عجباً من عائشة كيف كانت تصلي في السفر أربعاً ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي ركعتين فقال يا ابن أخي عليك بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث وجدتها فإن من الناس من لا يعاب • وعن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه أنه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول في علته التي توفي فيها إن أستخلف فإن أبا بكر استخلف وإن لم استخلف فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يستخلف وإن الله سيحفظ دينه قال عبد الله فما هو إلا أن ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر فعلمت أنه لم يكن يعدل برسول الله صلى الله عليه وسلم أحداً وأنه غير مستخلف

وعن عبد الله بن هبيرة السبائي قال حدثنا بلال بن عبد الله بن عمر أن أباه عبدالله ابن عمر قال يوماً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا النساء حظوظهن من المساجد فقلت أنا اما أنا فسأمنع أهلي فمن شاء فليسرح أهله فالتفت إلي وقال لعنك الله لعنك الله لعنك الله تسمعني أقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن لا يمنعن وقام مغضباً • وعن أيوب قال قال عروة لابن عباس ألا تتقي الله ترخص في المتعة فقال ابن عباس سل أمك ياعرية فقال عروة أما أبو بكر وعمر فلم يفعلا فقال ابن عباس والله ما أراكم منتهين حتى يعذبكم الله نحدثكم عن النبي صلى الله عليه وسلم وتحدثونا عن أبي بكر وعمر وذكر الحديث (قال أبو عمر) يعني متعة الحج وهو فسخ الحج في عمرة

وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عروة نهى أبو بكر وعمر عن المتعة فقال ابن عباس ما تقول ياعرية قال نقول نهى أبوبكر وعمر عن المتعة فقال أراهم سيهلكون أقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون قال أبو بكر وعمر • وقال أبو الدرداء من يعذرني من معاوية أحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخبرني برأيه لا أساكنك بأرض أنت بها • وعن سالم بن عبد الله

عن أبيه قال قال عمر إذا رميتم الجمرة سبع حصيات وذبحتم وحلقتم فقد حل لكم كل شيء إلا الطيب والنساء قال سالم وقالت عائشة أنا طيّبت رسول الله صلى الله عليه وسلم لحله قبل أن يطوف بالبيت قال سالم فسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق أن تتبع

وعن ابن جريج قال أخبرني أبوالزبير أنه سمع جابر بن عبدالله يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب استند الى جذع نخلة من سواري المسجد فلما صنع له المنبر واستوى عليه اضطربت تلك السارية وحنّت كحنين الناقة حتى سمعها أهل المسجد فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتنقها فسكتت ٠ وعن الحسن قال حدثنا أنس ابن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخطب مسنداً ظهره الى خشبة فلما كثر الناس قال ابنوا لي منبراً قال فبنوا له منبراً والله ما كان الا عتبتين فلما تحوّل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخشبة الى المنبر حنت الخشبة قال أنس سمعت والله الخشبة تحن حنين الواله قال فما زالت تحن حتي نزل رسول الله صلى الله عله وسلم فاحتضنها قال فقال الحسن يا عباد الله الخشب يحنّ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقاً الى لقائه أفليس الرجال الذين يرجون لقاء الله أحق أن يشتاقوا اليه . وروي عن وهب بن منبه أنه قال قرأت في سبعين كتابا إن جميع ما أعطي الناس من بدأ الدنيا إلى انقطاعها من العقل في جنب عقل محمد خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم كحبة رمل وقعت من جميع رمل الدنيا وأجده مكتوباً أرجحهم عقلا وأفضلهم رأيا قالوا ولم يبعث الله نبياً حتى يستكمل من العقل ما يكون أفضل من عقل جميع أمته وعسى أن يكون في أمته من هو أشد اجتهاداً ببدنه وجوارحه ولمَا يضمّ النبي صلى الله عليه وسلم في عقله ونيته وفكره أفضل من عبادة جميع المجتهدين ٠ وعن أبي نضرة عن أبي سعيد قال لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أنكرنا أنفسنا وكيف لا ننكر أنفسنا والله سبحانه يقول «واعلموا أنَّ فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم» ٠ وعن الحارث بن عبدالله بن أوس قال أتيت عمر ابن الخطاب فسألته عن المرأة تطوف بالبيت ثم تحيض فقال ليكن آخر عهدها الطواف بالبيت قال الحارث فقلت كذلك أفتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر تبت يداك أو ثكلتك أمك سألتني عما سألت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم كيما أخالفه ٠ وعن منذر عن الربيع بن خثيم قال كنا نقول نعم المرء محمّد صلى الله عليه وسلم كان ضالاً فهداه الله وعائلا فاغناه الله وشرح الله صدره ويسّر له أمره ثم يقول حرف وما حرف « من يطع الرسول فقد أطاع الله » فوض الله الامر إليه فانه لا يأمر الا بخير صلى الله عليه وسلم

(قف على قول وهب)

﴿ باب ذكر بعض من كان لا يحدث عن رسول الله إلا وهو على وضوء ﴾

عن الأعمش عن ضرار بن مرة قال كانوا يكرهون أن يحدثوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم على غير وضوء قال اسحق فرأيت الأعمش إذا أراد أن يحدث وهو على غير وضوء تيمم • وعن معمر عن قتادة قال لقد كان يستحب ألا يقرأ الأحاديث التي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا على طهور • وعن شعبة قال كان قتادة لا يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو على طهارة • وعن مصعب بن عبد الله الزبيري قال سمعت مالك بن أنس يقول كان جعفر بن محمد لا يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو طاهر • وعن المفضل بن محمد الجندي قال سمعت أبا مصعب يقول كان مالك بن أنس لا يحدث بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو على وضوء إجلالا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم • وعن عبد الرحمن بن أبي الزناد قال ذكر سعيد ابن المسيب حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مريض فقال أجلسوني فإني أكره أن أحدث حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مضطجع

﴿ باب في إنكار أهل العلم مايجدونه من الأهواء والبدع ﴾

عن ابي سهيل بن مالك عن أبيه أنه قال ما أعرف شيئاً مما أدركت عليه الناس إلا النداء بالصلاة وعن عثمان بن أبي رَواد قال سمعت الزهري يقول دخلنا على أنس بن مالك بدمشق وهو وحده وهو يبكي قلت ما يبكيك قال لا أعرف شيئاً مما ادركت إلا هذا الصلاة وقد ضُيِّعَت • وقال الحسن البصري لو خرج عليكم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عرفوا منكم إلا قبلتكم • وعن عثمان بن الوليد قال قال لي عروة بن الزبير ألم أخبر أن الناس يضربون إذا صلوا على الجنائز في المسجد قلت نعم قال فوالله ماصُلي على أبي بكر الصديق إلا في المسجد • وعن مالك قال قدم علينا ابن شهاب قدمة يعني من الشام فقلت له طلبت العلم حتى إذا كنت وعاءً من أوعيته تركت المدينة ونزلت أداما فقال كنت أسكن المدينة والناس ناس فلما تغيَّر الناس تركتهم • وعن أنس بن عياض قال سمعت هشام بن عروة يقول لما اتخذ عروة بن الزبير قصره بالعقيق قال له الناس قد جفوت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني رأيت مساجدكم لاهيةً وأسواقكم لاغيةً والفاحشة في فجاجكم عاليةً وكان فيما هنالك عما أنتم فيه عافيةً • قال أبو الطاهر أحمد بن عمرو وسمعت غير أنس بن عياض يقول عوتب عروة في ذلك فقال وما بقي إنما بقي شامت بنكبةٍ أو حاسد على نعمة • وعن هشام بن عروة عن أبيه أنه كان

يقول يا بني تعلموا الشعر قال وربما قال الأبيات ينشؤها من عنده ثم يعرضها علينا (قال أبو عمر) له أشعار كثيرة حسان رحمه الله منها قوله

صار الأسافل بعد الذل أسنمة   وصارت الروس بعد العز أذنابا

لم تبق مأثرة يعتدها رجل   إلا التكاثر أوراقا وإذهابا

وعن المطلب بن عبد الله عن ابن أبي ربيعة أنه مر بعروة بن الزبير وهو يبني قصره بالعقيق فقال أردت الهرب يا أبا عبد الله قال لا ولكنه ذكر لي أنه سيصيبها عذاب يعني المدينة فقلت إن أصابها شيء كنت متنحياً عنها • وعن عبد الله بن وهب قال حدثني مالك قال أخبرني رجل أنه دخل على ربيعة بن عبد الرحمن فوجده يبكي فقال له ما يبكيك وارتاع لبكائه فقال له أمصيبة دخلت عليك فقال لا ولكن استفتي من لا علم له وظهر في الإسلام أمر عظيم قال ربيعة ولبعض من يفتي ههنا أحق بالسجن من السراق • وعن أبي الدرداء قال مالي أرى علماءكم يموتون وجهالكم لا يتعلمون لقد خشيت أن يذهب الأول ولا يتعلم الآخر ولو أن العالم طلب العلم لازداد علماً ولو أن الجاهل طلب العلم لوجد العلم قائما مالي أراكم شباعا من الطعام جياعا من العلم • وقال أبو حزم صار الناس في زماننا يعيب الرجل من هو فوقه في العلم ليري الناس أنه ليس به حاجة إليه ولا يذاكر من هو مثله ويزهى على من هو دونه فذهب العلم وهلك الناس. وعن الدراوردي قال إذا قال مالك على هذا أدركت أهل العلم ببلدنا أو الامر المجتمع عليه عندنا فإنه يريد ربيعة وابن هرمز

﴿ باب فضل النظر في الكتب وحمد العناية بالدفاتر ﴾

سئل أبو عبد الله محمد بن اسمعيل البخاري ما البلاذر قال إدامة النظر في الكتب وعن أحمد بن عمران قال كنت عند أبي أيوب أحمد بن محمد بن شجاع وقد تخلف في منزله فبعث غلاما من غلمانه إلى أبي عبد الله بن الأعرابي صاحب الغريب يسأله المجيء اليه فعاد اليه الغلام فقال قد سألته ذلك فقال لي عندي قوم من الأعراب فإذا قضيت أربي معهم أتيت قال الغلام وما رأيت عنده أحداً إلا أن بين يديه كتباً ينظر فيها فينظر في هذا مرة وفي هذا مرة ثم ما شعرنا حتى جاء فقال له أبو أيوب يا أبا عبد الله سبحان الله العظيم تخلفت عنا وحرمتنا الانس بك ولقد قال لي الغلام أنه ما رأى عندك أحداً وقلت أنا مع قوم من الأعراب فإذا قضيت أربي معهم أتيت فقال ابن الأعرابي

لنا جلساء ما نمل حديثهم   ألباء مأمونون غيباً ومشهدا

يفيدوننا من علمهم علم ما مضى وعقلا وتأديباً ورأيا مسدّدا
بلا فتنة تخشى ولا سوء عشرة ولا نتقي منهم لسانا ولا يدا
فإن قلت أموات فما أنت كاذب وإن قلت أحياء فلست مفندا

وقيل لأبي العباس أحمد بن يحي بن ثعلب توحشت من الناس جداً فلو تركت لزوم البيت بعض الترك وبرزت للناس كانوا ينتفعون بك وينفعك الله بهم فمكث ساعة ثم أنشأ يقول

إن صحبنا الملوك تاهوا علينا واستخفوا كبراً بحق الجليس
أو صحبنا التجار صرنا إلى البؤ س وصرنا الى عداد الفلوس
فلزمنا البيوت نستخرج العلم ونملا به بطون الطروس

وأنشدني محمد بن هرون الدمشقي لنفسه او لغيره

لمحبرةٌ تجالسني نهاري أحبّ إليّ من أنس الصديق
ورزمة كاغد في البيت عندي أحب إليّ من عدل الدقيق
ولطمة عالم في الخد مني ألذ لديّ من شرب الرحيق

وقال محمد بن بشير في شعر له

لله من جلساء لا جليسهم ولا خليطهم للسوء مرتقب
ولا بادرات الاذى يخشى رفيقهم ولا يلاقيه منهم منطق ذرب
ابقوا لنا حكماً تبقى منافعها اخرى الليالي على الايام وانشعبوا
ان شئت من محكم الآثار يرفعها الى النبي ثقات خيرة نجب
أو شئت من عرب علماً بأولهم في الجاهلية تنبيني بها العرب
أو شئت من سِيَر الاملاك من عجم تنبي وتخبر كيف الرأي والأدب
حتى كأني قد شاهدت عصرهم وقد مضت دونهم من دهرنا حقب
ما مات قوم اذا أبقوا لنا أدباً وعلم دين ولا بانوا ولا ذهبوا

وأنشدني أحمد بن محمد بن أحمد رحمه الله

وألذّ ما طلب الفتى بعد التقى علم هناك يزينه طابه
ولكل طالب لذة متنزهٌ والذ نزهة عالم كتبه

وسألني ان أزيد فيها فزدته بحضرته

يسلي الكتاب هموم قارئه ويبين عنه ان قري نصبه
نعم الجليس اذا خلوت به لا مكره يخشى ولا شغبه

وقال بعض البصريين

العلم آنس صاحب اخلو به في وحدتي
فاذا اهتممت فسلوتي واذا خلوت فلذتي

ويروى فاذا نشطت فلذتي. وقال أبو عمرو بن العلاء ما دخلت على رجل قط ولا مررت ببابه فرأيته ينظر فى دفتر وجليسه فارغ الا حكمت عليه واعتقدت أنه أفضل منه عقلا وكان عبد الله بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز لايجالس الناس ونزل المقبرة فكان لا يكاد يرى الا وفى يده دفتر فسئل عن ذلك فقال لم أر قط أوعظ من قبر ولا أمتع من دفتر ولا أسلم من وحدة • وروي عن الحسن أنه قال لقد غبرت لي أربعون عاما ماقمت ولا نمت الا والكتاب على صدري • وسئل أبو عبدالله محمد بن اسمعيل البخاري عن دواء الحفظ فقال ادمان النظر فى الكتب • وأنشدت لعبد الملك ابن ادريس الوزير فى قصيدة له مطولة

(قف على قول البخاري)

واعلم بأن العلم أرفع رتبة وأجل مكتسب وأسنى مفخر
فاسلك سبيل المقتنين له تسد إن السيادة تقتنى بالدفتر
والعالم المدعو حبراً إنما سماه باسم الحبر حمل المحبر
وبضمر الاقلام يبلغ أهلها ما ليس يبلغ بالجياد الضمر

وقد أكثر أهل العلم والادب فى جمع مافي هذا الباب من المنظوم والمنثور فرأيت الاقتصار من ذلك على القليل أولى من الاكثار وبالله التوفيق

يقول مختصره احمد بن عمر بن محمد غُنَيم المحمصاني الازهري كان الفراغ من هذا المختصر صبيحة يوم الاربعاء تاسع عشر محرم عام الف وثلاثمائة وتسعة عشر والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وأسأله تعالى أن يجعل هذا المختصر خالصاً لوجهه ويهدي به انه على ما يشاء قدير وصلى الله على سيدنا محمد والنبيين وآلهم وجميع الصالحين آمين

(تنبيه) جاء في صحيفة (١٨٨) من هذا المختصر في السطر (٢٥) ذكر الآيات التي سأل الصحابة فيها الرسول صلى الله عليه وسلم وقد رأيت بعد ذلك في كتاب الاتقان لجلال الدين السيوطي كلاماً آثرت ذكره هنا تتميماً للفائدة قال

(فائدة) أخرج البزار عن ابن عباس قال ما رأيت قوماً خيراً من أصحاب محمد ما سألوه الا عن اثنتي عشرة مسئلة كلها فى القرآن وأورده الامام الرازي بلفظ اربعة عشر حرفاً وقال منها ثمانية في البقرة «واذا سألك عبادي عني» «يسألونك عن الاهلة» «يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم» «يسألونك عن الشهر الحرام» «يسألونك عن

الخمر والميسر» «ويسألونك عن اليتامى» «ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو» «ويسألونك عن المحيض» قال والتاسع «يسألونك ماذا أحل لهم» في المائدة والعاشر «يسألونك عن الانفال» والحادي عشر «يسألونك عن الساعة» والثاني عشر «يسألونك عن الجبال» والثالث عشر «ويسألونك عن الروح» والرابع عشر «ويسألونك عن ذي القرنين» قلت السائل عن الروح وعن ذي القرنين مشركو مكة واليهود كما في أسباب النزول لا الصحابة فالخالص اثنا عشر كما صحت به الرواية ه

